

الجزء الثانى (الإمام على بن أبى طالب «ع»)

فهرس إجمالى

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصية الإمام على (عليه السلام) ٢٣

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية الإمام على (عليه السلام) ٢٩

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأة الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) ٤٣

الفصل الثانى: مراحل حياة الإمام على (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: من الولادة حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) ١١٣

الفصل الثانى: الإمام على (عليه السلام) فى عهد أبى بكر ١٣٣

الفصل الثالث: الإمام على (عليه السلام) فى عهد عمر ١٥١

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) فى عهد عثمان ١٦٣

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام على (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ١٧٣

الفصل الثانى: الإمام على (عليه السلام) مع الناكثين ١٨٩

الفصل الثالث: الإمام عليّ (عليه السّلام) مع الفاسطين ٢٠٣

الفصل الرابع: الإمام عليّ (عليه السّلام) مع المارقين ٢١٣

الفصل الخامس: الإمام عليّ (عليه السّلام) شهيد المحراب ٢٢١

الفصل السادس: تراث الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) ٢٢٥

ص:٧

[مقدمة المجمع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء..

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللاتق به، و عرفه الغاية التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى * [الانعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة (٢): ٢١٣].

ص:٨

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبا (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هي الهداية الحقيقية، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منَّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى : **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦]. و حيث لا تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرا و هدفا و غاية موصلة إلى قمة الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان - بالإضافة إلى عقله و سائر أدوات المعرفة - ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمَّ عليه الحجة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كل الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنة الهداية الربّانية أن يسند عقل الانسان عن طريق

ص:٩

الوحي الإلهي، و من خلال الهداء الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكل مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهمليين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيّدة لدلائل العقل - بأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان كان أحدهما الحجة، و صرح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلا: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [الرعد (١٣): ٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداء المهدّيون مهمة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقى الوحى بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة . و هذه المرحلة تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهى لرسله شأننا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام (٦): ١٢٤] و **اللَّهُ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَّشَاءُ** [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التى تتمثل فى «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين أمة مؤمنه بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية من

ص: ١٠

أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياة، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمة عنوانى التزكية و التعليم، قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ** [الجمعة (٦٢): ٢] و التزكية هى التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربية القدوة الصالحة التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ و التخريف و الضياع فى الفترة المقررة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية، و التى تسمى بالعصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربانية، و تطبق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، و يتطلب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها فى الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التى تعبّر عن الكفاءة النفسية التى تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيرة ال قيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحملوا فى سبيل أداء المهام الرسالية كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلکأوا طرفة عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برسالة خاتم

ص: ١١

الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وحملة الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة والبقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.

٣- تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، وبالرسول قائدا، وبالشريعة قانونا للحياة.

٤- تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسى يحمل لواء الإسلام ويطبق شريعة السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (صلى الله عليه وآله).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة و يجسدها في كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله

ص: ١٢

لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى

أعماق الامة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الامة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالي للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة و الامة جمعاء.

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرين في أمر الله، و التامين في محبته، و الذائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا

ص: ١٣

الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرخون و الكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدعّوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دونها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّهُ وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أول أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) و هو المعصوم الثاني من أعلام الهداية و الذي جسّد الإسلام في كل مجالات حياته الشريفة، فكان نبراسا و متراسا و مثلاً أعلى للبشرية بعد رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله).

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجهم إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتو فيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة

ص: ١٥

الباب الأول فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصية الإمام (عليه السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصية الإمام (عليه السلام)

ص: ١٧

الفصل الأول الإمام المرتضى على بن أبي طالب (عليه السلام) في سطور

❖ - هو أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين و أوّل خلفاء الرسول (صلى الله عليه و آله) المهدّيين - بأمر من الله و نصّ من رسوله (صلى الله عليه و آله) - و قد صرّح القرآن بعصمته و تطهيره من كلّ رجس، و باهل الرسول (صلى الله عليه و آله) نصارى نجران به و بزوجته و ولديه، و اعتبره من القريبى الذين وجبت مودّتهم مصرّحاً غير مرّة بأنّها عدل الكتاب المجيد الموجبين للمتمسك بهما النجاء و للمتخلّف عنهما الردى.

❖ - نشأ الإمام في حجر رسول الله (صلى الله عليه و آله) منذ نعومة أظفاره، و تغذّى من معين هديه، فكان المتعلّم الوفىّ و الأخ الزكىّ، و أوّل من آمن و صلى و أصدق من تفانى في سبيل ربّه و ضحّى في سبيل إنجاح رسالته في أخرج لحظات صراعها مع الجاهلية العاتية في كلّ صورها في العهدين المكيّ و المدني و في حياة الرسول و بعد رحيله ذائباً في مبدئه و رسالته و جميع قيمه مجسّداً للحقّ بكلّ شعبه من دون أن يتخطّأها قيد أنملة أو ينحرف عنها قيد شعرة.

❖ - لقد وصفه ضرار بن ضمرة الكنانى لمعاوية بن أبى سفيان حتى أبكاه و أبكى القوم و جعله يترحم عليه، بقوله:

«كان و الله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً و يحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، و يستوحش من الدنيا و زهرتها،

ص: ١٨

و يستأنس بالليل و وحشته، و كان غزير العبرة طويل الفكرة، يقلّب كفه و يخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر و من الطعام ما جشِب، و كان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، و يجيبنا إذا سألناه و يأتينا إذا دعونا، و ينبّئنا إذا استنبأناه، و نحن و

الله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبه له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين و يقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله و لا يبأس الضعيف من عدله^١.

❖ - لقد آزر الإمام (عليه السلام) رسول الله منذ بداية الدعوة، و جاهد معه جهادا لا مثيل له في تأريخ الدعوة المباركة حتى تفرى الليل عن صبحه و أسفر الحق عن محضه و نطق زعيم الدين و خرست شقاشق الشياطين بعد أن منى بذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب^٢.

❖ - و بعد أن خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) لتغيير المجتمع الجاهلي خطواته المدهشة في تلك الفترة القصيرة كان الطريق أمام الاسلام لبلوغ أهدافه الكبرى شاقا و طويلا يتطلب التخطيط الكامل و القيادة الواعية التي لا تقل عن شخصية الرسول القائد إيمانا و كمالا و إخلاصا و دراية و حنكة، و كان من الطبيعي للرسالة الخاتمة أن تخطط لمستقبل هذه الدعوة التي تعتبر عصاره دعوات الأنبياء جميعا و وريثة جهودهم و جهادهم المتواصل عبر التاريخ .. و هكذا كان إذ اختار النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله) بأمر من الله سبحانه شخصا رشحه عمق وجوده في كيان الدعوة حتى تفانى في أهدافها و خلص من جميع شوائب الجاهلية و رواسيها و تحلى بأعلى درجات الكفاءة و عيا و إيمانا و إخلاصا و تضحية في سبيل الله.

ص: ١٩

لقد كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو ذلك البديل الذي أعدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله) إعدادا رساليا خاصا ليحمّله المرجعية الفكرية و السياسية من بعده، كي يواصل عملية التغيير الطويلة الرائدة بمساندة القاعدة الواعية التي أعدّها الرسول (صلى الله عليه و آله) له من المهاجرين و الأنصار.

❖ - و لكن الجاهلية المتجذرة في أعماق ذلك المجتمع ما كانت لتندحر في بدر و حنين و خلال عقد واحد من الصراع و الكفاح، و كان من الطبيعي أن تظهر من جديد متسترة بشعار إسلامي كي تستطيع أن تظهر على المسرح الاجتماعي من جديد و لو بعد عقود من الزمن، و كان من الطبيعي أيضا أن تتسلل الى المواقع القيادية بشكل مباشر أو غير مباشر ... و من هنا كانت الردّة الى المفاهيم و العادات الجاهلية - من خلال الالتفاف على القيادة الشرعية للمجتمع الإسلامي الفتى الذي كانت تحرق به الأخطار من كل جانب، و لم تكتمل قواعده و عيا و نضجا - أمرا محتملا بل متوقعا لكل قيادي يمتلك أدنى وعي سياسي و اجتماعي، فكيف برسول الله و خاتم أنبيائه (صلى الله عليه و آله)؟

❖ - و إذا كانت الرسالة الإسلامية تهدف الى تغيير الواقع الاجتماعي الجاهلي، فلا بدّ أن تلاحظ هذا الواقع بكل ملابساته و رسوباته، و تخطط للتغيير الشامل على المدى القريب و البعيد معا ... و هكذا كان، فقد رسمت الرسالة الخط الطبيعي الذي يفرضه المنطق التشريعي للمسيرة الإسلامية الرائدة ، حيث تجلّى ذلك في إرجاع الأمة فكريا و سياسيا الى الأئمة المعصومين من كل رجس جاهلي، بعد أن نصب النبي عليا في غدير خم أميرا للمؤمنين، و أحكم له الأمر بأخذ البيعة له من عامة المسلمين.

^١ (1) الاستيعاب (المطبوع بهامش الإصابة): 3/ 44، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
^٢ (2) من خطبة الزهراء عليها السلام المعروفة أمام أبي بكر و عمر و سائر المهاجرين و الأنصار بعيد رحيل الرسول (صلى الله عليه و آله) و تقمصهم للخلافة.

❖ - لقد اصطدم التخطيط الرائد بواقع كان متوقعا للنبي (صلى الله عليه وآله) وبتيار جارف يعود الى نقصان الوعي عند الامّة التي تشكّل القاعدة الأمينه لحماية القيادة

ص: ٢٠

الرشيدة، بحيث لم يكن يدرك عامّة المسلمين بعمق أنّ الجاهلية تتآمر وراء الستار عليهم وعلى الثورة الإسلامية الفتية، وأن القضية ليست قضية تغيير شخ ص القائد بقائد آخر، وإنما القضية قضية تغيير خط الإسلام المحمدي الثوري بخط جاهلي متستر بالإسلام.

❖ - و هكذا أجهضت السقيفة التخطيط الرائد للنبي القائد (صلى الله عليه وآله) حينما وجدت أنّ الساحة قد خلت منه، و تحققت نبوءة القرآن العظيم حين قال : **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟**^٣!!

لقد كان النبي جعل عليا أمينا على رسالته و أمته و دولته، و كلفه بحفظ الرسالة و الشريعة كما كلفه بتربية الامّة الفتية و صيانة الدولة التي لم تترسخ جذورها بعد.

و حاول الإمام عليّ (عليه السلام) إرجاع الامور الى مجاريها بإدانة السقيفة و نتائجها و بالامتناع من البيعة و التصدي للمؤامرة، و لكن دون جدوى، بل كان الأمر قد دار بين انهيار الدولة سياسيا و دوليا و بين حفظها مع تصدي غير الأكفاء للقيادة.

❖ - لقد وقف الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) موقفا مبدئيا سجله له التاريخ حيث قال : «فأمسكت يدي حيث رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله) فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله؛ أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب»^٤.

❖ - و تلخّصت مواقف هذا الإمام العظيم خلال خمسة و عشرين عاما من

ص: ٢١

المحنة و هو يلحق الصبر الأمر من العلقم - على حدّ تعبيره (عليه السلام) - في الحفاظ على وحدة الامّة الإسلامية و عدم تصدّع الدولة النبوية الفتية و لو بالتنازل عن حقّه الشرعي مؤقتا، و تقديم المشورة للخلفاء و إسداء النصح لهم، مع التوجّه الى جمع القرآن و تفسيره، و تنقيف الامّة على مفاهيمه و توعى بها على حقائقه، و كشف النقاب عن حقيقة المؤامرة التي دانت لها طوائف من المسلمين، و التصدي لأخطاء الحكّام في الفهم و التطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية، و إيجاد كتلة صالحة تؤمن بالتخطيط النبوي الرائد للقيادة الإسلامية، و تسهر على نشره و تبليغه، و تضجّ من أجل تطبيقه و تنفيذه.

^٣ (1) آل عمران (3): 144.

^٤ (2) بحار الأنوار: 33/ 596 و 597 باب الفتن الحادثة بمصر ط وزارة الثقافة و الارشاد الإسلامي سنة 1368 هـ. ش.

❖ - واستطاع الإمام بعد عقدين ونصف من الصبر والكدح أن يقتطف ثمار سعيه، وبعد أن تكشف حقائق كانت وراء الستار وتجلّى للامة بجيلها الطليعي والتابع أن علياً (عليه السلام) هو الجدير بالخلافة دون غيره، وأنّه هو الذى يستطيع إصلاح ما فسد بالرغم من تعقّد الظروف وتبلبل القلوب واشتداد زاوية الانحراف عن نهج الحقّ القويم، حتى قال (عليه السلام): «والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية إربة، ولكنكم دعوتمنى إليها وحملتونى عليها»^٥.

❖ - وأعلن الإمام عن سياسته قائلاً: «واعلموا أنّى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب»^٦. وقال أيضاً: «اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذى كان منّا منافسة فى سلطان ولا التماس شىء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح فى بلادك، فيا من المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^٧.

ص: ٢٢

وأجهد الإمام (عليه السلام) نفسه على أن يحقّق بين الناس العدل الاجتماعى والسياسى وفى طريق لا التواء فيه، وأن يسود الأمن والحرية والرخاء والاستقرار مع الاحتفاظ بوحدة الامة مع السعى فى تربيتها وتعليمها وإعطائها كامل حقوقها، وعزل الجهاز الإدارى الفاسد واستبداله بالولاة والعمالّ الصالحين أو المعروفين بالصلاح ومراقبتهم أشدّ المراقبة، حيث أقصى عن دائرة المسؤولية كل الانتهازيين والطامعين، والتزم الصراحة والحقّ والصدق فى كلّ مجال، فلم يخادع ولم يوارب، فسار (عليه السلام) على منهاج أخيه وابن عمّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

❖ - وبدأت تتحرّك كلّ القوى الطامعة والانتهازية التى خسرت مواقعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ضدّ الإمام، وأخذت تتكاتف كلّ العناصر التى شاركت بنحو وآخر فى مقاتلة عثمان والتحريض عليه يوم أمس، رافعة شعار المطالبة بدم عثمان منددة بسياسة الإمام الحكيمة والنزيهة، فنكّت طائفة وقسّطت أخرى ومرتت ثالثة، وإذا بالإمام بعد كفاح مرير يقع شهيداً مخضّباً بدمائه الطاهرة فى محراب عبادته وفى مسجد الكوفة وفى ليلة القدر من عام (٤٠) من الهجرة النبوية، إنّهُ الفوز بالشهادة والفوز بالثبات على القيم الرسالية الفريدة والثبات على الحقّ اللاحب والجهد فى سبيل إرساء قواعد الدين، إنّها ثورة القيم الإلهية على القيم الجاهلية بكلّ شعبها وفروعها.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين يوم ولدت ويوم ربّيت فى حجر الرسالة، ويوم جاهدت من أجل أن تعلو راية الإسلام خفاقة، ويوم صبرت ونصحت، ويوم بويعت وحكمت، ويوم كشفت النقاب عن برائن الجاهلية المستترّة بشعار الإسلام، ويوم استشهدت وأنت تروى بدمك الطاهر شجرة الإسلام الباسقة، ويوم تب عث حياً وأنت تحمل و سام الفوز فى أعلى عليّين.

ص: ٢٣

الفصل الثانى انطباعات عن شخصيّة الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)

^٥ (1) بحار الأنوار: 50 / 32 باب بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ط وزارة الثقافة و الارشاد الإسلامية.

^٦ (2) بحار الأنوار: 36 / 32.

^٧ (3) بحار الأنوار: 111 / 34 باب الفتن التى وقعت فى زمان علي (عليه السلام).

لقد عاصر الإمام عليّ (عليه السّلام) حركة الوحي الرسالي منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت له مواقف المشرفة والتي يغبط عليها في دفاعه عن الرسول والرسالة طيلة ثلاثة وعشرين عاما من الجهاد المتواصل والدفاع المستميت عن حريم الإسلام الحنيف، وقد انعكست مواقفه وإنجازاته وفضائله في آيات الذكر الحكيم ونصوص الحديث النبوي الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آية في عليّ (عليه السّلام)^٨. وما نزلت: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا * إِلَّا وَ عَلِيٍّ أَمِيرَهَا وَ شَرِيفَهَا**^٩. ولقد عاتب الله أصحاب محمد في آي من القرآن وما ذكر عليّا إلّا بخير^{١٠}.

ولكثره ما نزل في عليّ (عليه السّلام) من الآيات المباركة؛ خصّص جمع من المتقدّمين والمتأخرين كتباً جمعت ما نزل فيه (عليه السّلام). ونشير الى بعض الآيات التي صرّح المحدثون بنزولها في حقّه منها:

١- ما عن ابن عباس: أنه كان مع عليّ بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سراً و بدرهم علانية، فأنزل الله

ص: ٢٤

سبحانه و تعالى: **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَ وَفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ**^{١١}.

٢- و عن ابن عباس أيضاً: أنّ عليّاً (عليه السّلام) تصدّق بخاتمه و هو راکع، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ**^{١٢}.

٣- و قد اعتبرت آية التطهير^{١٣} عليّاً (عليه السّلام) من أهل بيت الوحي المطهّرين من كلّ رجس، و اعتبرته آية المباهلة^{١٤} نفس النبي (صلى الله عليه وآله).

٤- و شهدت سورة الإنسان بإخلاص عليّ و أهل بيته و خشيتهم من الله، و تضمّنت الشهادة الربّانية لهم بأنّهم من أهل الجنة^{١٥}.

و عقد أرباب الصحاح وغيرهم من المحدثين فصولاً خاصّة بفضائل عليّ (عليه السّلام) في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) و لم تعرف الإنسانية في تأريخها الطويل رجالاً أفضل من عليّ (عليه السّلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) و لم يسجل لأحد من الفضائل ما سجّل لعليّ بن أبي طالب بالرغم من كلّ ما ناله عليّ (عليه السّلام) من سبّ و شتم

^٨ (1) الفتوحات الإسلامية: 516/2.

^٩ (2) كشف الغمّة: 93.

^{١٠} (3) ينابيع المودة: 126.

^{١١} (1) البقرة (2): 274، و راجع: ينابيع المودة: 92.

^{١٢} (2) المائدة (5): 55، و راجع: تفسير الطبري: 6/165 و البيضاوي وغيرهما.

^{١٣} (3) الاحزاب (33): 33، و راجع: صحيح مسلم، فضائل الصحابة.

^{١٤} (4) آل عمران (3): 61، صحيح الترمذي: 2/300.

^{١٥} (5) راجع: الكشاف للزمخشري، و الطبري في الرياض النضرة 2/207.

على المنابر طوال حكم بنى أمية و ما تداوله مبغضوه . و هم فى صدد انتقاصه حتى لم يجدوا للعب موضعاً فيه، و مما قاله عمر بن الخطاب أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدى صاحبه الى الهدى و يردّه عن الردى»^{١٦}.

و قيل لعليّ (عليه السلام): ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) حديثاً؟ فقال: «إنّى

ص: ٢٥

كنت إذا سألته أنبأنى، و إذا سكتّ ابتدأنى»^{١٧}.

و عن ابن عمر: أن النبيّ (صلى الله عليه و آله) يوم آخى بين أصحابه و جاء عليّ و عيناه تدمع قال (صلى الله عليه و آله) لعليّ (عليه السلام): «أنت أخى فى الدنيا و الآخرة»^{١٨}.

و عن أبى ليلى الغفارى أنّه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «سيكون من بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبى طالب فإنّه أول من آمن بى، و أول من يصادقنى يوم القيامة، و هو الصديق الأكبر، و هو فاروق هذه الأمة، و هو يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب المنافقين»^{١٩}.

و اعترف الخلفاء جميعاً بأنّ عليّاً أعلم الصحابة و أقضاهم، و أنّه لولا عليّ؛ لهلكوا حتى صارت مقولة عمر مضرب الأمثال : لولا عليّ؛ لهلك عمر^{٢٠}.

و عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبى طالب^{٢١}.

و لما بلغ معاوية مقتل عليّ (عليه السلام) قال: ذهب الفقه و العلم بموت ابن أبى طالب^{٢٢}.

و قال الشعبى: كان عليّ بن أبى طالب فى هذه الأمة مثل المسيح بن مريم فى بنى اسرائيل، أحبّه قوم فكفروا فى حبّه، و أبغضه قوم فكفروا فى بغضه^{٢٣}.

و كان أسخى الناس، و كان على الخلق الذى يحبّه الله: السخاء و الجود، ما قال:

ص: ٢٦

«لا» لسائل قط^{٢٤}.

^{١٦} (6) الرياض النضرة: 166 / 1.

^{١٧} (1) طبقات ابن سعد: 338 / 2، و حلية الأولياء: 68 / 1.

^{١٨} (2) سنن الترمذى: 595 / 5 الحديث 3720.

^{١٩} (3) الاصابة لابن حجر: 4 / 171 الرقم 994، و مجمع الزوائد: 102 / 1.

^{٢٠} (4) شرح نهج البلاغة: 6 / 1، و تذكرة الخواص: ص 87.

^{٢١} (5) الاستيعاب بهامش الاصابة 45 / 3.

^{٢٢} (6) المصدر السابق.

^{٢٣} (7) العقد الفريد: 216 / 2.

^{٢٤} (1) شرح نهج البلاغة: 7 / 1.

و قال صعصعة بن صوحان لعلی بن أبی طالب (عليه السلام) يوم بويج: و الله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة و ما زانتك و رفعتها و ما رفعتك، و لهی إلیك أحوج منها إلیك.

و عن ابن شبرمة: أنه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» غير على بن أبی طالب^{٢٥}.

و قام القعقاع بن زرارة على قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فو الله لقد كانت حياتك مفتاح الخير، و لو أن الناس قبلوك؛ لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لكنهم غمطوا النعمة و آثروا الدنيا^{٢٦}.

و قال «المسيحي» جورج جرداق في كتابه «الإمام على صوت العدالة الإنسانية»: إن على بن أبی طالب من الأفاض النادرين، إذا عرفتهم على حقيقتهم بعيدا عن الصعيد التقليدي عرفت أن محور عظمتهم إنما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان و حقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة، و بأن هذا الإنسان منظور أبدا، و بأن الجمود و التقهقر و التوقف عند حال من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلّا نذير الموت و دليل الفناء^{٢٧}.

و قال شبلي شميل: الإمام على بن أبی طالب، عظيم العظماء، نسخة مفردة لم ير لها الشرق و لا الغرب صورة طبق الأصل لا قديما و لا حديثا^{٢٨}.

و بقدر ما بقي على رمزا و قیادة عملية معا، ملتزما مع جيل الصحابة الكبار بالمفهوم الأول للإسلام كهداية و تضحية من أجل إصلاح العالم و دفعه الى طريق

ص: ٢٧

الحق و العدل، أى بمفهوم الدين كثورة دائمة و مستمرة . كان معاوية يبرز من خلال صراعه مع على ... ممثلا لجيل المسلمين الجديد الذى وضعته الفتوحات فى قمة السلطة من جهة، و فرضت عليه أن يرى الامور أيضا من وجهة نظر الحفاظ على المكتسبات المادية ... و فى مثل هذه المواجهة العنيدة القاسية الممزقة المدمرة فقط كان معاوية يستطيع أن يولد المشاعر الدنيوية القويّة و يمزق وحدة المسلمين و يشقّ وعبهم، و ينتزع للسياسة السلطانية و الدولة فى مواجهة الروح الرسالية و الثورية أرضا جديدة من أملاك الدين الشامل^{٢٩}.

و كتب الاستاذ هاشم معروف : لقد كان الإمام على بن أبی طالب حدثا تاريخيا غريبا عن طباع الناس و عاداتهم منذ ولادته و حتى النفس الأخير من حيات ه، فقد أطلّ على هذه الدنيا من الكعبة ... فكانت ولادته فى ذلك المكان حدثا تاريخيا لم يكن لأحد قبله و لم يحدث لأحد بعده، و كما دخل هذه الدنيا من بيت الله فقد خرج منها حين أقبل عليه الموت من بيت الله ... و قال: و لم يحدث لإنسان غيره ما حدث له، فقد وضعه من لا يؤمنون به إيمان شيعته و محبيه فى

^{٢٥} (2) أنمتنا: 94 / 1، عن أعيان الشيعة ج 3 / القسم 1 / ص 103.

^{٢٦} (3) تاريخ البعقوبي: 213 / 2.

^{٢٧} (4) الامام علي صوت العدالة الإنسانية 1 / 14.

^{٢٨} (5) المصدر السابق: ص 35.

^{٢٩} (1) نقد السياسة، الدولة و الدين، برهان غليون: ص 78، الطبعة الثانية 1993، المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

طلبة قادة الفكر و عباقرة العصور، و وصفه المعتدلون من محبيه الى جانب الأنبياء و المرسلين، و المغالون منهم في مستوى الآلهة^{٣٠}.

ص: ٢٩

الفصل الثالث مظاهر من شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)

اجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من صفات الكمال، و محمود السمائل و الخلال، و سناء الحسب و عظيم الشرف، مع الفطرة النقية و النفس المرضية ما لم يتهيأ لغيره من أفاذا الرجال.

تحدّر من أكرم المناسب و انتمى الى أطيب الأعراق، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش، و جدّه عبد المطلب أمير مكة و سيّد البطحاء، ثمّ هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم و أعيانهم^{٣١}.

و اختص بقرابته القريبة من الرسول (صلى الله عليه و آله)، فكان ابن عمّه و زوج ابنته و أحبّ عترته إليه، كما كان كاتب و حيه، و أقرب الناس الى فصاحته و بلاغته، و أحفظهم لقوله و جوامع كلمه.

أسلم على يديه قبل أن تمسّ قلبه عقيدة سابقة، أو يخالط عقله شوب من شرك، و لازمه فتى يافعا في غدوّه و رواجه و سلمه و حربه حتى تخلّق بأخلاقه و اتّسم بصفاته، وفقه عنه الدين و تفقّه ما نزل به الروح الأمين، فكان من أفقه أصحابه و أقضاهم و أحفظهم و أدعاهم و أدقّهم في الفتيا و أقربهم الى الصواب، حتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن^{٣٢}.

ص: ٣٠

فكان العالم المجربّ الحكيم و الناقد الخبير، و كان لطيف الحسّ، نقيّ الجوهر، و ضاء النفس، سليم الذوق، مستقيم الرأى، حسن الطريقة، سريع البديهة، حاضر الخاطر، عارفا بمهمّات الامور^{٣٣}.

عبادته و تقواه (عليه السلام):

اشتهر عليّ بن أبي طالب بتقواه التي كانت علّة الكثير من تصرفاته مع نفسه و ذويه و الناس ... و فيما ترى العبادة لدى المعظم رجع أصداء الضعف في نفوسهم أحيانا، و معنى من معاني التهرّب من مواجهة الحياة و لأحياء أحيانا اخرى، و هوسا موروثا ثمّ مدعوما بهوس جديد مصدره تقديس الناس و المجتمع لكلّ موروث في أكثر الأحيان ... تراها تشتهر عند الإمام أخذاً من كلّ قوّة و وصلا لأطراف الحلقة الخلقية التي تشتدّ و تمتدّ حتى تجمع الأرض و السماء، و معنى من معاني الجهاد في سبيل ما يربط الأحياء بكلّ خير، و هي على كلّ حال شىء من روح التمردّ على الفساد يريد محاربته من كلّ

^{٣٠} (2) سيرة الأئمة الاثني عشر: 1/ 141- 142.

^{٣١} (1) مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3/ 1.

^{٣٢} (2) مناقب آل أبي طالب: 2/ 361 ط دار الأضواء.

^{٣٣} (1) راجع: مقدمة شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم

صوب، ثمّ على النفاق و روح الاستغلال و الاقتتال من أجل المنافع الخاصّة ... و على المذلّة و الفقر و المسكنة و الضعف، ثمّ على سائر الصفات التي تميّز بها عصره المضطرب القلق.

إنّ من تبصّر في عبادة الإمام، تبيّن له أنّ عليّاً متمردّ في عبادته و تقواه، كما هو متمردّ في أسلوبه في السياسة و الحكم، ففي عبادته افتتان الشاعر يقف في هيكل الوجود الرحب صافى النفس ممتلئ القلب، حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون؛ تجاوبت و ما في كيانه من أصداء و أظلال و موازين، فأطلق هذه الآية الرائعة التي نرى فيها دستورا كاملا لتقوى الأحرار و عبادة عظماء النفوس: «و إنّ قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، و إنّ قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و إنّ

ص: ٣١

قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار»^{٣٤}.

إنّ عبادة الإمام ليست شيئا من سلبية الخائف الهارب أو التاجر الراغب كما هي الحال عند الكثيرين من المتعبدين، بل هي شيء من إيجابية الإنسان العظيم الواعي نفسه و الكون على أساس من خبرة المجربّ و عقل الحكيم و قلب الشاعر.

و بهذا المفهوم للتقوى و العبادة كان علىّ يوجّه الناس الى أن يتّقوا الله في سبيل الخير الإنساني العام، أو قل: في سبيل أمر أجلّ من رغبة تجار العبادات في نعيم الآخرة، كان يوجّههم الى التقوى لعلّ فيها ما يحملهم على أن يعدلوا و ينصفوا المظلوم من الظالم فيقول: «عليكم بتقوى الله ... و بالعدل على الصديق و العدو»^{٣٥}. و لا خير في التقوى في نظر الإمام؛ إلّا إذا دفعتك الى أن تعترف بالحقّ قبل أن تشهد عليه، و ألّا تحيف على من تبغض و لا تأثم، و الحياة - بهذا المعنى للعبادة - لا تبغى لمتاع و لا ترجى للذة عابرة.

زهد (عليه السّلام):

لقد زهد علىّ في الدنيا و تقشّف، و كان صادقا في زهده كما كان صادقا في كلّ ما نتج عن يمينه أو بدر من قلبه و لسانه، زهد في لذة الدنيا و سبب الدولة و علّة السلطان و كلّ ما يطمح لبلوغه الآخرون، و يرون أنّه مرتكز وجودهم، فإذا هو يسكن مع أولاده في بيت متواضع تأوى اليه الخلافة لا الملك، و إذا هو يأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها فيما كان عماله يعيشون على أطايب الشام و خيرات مصر و نعيم العراق، و كثيرا ما كان يأبى على زوجته أن تطحن له، فيطحن لنفسه و هو أمير المؤمنين، و يأكل من الخبز اليابس الذي يكسره على ركبتيه، و كان إذا أرعده البرد و اشتدّ عليه الصقيع لا يتّخذ له عدّة من دثار يقيه أذى البرد، بل

ص: ٣٢

يكتفى بما رقّ من لباس الصيف إغراقا منه في صوفيّة الروح.

^{٣٤} (1) نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح 510 الحكمة 237 ط دار الهجرة قم
^{٣٥} (2) بحار الأنوار: 236 / 77 باب وصيّة أمير المؤمنين (عليه السّلام) ط الوفاء.

روى هارون بن عنترة عن أبيه، قال : دخلت على عليّ بالخورنق، و كان فصل شتاء، و عليه خلق قطيفة هو يردد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك و لأهلك فى هذا المال نصيبا و أنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال : «و الله ما أرزؤكم شيئا، و ما هى إلّا قطيقتى التى أخرجتها من المدينة»^{٣٦}.

و أتى أحدهم عليّا بطعام نفيس حلو يقال له : الفالودج، فلم يأكله عليّ و نظر اليه يقول : «و الله إنك لطيبّ الريح حسن اللون طيبّ الطعم، و لكن أكره أن أعود نفسى ما لم تعتد»^{٣٧}.

و لعمرى إن زهد عليّ هذا ليس إلّا معنى و مزاجا من معانى فروسيّته و مزاجها و إن بدا للبعض أنّهما مختلفان.

و قد حملت هذه السيرة الطيّبة عمر بن عبد العزيز - أحد خلفاء الاسرة الاموية التى تكره عليّا و تختلق له السيئات و تسبّه على المنابر - على أن يقول:

أزهد الناس فى الدنيا عليّ بن أبى طالب^{٣٨}.

و المشهور أنّ عليّا أبى أن يسكن قصر الإمارة الذى كان معدّا له بالكوفة، لئلا يرفع سكنه عن سكن اولئك الفقراء الكثيرين الذين يقيمون فى خصاصهم البائسة، و من كلامه هذا القول الذى انبثق عن اسلوبه فى العيش انبثاقا : «أقنع من نفسى بأن يقال هذا أمير المؤمنين و لا اشاركهم فى مكاره الدهر؟!»^{٣٩}

إبائه و شهامته (عليه السلام):

مثّل عليّ بن أبى طالب الفروسيّة بأروع معانيها و بكلّ ما تنطوى عليه من

ص: ٣٣

ألوان الشهامّة. و الإباء و الترفع أصلان من اصول روح الفروسيّة، فهما إذن من طبائع الإمام، لذلك كان بغضا لديه أن ينال أحدا من الناس بالأذى و إن آذاه، و أن يبادر مخلوقا بالاعتداء و لو على ثقة بأنّ هذا المخلوق يقصد قتله.

و روح الإباء و الترفع هذه هى التى ارتفعت به عن مقابلة الامويين بالسباب يوم كانوا يرشقونه به ... بل إنّه منع أصحابه أن ينالوا الامويين بالشتيمة المقدعة حتى قال لهم : «إنّى أكره لكم أن تكونوا سبّابين، و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم؛ كان أصوب فى القول، و أبلغ فى العذر، و قلتم مكان سبّكم إيّاهم : اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله، و يرفعوا عن الغيّ و العدوان من لهج به»^{٤٠}.

مروءته (عليه السلام):

^{٣٦} (1) بحار الأنوار: 334 / 40 ط الوفاء.

^{٣٧} (2) المصدر السابق: 327 / 40.

^{٣٨} (3) المصدر السابق: 331 / 40 باب 98 ذ ح 13 ط الوفاء.

^{٣٩} (4) نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح 418 الكتاب 45.

^{٤٠} (1) نهج البلاغة طبعة صبحي الصالح 323، الخطبة 206.

إنَّ مروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثيل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ، منها أنَّه أبى على جنده - و هم في حال من النقمه و السخط - أن يقتلوا عدوًّا تراجع، كما أبى عليهم أن يكشفوا سترا أو يأخذوا مالا، و منها: أنَّه حين ظفر بالذَّ أعدائه الذين يتحينون الفرص للتخلّص منه؛ عفا عنهم و أحسن اليهم و أبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء و هم على ذلك قادرون^{٤١}.

صدقه و إخلاصه (عليه السّلام):

و تتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسلة لا تنتهي؛ و بعضها على بعض دليل، و من أروع حلقاتها : الصدق و الإخلاص، و قد بلغ به الصدق مبلغا أضاع به الخلافة، و هو لو رضى عن الصدق بديلا في بعض أحواله؛ لما نال منه عدوٌّ و لا انقلب عليه صديق .. لقد رفض أن يقرّ معاوية على عمله و قال: «لا اداهن في ديني

ص: ٣٤

و لا اعطى الدنيّة في أمرى؟». و لما ظهرت حيلة معاوية؛ أطلق عبارته التي صحّت أن تكون صيغة للخلق العظيم : «و الله ما معاوية بأدهى مني، و لكنّه يغدر و يفجّر، و لولا كراهية الغدر؛ لكنت من أدهى الناس^{٤٢}». و قال مشدّدا على ضرورة الصدق مهما اختلفت الظروف: «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك»^{٤٣}.

شجاعته (عليه السّلام):

إن شجاعة الإمام هي من الإمام بمنزلة التعبير من الفكرة و بمثابة العمل من الإرادة، لأنّ محورها الدفاع عن طبع في الحق و إيمان بالخير، و المشهور أنّ أحدا من الأبطال لم ينهض له في ميدان .. فقد كان لجراته على الموت لا يهاب صديدا، بل إنّ فكرة الموت لم تجل مرة في خاطر الإمام و هو في موقف نزال، و أنّه لم يقارع بطلا إلّا بعد أن يحاوره لينصحه و يهديه.

و كان علىّ مع قوته البالغة يتورّع عن البغي أيّا كان الظرف، و أجمع المؤرّخون على أنّه كان يأنف القتال إلّا اذا حمل عليه حملا، فكان يسعى أن يسوّى الأمور مع خصومه .. على وجوه سلميّة تحقن الدم و تحول دون النزال.

و طبيعة التورّع عن البغي أصل من اصول نفسيّة علىّ و خلق من أخلاقه، و هي متّصلة اتّصالا وثيقا بمبدئه العام الذي يقوم بمعرفة العهد و صيانة الذمّة و الرحمة بالناس حتى يخونوا كلّ عهد و يقسوا دون كلّ رحمة.

و ما كان لعلّي أن يستنجد الصداقة على العداوة؛ لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء و الحنان الذي تزخر به نفسه و يطغى على جنانه.

و لكنّ صاحب المودّات لم يرع أصدقاؤه له مودّة، لأنّهم لم يكونوا ليطمعوا

^{٤١} (2) البداية و النهاية: 276 / 7.

^{٤٢} (1) نهج البلاغة، الخطبة: 200.

^{٤٣} (2) نهج البلاغة، قصار الحكم: 458.

بأن يحولوا بينه وبين نفسه، فيطلق أيديهم في خيرات الأرض دون سائر الخلق، يقول عليّ (عليه السلام): «و الله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملء أسلبيها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة»^{٤٤} و ليس عليّ في هذا المجال قائلًا ثمّ عاملاً، بل هو القول يجري من طبيعة العمل الذي يعمل و الشعور الذي يحسّ ... فعليّ أكرم الناس مع الناس، و أبعد الخلق عن أن ينال الخلق بالأذى، و أقربهم الى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره بضرورة هذا البذل، أو ليست حياته كلّها سلسلة معارك في سبيل المظلومين و المستضعفين، و انتصارا دائما للامة دون من يريدونه آله إنتاج لهم من السادة ورثة الأمجاد العائلية، أو لم يكن سيفاً صارماً فوق أعناق القرشيين الذين أرادوا استغلال الخلافة و الإمارة للسلطان و الجاه و تكديس الأموال؟ ! ألم يضع الخلافة و الحياة على الأرض لأنه أبى مسaire أهل الدنيا في استعباد إخوانهم الضعفاء و الفقراء و المظلومين؟

عدله (عليه السلام):

ليس غريباً أن يكون عليّ أعدل الناس، بل الغريب أن لا يكونه، و أخبار عليّ في عدله تراث يشرف المكانة الإنسانية و الروح الإنسانية.

و كان الإمام يأبى الترفع عن رعاياه في المخاصمة و المقاضاة، بل إنه كان يسعى الى المقاضاة إذا وجبت لتشبعه بروح العدالة.

و تجرى في روحه العدالة حتى أمام أ بسط الامور، و وصايا الإمام و رسائله الى الولاة تكاد تدور حول محور واحد هو العدل، و قد انتصر العدل في قلب عليّ و قلوب أتباعه و إن ظلموا و ظلم.

تواضعه (عليه السلام):

إن من اصول أخلاق الإمام أنه كان يعتمد البساطة و يمقت التكلف . و كان يقول: «شر الإخوان من تكلف له»^{٤٥}. و يقول: «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه»^{٤٦} و يقصد بالاحتشام مراعاته حتى التكلف.

و كان لا يتصنع في رأى يراه أو نصيحة يسديها أو رزق يهبه أو مال يمنعه.

و كانت هذه الطبيعة تلازمه حتى يسأم أصحاب الأغراض من استرضائه بالحيلة.

و إذا هم ينسبون اليه القسوة و الجفوة و الزهو على الناس، و ليس صدق الشعور و إظهاره زهوا و ليس جفوة، بل إنه كان يمقت الزهو و العجب .. و لطالما نهى ولده و أعوانه و عمّاله عن الكبر و العجب قائلاً: «إياك و الإعجاب بنفسك، و اعلم

^{٤٤} (1) نهج البلاغة، الخطبة: 224.

^{٤٥} (1) نهج البلاغة، قصار الحكم 479.

^{٤٦} (2) المصدر السابق: 480

أنَّ الإعجاب ضد الصواب و آفة الألباب»^{٤٧}. و كره التكلف في محبِّيه الغالين كما كره التكلف في مبغضيه المفرطين فقال : «هلك فيَّ اثنان: محب غال و مبغض قال»^{٤٨}.

لقد كان يخرج الى مبارزيه حاسر الرأس و مبارزوه مقتعون بالحديد، أفعجيب أن يخرج اليهم حاسر النفس و هم مقتعون بالحيلة و الرياء؟.

تقاؤه (عليه السلام):

و تميّز علىّ بسلامة القلب، فهو لا يحمل ضغينة على مخلوق و لا يعرف حقدا على ألدّ أعدائه و مناوئيه و من يحقدون عليه حسدا و كرها.

كرمه (عليه السلام):

و كان من خلقه أنّه كان كريما و لا حدود لكرمه، و لكنّه الكرم السليم

ص: ٣٧

باصوله و غاياته لاكرم الولاة الذين «يكرمون» بأموال الناس وجهودهم. و هذا الكرم لم يعرفه علىّ مرّة في حياته، و إنّما كرمه هو الذي يعبر عن جملة المروءات، ففيما كان يزجر ابنته زجرا شديدا إذ هي استعارت من بيت المال قلادة تتزيّن بها في عيد من الأعياد. كان يسقى بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى تمجل يده فيتناول اجرته فيهبها لأهل الفاقة و العوز و يشتري بها الأرقاء و يحرّرهم في الحال.

و قد شهد معاوية على كرم علىّ قائلا: لو ملك علىّ بيتا من تبر و بيتا من تبين لأنفد تبره قبل تبينه^{٤٩}.

علمه و معارفه عليه السلام:

قال ابن أبي الحديد : «و ما أقول في رجل تعزى اليه كلّ فضيلة، و تنتمي اليه كلّ فرقة، و تتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينوعها، و أبو عذرها، و سابق مضمارها، و مجلّى حليتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

و إنّ أشرف العلوم - و هو العلم الالهي -، من كلامه (عليه السلام) اقتبس و عنه نقل و اليه انتهى و منه ابتدأ ... و علم الفقه هو أصله و أساسه و كلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه و مستفيد من فقهه ... و علم تفسير القرآن عنه اخذ و منه فرّع .. و علم الطريقة و الحقيقة و أحوال التصوّف (!؟) إنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام اليه ينتهون، و عنده يقفون ... و علم النحو و العربية قد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه و أنشأه، و أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه و اصوله ...»

^{٤٧} (3) المصدر السابق من كتاب 31 رقم 57.

^{٤٨} (4) نهج البلاغة: 117.

^{٤٩} (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 43 / 414 ترجمة علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ثم قال: «وَأَمَّا الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء و سيّد البلغاء، و في كلامه قى ل: (دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين)، و منه تعلّم الناس الخطابة

ص: ٣٨

و الكتابة .. فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره، و يكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنّه لا يجارى في الفصاحة و لا يبارى في البلاغة ...»

ثم قال: «وَأَمَّا الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهاد، و بدل الأبدال، و إليه تشدّ الرحال، و عنده تنفض الأحلاس، ما شيع من طعام قطّ، و كان أخشن الناس مأكلا و ملبسا».

و أمّا العبادة فكان أعبد الناس و أكثرهم صلاة و صوما، و منه تعلّم الناس صلاة الليل و ملازمة الأوراد و قيام النافلة، و ما ظرك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهيرير^{٥٠} فيصلّى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا، فلا يرتاع لذلك، و لا يقوم حتى يفرغ من وظيفته .. و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته و وقفت على ما فيها من تعظيم ال له سبحانه و إجلاله و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستخذاء له؛ عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، و فهمت من أىّ قلب خرجت، و على أىّ لسان جرت . و قال على بن الحسين و كان الغاية في العبادة: عبادتي عند عبادة جدّي عبادة رسول الله (صلّى الله عليه و آله).

و أمّا قراءته القرآن و اشتغاله به فهو المنظور اليه في هذا الباب؛ اتفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و لم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه . و إذا رجعت الى كتب القراءات وجدت أئمة ال قرّاء كلّهم يرجعون اليه.

و ما أقول في رجل تحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنبوة، و تعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، و تصوّر ملوك الإفرنج و الروم صورته في بيوعها و بيوت عباداتها، حاملا سيفه؟ و ما أقول في رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكثّر به، و ودّ كلّ

ص: ٣٩

أحد أن يتجملّ و يتحسنّ بالانتساب إليه؟

و ما أقول في رجل سبق الناس الى الهدى .. لم يسبقه أحد الى التوحيد إلّا السابق لكلّ خير محمد رسول الله (صلّى الله عليه و آله)^{٥١}؟

ص: ٤١

الباب الثاني فيه فصول:

^{٥٠} (1) هي أشدّ ليلة مرّت على الجيشين في معركة صفّين، راجع مروج الذهب 2/ 389.
^{٥١} (1) من مقدمة ابن أبي الحديد لشرح نهج البلاغة 1/ 16 - 30 تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

الفصل الأول:

نشأة الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثالث:

من الولادة الى الإمامة

ص: ٤٣

الفصل الأول نشأة الإمام عليّ (عليه السلام)

نسبه الوضاء:

هو الإمام أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.

جدّه الكريم:

عبد المطلب شبيه الحمد، و كنيته أبو الحرث، و عنده يجتمع نسبه بنسب النبيّ (صلى الله عليه و آله) و كان مؤمنا بالله تعالى، و يعلم بأنّ محمدا سيكون نبيا^{٥٢}.

و لما حضرت عبد المطلب الوفاء دعا ابنه أبا طالب، فقال له : يا بني! قد علمت شدة حبيّ لمحمّد (صلى الله عليه و آله) و وجدى به أنظر كيف تحفظنى فيه؟ .. قال أبو طالب: يا أبة! لا توصنى بمحمّد فإنّه ابنى و ابن أخى^{٥٣}.

ص: ٤٤

والده:

عبد مناف، و قيل : عمران، و قيل : شبيه، و كنيته أبو طالب، و هو أخو عبد الله والد النبيّ (صلى الله عليه و آله) لأمّه و أبيه. ولد أبو طالب بمكة قبل ولادة النبيّ (صلى الله عليه و آله) بخمس و ثلاثين سنة، و انتهت إليه بعد أبيه عبد المطلب الزعامة المطلقة لقريش، و كان يروى الماء لوفود مكة كافة لأنّ السقاية كانت له، و رفض عبادة الأصنام فوحّد الله سبحانه،

^{٥٢} (1) الطبقات لمحمد بن سعد: 1/ 74 ط. ليدن.

^{٥٣} (2) كمال الدين للصدوق: 170 ط النجف الأشرف و 172 ط طهران عن ابن عباس و في موسوعة التاريخ الإسلامي 1/ 285.

و منع نكاح المحارم و قتل المؤودة و الزنا و شرب الخمر و طواف العراء في بيت الله الحرام ^{٥٤}. و لما توفي عبد المطلب؛ تكفل أبو طالب رعاية رسول الله (صلى الله عليه و آله) فكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، و كان لا ينأى أبداً إلى جنبه، و يخرج فيخرج معه، و كان يخصه بالطعام دون أولاده.

و روى أن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد (صلى الله عليه و آله) و ما أتبعتم أمره، فأتبعوه و أعينوه ترشدوا. و ما زالت قريش كافة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى مات أبو طالب ^{٥٥}.

توفي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين و بعد خروج بني هاشم مع النبي (صلى الله عليه و آله) من الشعب و عمره بضع و ثمانون سنة ^{٥٦}، و كان للنبي (صلى الله عليه و آله) تعلق شديد بأبي طالب، فقد عاش في كنفه (٤٣) عاماً منذ الثامنة من عمره الشريف حينما توفي جدّه عبد المطلب .. و قد ثبت أن أبا طالب كان موحداً مؤمناً بالله و معتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، و بقي على حاله هذه حتى وافاه الأجل، و إنما أخفى إيمانه لئلا يتمكن أن يكون له شأن و اتصال مع كفار مكة، و ليطلع على

ص: ٤٥

مكائدهم و مؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقية، و كان مثله كأصحاب الكهف في قومهم، و هو ممن آتاهم الله أجرهم مرتين لإيمانه و تقيته ^{٥٧}.

أمه:

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع هي و أبو طالب في هاشم، أسلمت و هاجرت مع النبي (صلى الله عليه و آله) و كانت من السابقات إلى الإيمان و بمنزلة الأم للنبي (صلى الله عليه و آله) ^{٥٨} ربته في حجرها، و لما ماتت فاطمة بنت أسد؛ دخل إليها رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجلس عند رأسها و قال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين و تشبعيني، و تعرين و تكسيني، و تمنعين نفسك طيب الطعام و تطعمني، تريدن بذلك وجه الله و الآخرة».

و غمضها، ثم أمر أن تغسل بالماء ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله (صلى الله عليه و آله) بيده، ثم خلع قميصه فألبسه إياها و كفت فوقه و دعا لها اسامة بن زيد مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أبا أيوب الأنصاري و عمر بن الخطاب و غلاماً أسود فحفروا لها قبرها، فلما بلغوا اللحد حفزه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بيده، و أخرج ترابه و دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبرها فاضطجع فيه، ثم قال: «اللهم الذي يحيي و يميت، و هو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد بن هاشم، و لقنها حجتها، و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء من قبلي، فإنك أرحم الراحمين» و أدخلها رسول الله (صلى الله عليه و آله) اللحد و العباس و أبو بكر ^{٥٩}.

^{٥٤} (1) روضة الواعظين للفتال: 121- 122 وصية أبي طالب لبني هاشم

^{٥٥} (2) الطبقات لابن سعد: 1/ 75.

^{٥٦} (3) الكامل في التاريخ لأبن الأثير: 2/ 90، راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي: 1/ 436.

^{٥٧} (1) بحار الأنوار: 35/ 72. و انظر: منية الطالب في إيمان أبي طالب للشيخ الطوسي، و أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخنيزي و

موسوعة التاريخ الإسلامي: 1/ 514- 517 و 596- 601.

^{٥٨} (2) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 31.

^{٥٩} (3) بصائر الدرجات: 71 عن الصادق (عليه السلام)، و راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي: 2/ 433- 437.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَ مَا لَمْ تَكُنْ وَضَعْتَهُ بِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِكَ:

ص: ٤٦

فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعَتْ فِي قَبْرِهَا لِيُخَفَّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ صَنَعًا إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَحِمَهُمَا»^{٦٠}.

ص: ٤٧

الفصل الثاني مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

وُلِدَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِعَقْدٍ وَاحِدٍ، وَعَاصَرَ أَرَاهَاصَاتِ الْبِعْثَةِ وَكُلَّ حَرَكَةِ الرِّسَالَةِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ - وَهُوَ عَهْدُ بِنَاءِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَتَكْوِينِ الْقَاعِدَةِ الرِّسَالِيَّةِ الصَّلْبَةِ - كَمَا عَاصَرَ كُلَّ أَحْدَاثِ الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ، حَيْثُ تَمَّ فِيهِ بِنَاءُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِقِيَادَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَسَاهَمَ بِكُلِّ وَجُودِهِ فِي بِنَاءِ هَذَا الْكِيَانِ الشَّامِخِ حَتَّى تَجَلَّى لِلْجَمِيعِ عَمَقُ وَجُودِهِ فِي هَذَا الْبِنَاءِ الرِّسَالِيِّ الْفَرِيدِ.

وَحَمَلَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَشْعَلَ الْهَدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) رَغْمَ تَرَاجُعِ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَى نَصُوصِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَخِذْلَانِهِمْ لِلْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَالْحِيلُولَةِ دُونَ اسْتِغْلَامِهِ لِلْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ .. وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي انْجَازِ مِهَامِهِ الرِّسَالِيَّةِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ وَعَايَشَ الْخُلَفَاءَ رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى مُحَلَّهُ مِنَ الْقِيَادَةِ مُحَلَّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى .. فَصَبَرَ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى مَدَّةِ عَقْدَيْنِ وَنِصْفِ عَقْدٍ حَتَّى انْكَشَفَتْ لِلْأُمَّةِ جَمْلَةُ مِنْ نَتَائِجِ انْحِرَافِهَا الْخَطِيرِ عَنْ تَخْطِيطِ الرَّسُولِ الْأَمِينِ.

مِنْ هُنَا التَّجَلَّتْ الْأُمَّةُ إِلَى الْإِمَامِ لِتُسَلِّمَ لَهُ زِمَامَ أَمْرِهَا بَعْدَ تِلْكَ الْخُطُوبِ وَذَلِكَ التَّصَدُّعِ الَّذِي طَالَ كِيَانَهَا فَحَمَلَ عِبَ الْقِيَادَةِ بِكُلِّ جِدَارَةٍ خِلَالَ نِصْفِ عَقْدٍ فَقَطْ حَتَّى قَدَّمَ دَمَهُ الطَّاهِرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَخِيصًا يَبْتَغِي بِهِ رِضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى تَنْبِيْثًا لِلْقِيَمِ الرِّسَالِيَّةِ الَّتِي جَاهَدَ مِنْ أَجْلِ أَرْسَائِهَا فِي وَجْدَانِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَضَمِيرِ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ.

ص: ٤٨

وَعَلَى هَذَا تَنْقَسِمُ حَيَاةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى شَطْرَيْنِ رَئِيسَيْنِ:

الشَّطْرُ الْأَوَّلُ: حَيَاتُهُ مِنْذُ وَلَادَتِهِ وَحَتَّى وَفَاةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

الشَّطْرُ الثَّانِي: حَيَاتُهُ مِنْ حِينَ وَفَاةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَتَوَلَّيَهُ لِمِهَامِ الْإِمَامَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَحَتَّى اسْتِشْهَادِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مُحَرَابِ الْعِبَادَةِ.

وَنَظَرًا لِتَنَوُّعِ الْأَدْوَارِ وَالظُّرُوفِ الَّتِي عَاشَهَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُمْكِنُنَا أَنْ نَصْنِفَ حَيَاتَهُ إِلَى عِدَّةٍ مَرَاحِلَ:

^{٦٠} (1) الفصول المهمة لابن الصبَّاح: 32، وفي فرائد السمطين: 1/ 379: «صَنَعْتُ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ» وَرَوَى إِسْلَامُ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ وَهَجَرَتِهَا وَحَنَانِهَا وَرِعَايَتَهَا لِلرَّسُولِ وَوَفَاتِهَا وَمَا قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي فَضْلِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْحَفَاطِ وَالْمُؤَلِّفِينَ فِي كُتُبِهِمْ كَابْنِ عَسَاكِرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَمُحِبِّ الدِّينِ الطَّبْرِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ وَالشَّيْبَلَنَجِيُّ وَابْنُ الصَّبَّاحِ الْبَلَاذَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ

المرحلة الاولى: من الولادة الى البعثة النبوية المباركة.

المرحلة الثانية: من البعثة الى الهجرة.

المرحلة الثالثة: من الهجرة الى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

و هذه المراحل الثلاث تدخل في الشطر الأول من حياته و قد تجلّى فيها انقياده المطلق للرسول (صلى الله عليه وآله) و الدفاع المستميت عن الرسالة و الرسول (صلى الله عليه وآله).

المرحلة الرابعة: حياة الإمام في عهد (أبي بكر و عمر و عثمان).

المرحلة الخامسة: حياته في عهد دولته.

و سوف ندرس المراحل الثلاث الاولى في الفصل الثالث من الباب الثاني.

كما نبحت عن المرحلة الرابعة من حياته في الباب الثالث بفصوله الأربعة، و نخصص الباب الرابع بالمرحلة الخامسة من حياته (عليه السلام).

ص: ٤٩

الفصل الثالث [في مراحل حياته]

المرحلة الاولى: من الولادة الى البعثة النبوية المباركة

ولادته:

قال عليّ (عليه السلام): «فإنني ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإيمان و الهجرة»^{٦١}.

ولد الإمام عليّ (عليه السلام) بمكة المشرفة داخل البيت الحرام و في جوف الكعبة في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث و عشرين سنة، و لم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد سواه، و هي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالا له و إعلاء لمرتبته و إظهارا لتكريمته^{٦٢}.

روى عن يزيد بن قعنب أنّه قال : كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب و فريق من بنى عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كانت حاملا به لتسعة أشهر و قد أخذها الطلق، فقالت : يا ربّ

^{٦١} (1) نهج البلاغة «صبحي الصالح»: الخطبة 57 ص 92، و أمالي الطوسي: ص 364 الرقم 765، و مناقب آل أبي طالب: 2/ 107، و شرح النهج لابن أبي الحديد: 4/ 114، و بحار الأنوار: 41/ 217.

^{٦٢} (2) خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي 39، و الغدير للأميني: 6/ 22، و المستدرك للحاكم النيشابوري 3/ 483، و الكفاية للحافظ الكنجي الشافعي و الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية للألوسي صاحب التفسير، و مروج الذهب للمسعودي، و السيرة النبوية، و موسوعة التاريخ الإسلامي 1/ 306-310.

إني مؤمنة بك و بما جاء من عندك من رسل و كتب، و إني مصدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل (عليه السلام) و إنه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت، و بحقّ المولود

ص: ٥٠

الذي في بطنى إلّا ما يسّرت علىّ ولادتي.

قال يزيد: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره، و دخلت فاطمة فيه، و غابت عن أبصارنا و عاد الى حاله و التزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عزّ و جلّ، ثمّ خرجت في اليوم الرابع و على يدها أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب (عليه السلام)^{٦٣}.

و أسرع البشير إلى أبي طالب و أهل بيته فأقبلوا مسرعين و البشر يعلو وجوههم، و تقدّم من بينهم محمّد المصطفى (صلّى الله عليه و آله) فضمه الى صدره، و حمله الى بيت أبي طالب - حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمه منذ زواجه - و انقذ في ذهن أبي طالب أن يسمّى وليده «عليّاً» و هكذا سمّاه، و أقام أبو طالب وليمة على شرف الوليد المبارك، و نحر الكثير من الأنعام^{٦٤}.

كناه و ألقابه:

إن لأمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) ألقاباً و كنى و نعوتاً يصعب حصرها و الإلمام بها، و كلّها صادرة من رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في شتى المواقف و المناسبات العديدة التي وقفها (عليه السلام) لنشر الإسلام و الدفاع عنه و عن الرسول.

فمن ألقابه (عليه السلام): أمير المؤمنين، و يعسوب الدين و المسلمين، و مبير^{٦٥} الشرك و المشركين، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و مولى المؤمنين، و شبيه هارون، و المرتضى، و نفس الرسول، و أخوه، و زوج البتول، و سيف الله المسلول، و أمير البرّة، و قاتل الفجرة، و قسيم الجنّة و النار، و صاحب اللواء، و سيّد

ص: ٥١

العرب، و خاصف النعل، و كشّاف الكرب، و الصديق الأكبر، و ذو القرنين، و الهادي، و الفاروق، و الداعي، و الشاهد، و باب المدينة، و الوالي، و الوصى، و قاضى دين رسول الله، و منجز وعده، و النبا العظيم، و الصراط المستقيم، و الأنزع البطين^{٦٦}.

و أمّا كناه فمناها: أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب.

الإعداد النبوي للإمام علىّ (عليه السلام):

^{٦٣} (1) علل الشرائع للصدوق: ص 56، و روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص 67، و بحار الأنوار: 8/35، و كشف الغمة للأربلي: 1/82.

^{٦٤} (2) بحار الأنوار: 18/35.

^{٦٥} (3) يعسوب: يقصد به هنا سيّد قومه المبير: المهلك.

^{٦٦} (1) كشف الغمة للأربلي: 93/1. و قد وردت ألقاب أخرى عديدة لأمير المؤمنين في مصادر الرواة و المحدثين منها: صحيح الترمذي و الخصائص للنسائي و المستدرک للحاكم النيسابوري و حلية الأولياء للأصفهاني و اسد الغابة لابن الأثير و تاريخ الإسلام للذهبي و غيرهم

كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يتردد كثيرا على دار عمّه أبى طالب بلرغم من زواجه من خديجة و عيشه معها فى دار منفردة، و كان يشمل عليّا (عليه السلام) بعواطفه، و يحوطه بعنايته، و يحمله على صدره، و يحرك مهبه عند نومه الى غير ذلك من مظاهر العناية و الرعاية^{٦٧}.

و كان من نعم الله عزّ و جلّ على عليّ بن أبى طالب (عليه السلام) و ما صنع الله له و أراد به من الخير أن قرّيشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعبّاس - و كان من أيسر بنى هاشم -: «يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحدا، و تأخذ واحدا، فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلًا فاصنعا

ص: ٥٢

٦٨

ما شئتما، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّا (عليه السلام) فضمّه إليه و كان عمره يومئذ ستة أعوام، و أخذ العبّاس جعفرا، فلم يزل عليّ بن أبى طالب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبيّا، فاتّبعه عليّ (عليه السلام) فآمن به و صدّق، و لم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم و استغنى عنه^{٦٩}.

و قد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن اختار عليّا (عليه السلام): «قد اخترت من اختاره الله لى عليكم عليّا»^{٧٠}.

و هكذا آن لعليّ (عليه السلام) أن يعيش منذ نعومة أظفاره فى كنف محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث نشأ و ترعرع فى ظل أخلاقه السماويّة السامية، و نهل من ينابيع مودّته و حنانه، و ربّاه (صلى الله عليه وآله) وفقا لما علّمه ربّه تعالى، و لم يفارقه منذ ذلك التاريخ.

و قد أشار الإمام عليّ (عليه السلام) الى أبعاد التربية التى حظى بها من لدن استاذه و مربّيه النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) و آله و مداها و عمق أثرها، و ذلك فى خطبته المعروفة بالقاصعة: «و قد علمتم موضعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

^{٦٧} (2) بحار الأنوار: 43/35.

^{٦٨} گروه مؤلفان، أعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

^{٦٩} (1) تاريخ الطبري: 58/2 ط مؤسسة الأعلمي بيروت، و شرح ابن أبي الحديد: 13/198، و ينابيع المودة:

202، و كشف الغمة: 1/104، و موسوعة التاريخ الإسلامى: 1/351-356.

^{٧٠} (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/15، نقلا عن البلاذري و الأصفهاني

آله) بالقرابة القريبة، و المنزل الخصىصة^{٧١}، وضعنى فى حجره و أنا ولد، يضمّننى إلى صدره، و يکنفنى فى فراشه، و یمسّننى جسده، و یشمّننى عرفه^{٧٢}، و كان یمضع الشىء ثمّ یلقمنیه، و ما وجد لى كذبة فى قول، و لا خطلة^{٧٣} فى فعل».

الى أن قال: «و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل^{٧٤} أثر أمّه، یرفع لى فى كلّ يوم من

ص: ٥٣

أخلاقه علما^{٧٥}، و يأمرنى بالاعتداء به، و لقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء^{٧٦}، فأراه و لا يراه غيرى، و لم یجمع بیت واحد یومئذ فى الإسلام غیر رسول الله (صلّى الله علیه و آله) و خدیجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحى و الرسالة، و أشمّ ریح النبوة، و لقد سمعت رنة^{٧٧} الشیطان حین نزل الوحى علیه (صلّى الله علیه و آله) فقلت: یا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشیطان آیس من عبادته، إنک تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلّا أنّک لست بنبى، و لكنّک وزیر، و أنّک لعلی خیر»^{٧٨}.

المرحلة الثانية: من البعثة الى الهجرة

علیّ (علیه السّلام) أول المؤمنین برسول الله (صلّى الله علیه و آله):

لقد نشأ رسول الله (صلّى الله علیه و آله) على قیّم إلهیة سامیة كما صرّح بذلك القرآن الکریم بقوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**^{٧٩}، فكان النموذج المغایر لإنسان الجزیره فى معتقده و تفکیره و سلوکه و أخلاقه، فسلک منذ نعومة أظفاره خطأ موازیا لقیّم رسالات الأنبیاء سیما شیخهم إبراهیم الخلیل (علیه السّلام)، و كان فى قناعة الرسول (صلّى الله علیه و آله) أنّ هذا الخطأ لا یلتقى بقیّم المجتمع الجاهلی، من هنا بدأ (صلّى الله علیه و آله) بإنشاء نواة الاسرة المؤمنة المتكونة منه و خدیجة و علیّ (علیهم السّلام).

و قرّر أن یشقّ مجرى التأریخ، و أن یفتح طریقا وسط التیار العام، و أن یقاوم بتلك الاسرة الانحراف السائد، و أن یحدث موجا هادرا یتحوّل شیئا فشیئا إلى تیار جارف للوثنیة و الجاهلیة من ربوع الأرض، إنّ علیّ بن أبى طالب (علیه السّلام) و الذى تربّى فى حجر الرسول (صلّى الله علیه و آله) لم یسجد لصنم قطّ، و لم یشرك بالله طرفة

ص: ٥٤

عین. و عندما نزل الوحى على رسول الله (صلّى الله علیه و آله) كان علیّ (علیه السّلام) الى جانبه، و كان أوّل من آمن برسالاته (صلّى الله علیه و آله) كما شهدت بذلك عامّة مصادر التأریخ.

^{٧١} (3) الخصىصة: الخاصة.

^{٧٢} (4) عرفه (بالفتح): رائحته، و أكثر استعماله فى الطبیب.

^{٧٣} (5) الخطلة: الخطأ ینشأ من عدم الرؤیة.

^{٧٤} (6) الفصيل: ولد الناقة.

^{٧٥} (1) علما: فضلا ظاهرا.

^{٧٦} (2) حراء: جبل قرب مکة.

^{٧٧} (3) رنة الشیطان: صوته.

^{٧٨} (4) شرح نهج البلاغة للفیض: 802، الخطبة 234.

^{٧٩} (5) القلم (68): 4.

و عن أنس بن مالك قال: انزلت النبوة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين و صلى على (عليه السلام) يوم الثلاثاء.^{٨٠}

كما روى عن سلمان الفارسي أنه قال: أول هذه الأمة ورودا على نبيها (صلى الله عليه وآله) الحوض، أولها إسلاما علي بن أبي طالب (عليه السلام).^{٨١}

و عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع عمر بن الخطاب و هو يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلّا بخير، فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: في علي ثلاث خصال، وددت أن لي واحدة منهن، كل واحدة منه ن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، و ذلك أنني كنت أنا و أبو بكر و أبو عبيدة بن الجراح و نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ضرب النبي على كتف علي بن أبي طالب و قال: يا علي، أنت أول المسلمين إسلاما، و أنت أول المؤمنين إيمانا، و أنت مني بمنزلة هارون من موسى، كذب من زعم أنه يحبني و هو مبغضك.^{٨٢}

و إذ اتفق المؤرخون على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أول الناس إسلاما^{٨٣}؛ فقد

ص: ٥٥

اختلفوا في سنه حين أعلن إسلامه، و الخوض في تحديد عمر الإمام (عليه السلام) حين إسلامه لا يجدي نفعا بعد أن عرفنا أنه لم يكفر حتى يسلم و لم يشرك حتى يؤمن، و لقد قال سلام الله عليه: «ولدت على الفطرة»، و من هنا اتفقت كلمة المحدثين جميعا على احترام هذه الفضيلة و تقدسها بقولهم له حين ذكره «علي كرم الله وجهه» فكان الإسلام في أعماق قلبه بعد أن احتضنه حجر الرسالة، و غذته يد النبوة، و هذبته الخلق النبوي العظيم.

قال الاستاذ العقاد و هو يتحدث عن الإمام علي (عليه السلام): لقد ولد مسلما على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة و الروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام، و لم يعرف قط عبادة الأصنام، فهو قد تربى في البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، و عرف العبادة من صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) و زوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه و أمه.^{٨٤}

علي (عليه السلام) أول من صلى:

عاش الإمام علي (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل متغيرات حياة الرسول الأعظم، فكان يرى في محمد المثل الكامل الذي يشبع تطلعاته و عبقرياته، فكان يحاكيه في أفعاله و يرصده في حركاته و يقتدى به و يطيعه في

^{٨٠} (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 41/1، و الكامل في التاريخ: 58/2، و تاريخ الطبري: 55/2، و سنن الترمذي: 600/5 الحديث 3735.
^{٨١} (2) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة: 29/3، و تاريخ الطبري: 55/2 و فيه: علي أول من أسلم، و في تاريخ دمشق لابن عساكر: 32/1، 36، 65 ذكر أن عليا أول من أسلم، و تاريخ بغداد: 81/2 رقم 459.
^{٨٢} (3) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 126، و تاريخ دمشق لابن عساكر: 331/1 رقم الحديث 401.
^{٨٣} (4) من مصادر حديث أن علي بن أبي طالب أول من أسلم سنن البيهقي: 206/6، و مسند أبي حنيفة: رقم 368 ص 173، و تاريخ الطبري: 55/2 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التاريخ: 57/2، و أسد الغابة: 16/4، تاريخ ابن خلدون: ج 3/ص 715، بدء الوحي و السيرة النبوية: 1/262، و السيرة الحلبية: 1/432، و مروج الذهب: 2/283، و عيون الأثر: 1/92، و الإصابة في معرفة الصحابة: 2/507، و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: 2/18.
^{٨٤} (1) عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ص 43. و قد ذكر العلامة الأميني في كتابه الغدير: 3/220-236 ما يربو على 66 حديثا في أسبقية إسلام الإمام علي (عليه السلام) على غيره من الصحابة.

كلّ أوامره و نواهيه قبل البعثة النبويّة الشريفة و حتى آخر لحظة من عمر النبيّ (صلى الله عليه و آله)، كما أجمع المؤرّخون على أنّه لم يردّ على رسول الله كلمة قطّ.

و قد صرّح الإمام (عليه السّلام) بأنّه أوّل من صلى بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) قائلاً:

«لم يسبقني إلّا رسول الله بالصلاة».^{٨٥}

ص: ٥٦

كما روى عن حبة العرنى أنّه قال: رأيت عليّاً (عليه السّلام) يوماً ضحك ضحكا لم أره ضحك ضحكا أشدّ منه حتى أبدى ناجذته، ثمّ قال: «اللّهم لا أعرف أن عبدا من هذه الأمّة عبدك قبلي غير نبيّها (صلى الله عليه و آله)».^{٨٦}

و جاء في تفسير قوله تعالى: **وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**^{٨٧} عن ابن عباس: أنّها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عليّ بن أبي طالب و هما أوّل من صلى و ركع.^{٨٨}

كما جاء عن أنس بن مالك: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ و على عليّ سبعا، و ذلك أنّه لم يرفع إلى السماء شهادة لا إله إلّا الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله إلّا منّي و منه».^{٨٩}

أوّل صلاة جماعة في الإسلام:

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكّة مستخفيا، و أخرج عليّاً (عليه السّلام) معه فيصلّيان ما شاء الله، فإذا قضيا رجعا الى مكان هما، فمكتنا يصلّيان على استخفاء من أبي طالب و سائر عمومتهما و قومهما، ثمّ إنّ أبا طالب مرّ عليهما فقال لرسول الله (صلى الله عليه و آله): ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال (صلى الله عليه و آله): «هذا دين الله و ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم، بعثنى الله به نبيا إلى العباد، و أنت يا عمّ أحقّ من أبديت النصيحة له و دعوته إلى الهدى، و أحقّ من أجابني اليه و أعانني عليه».

و قال عليّ (عليه السّلام): «يا أبت، قد آمنت برسول الله (صلى الله عليه و آله) و اتّبعته و صلّيت معه لله».

ص: ٥٧

فقال له: يا بنيّ، أما إنّ لم يدعك إلّا إلى الخير فالزمه.^{٩٠}

و هناك موقف آخر لعنّه العباس رواه عفيف الكندي حيث قال:

^{٨٥} (2) نهج البلاغة للفيض: 397 الخطبة 131.

^{٨٦} (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 49 / 1 رقم الحديث 88.

^{٨٧} (2) البقرة (2): 43.

^{٨٨} (3) شواهد التنزيل للحسكاني: 85 / 1.

^{٨٩} (4) المناقب لابن المغازلي: 14 رقم الحديث 19، و روى نحوه الشيخ المفيد في الارشاد: 30 الفصل 1 الباب 2، و اسد الغابة لابن الأثير: 4 / 18 مثله.

^{٩٠} (1) الفصول المهمّة لابن الصباغ 33، و الكامل في التاريخ 58 / 1، و أخرج مثله الطبري في تأريخه 58 / 2.

كنت إمراً تاجراً فقدمت الحجّ، فأتييت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، فوالله إنني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي، فقلت للعبّاس : ما هذا يا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، فقلت : من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: من هذا الفتى؟ قال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّه، قلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي وهو يزعم أنّه نبيّ، ولم يتبعه على أمره إلّا امرأته وابن عمّه هذا الغلام، وهو يزعم أنّه سيفتح على أمته كنوز كسرى وقيصر^{٩١}.

نعم، بعد أن تشكّلت نواة الأمّة الإسلامية المباركة من رسول الله و عليّ وخديجة، وأخذ خبر الدين الجديد يتفشّى في صفوف القرشيين، و طفق الذين هداهم الله للإيمان يتقاطرون على الإسلام، وأخذ عود المسلمين يقوى و يشتدّ أزره، و بعد عدّة سنوات تحوّل الى كيان قوى و قادر على الإعلان عن نفسه على الجماهير و المواجهة و التحديّ من أجل الدين و العقيدة .. فأمر الله سبحانه و تعالى نبيّه الكريم (صلى الله عليه و آله) أن يصدع بما يؤمر، و كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل ذلك إذا أرادوا الصلاة يذهبون إلى الشعاب فيستخفون. فلما صلى بعض الصحابة في الشعب أطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب و الأخنس بن

ص: ٥٨

شريق و غيرهما، فسبّوهم و عابوهم حتى قاتلوهم^{٩٢}.

عليّ (عليه السّلام) حين إعلان الرسالة: حديث يوم الإنذار:

و حديث يوم الإنذار هو الحديث الخاص عن اجتماع عشيرة النبيّ (صلى الله عليه و آله) بدعوة منه لغرض دعوتهم الى بيعته و مؤازرته، و كان أوّل من أعلن استجابته لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ذلك اليوم من عشيرته الأقربين: هو عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام).

و قد ذكر المفسّرون و المؤرّخون و منهم الطبري في تأريخه و تفسيره معاً أنّه لما نزلت **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ضاق ذرعاً لما كان يعلم به من معاندة قريش و حسدهم، فدعا عليّاً (عليه السّلام) ليعينه على الإنذار و التبليغ.

قال الإمام عليّ (عليه السّلام): دعاني رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً و علمت أنّي متى ابادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتّ عليه حتى جاءني جبرئيل فقال : يا محمّد إلّا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربّك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، و اجعل عليه رجل شاة، و املاً لنا عساً من لبن، و اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلمهم و أبلغهم ما امرت به.

^{٩١} (2) مسند أحمد: 29 / 1، و الخصائص للنسائي: 3، و تأريخ دمشق لابن عساكر: 58 / 1، و كفاية الطالب للكنجي: 129، و الكامل في التّاريخ: 57 / 2.
^{٩٢} (1) الكامل في التّاريخ: 60 / 2، السيرة النبوية: 315 / 1 ط دار الفرقان بيروت لبنان.

فصنع علىّ (عليه السّلام) ما أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعاهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب و حمزة و العباس و أبو لهب فأكلوا، قال علىّ (عليه السّلام): فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة، و ما أرى إلّا موضع أيديهم، و أيم الذى نفس علىّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): إسق القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشرّبوا منه حتى رووا منه جميعاً، و أيم الله إنّه كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن

ص: ٥٩

يكلّمهم بادره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، ففترّق القوم و لم يكلّمهم الرسول (صلى الله عليه وآله) فأمر علىّ في اليوم الثّاني أن يفعل كما فعل آنفاً، و بعد أن أكلوا و شربوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بنى عبد المطلب! إننى و الله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتمكم به، إننى قد جئتمكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم اليه، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى و خليفتى فيكم، فأحجم القوم عنه جميعاً إلّا علىّ، فقد صاح فى حماسة: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) برقبة علىّ و قال: إن هذا أخى و وصيّى و خليفتى فىكم، فاسمعوا له و أطيعوا، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع^{٩٣}.

إذا كان يوم الدار يوم الإعلان الصريح عن بداية مرحلة جديدة فى حياة النبيّ و حياة الدعوة الإسلامية، و قد اتّسمت بالتحديّ المتبادل ثمّ المواجهة السافرة بين الإسلام و الشرك.

و من تتبّع سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أحاط علماً بجميع شؤونها و تفاصيلها فى بدء تشكيل الحكومة الإسلامية و تشريع أحكامها و تنظيم شؤونها و مجرياتها وفق الأوامر الإلهية؛ يرى أنّ علياً (عليه السّلام) وزير النبيّ فى كلّ أمره و ظهيره على عدوّه، و ساعده الذى يضرب و يبنى به و صاحب أمره الى نهاية عمره الشريف . و كان يوم الدار و الإنذار يوم المنطلق الذى لم يشهد ناصراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كعلى بن أبى طالب، شعاراً و شعوراً و جهاداً و فداءً.

علىّ (عليه السّلام) من إعلان الرسالة الى الهجرة النبويّة المباركة:

عجزت قريش عن إيقاف مدّ الدعوة الإسلامية و منع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من التبليغ

ص: ٦٠

و الهداية، فقد خابت مؤامراتهم و دسائسهم، و فشلت تهمهم و تهديداتهم، لأنّ أبا طالب كان الكهف الحصين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى لم يزل يدفع عنه أذى قريش و جبروتها، فلجأت قريش الى طريقة جبانة تنمّ عن حقدها و

^{٩٣} (1) تأريخ الطبري: 63 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التّاريخ: 62 / 2، و مثله في الإرشاد للمفيد: 42 الباب 2 الفصل 7، و أيضاً في تفسير مجمع البيان: 206 / 7 و تأريخ دمشق لابن عساكر: 86 / 1.

ضعفها دفعت بالصبيان والأطفال للتعرض للنبي (صلى الله عليه وآله) ورميه بالحجارة، وهنا كان الدور الحاسم لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ لا يتسنى لأبي طالب - وه و شيخ الهاشميين الكبير - مطاردة الصبيان، فكان علي يطارد الصبيان المترصدين للنبي و يذودهم عنه^{٩٤}.

علي (عليه السلام) في شعب أبي طالب:

و حين أسرع الإسلام ينتشر في مكة و أصبح كيانا يقض مضاجع المشركين و خطرا كبيرا يهدد مصالحهم؛ عمد المشركون الى اسلوب الغدر و القهر لإسكات صوت الرسالة الإسلامية، فشهروا سيوف البغي و لم يتوان أبو طالب في إحكام الغطاء الأمين للرسول (صلى الله عليه وآله)، لما له من هيبة و مكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النيل من النبي (صلى الله عليه وآله) لأن ذلك يعنى مواجهة علنية مع أبي طالب و بنى هاشم جميعا، و قريش في غنى عن هذه الخطوة الباهضة التكاليف.

فاتجهوا نحو المستضعفين المسلمين من العبيد و الفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب و القهر و المعاناة ليردوهم عن دينهم و تمسكهم بالنبي (صلى الله عليه وآله). و لم تلق قريش غير الصمود و الإصرار على الإسلام و الالتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل حل لتخليص المستضعفين من المسلمين هو الخروج من مكة الى الحبشة^{٩٥}.

و لما لم يبق في مكة من المسلمين إلا الوجهاء و الشخصيات فقد كانت

ص: ٤١

المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، و عندها سقطت كل الخيارات، و لم يبق أمام قريش إلا أن تلجأ الى عمل يضعف الرسول (صلى الله عليه وآله) و يجنبها القتال، فكان قرارهم حصار بنى هاشم و من معهم إجتماعيا و اقتصاديا باعتبارهم الحماية التي تقى الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبية مع بنى هاشم.

و تجمع المسلمون و بنو هاشم في شعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أى محاولة هجومية قد تقوم بها قريش^{٩٦}.

و للمزيد من الاحتياط و الحرص على سلامة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلا حرصا على سلامته من الاغتيال و المباغنة من قبل الأعداء من خارج الشعب^{٩٧}، و كان علي (عليه السلام) يسارع إلى الامتثال لأوامر والده و يضطجع في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) فاديا نفسه من أجل الرسالة و حاملها.

^{٩٤} (1) الاختصاص للمفيد: 146.

^{٩٥} (2) سيرة ابن هشام: 321 / 1.

^{٩٦} (1) سيرة ابن هشام: 350 / 1، و اعلام الوری: 125 / 1.

^{٩٧} (2) البداية و النهاية لابن كثير: 84 / 3.

و لم يكتف على (عليه السلام) بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشعب الى مكة سرّاً ليأتى بالطعام الى المحاصرين^{٩٨}، إذ اضطرّوا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصبية إلا من ملك جنانا ثابتا و قلبا شجاعا و وعيا رساليا و حبا متفانيا للرسول (صلى الله عليه و آله)، ذلك هو على ابن أبي طالب (عليه السلام) الذي قضى في الشعب جزء من زهرة شبابه حيث دخله و عمره سبعة عشر عاما و خرج منه و عمره عشرون عاما، فكانت تجربة جديدة في

ص: ٦٢

حياته عودته على الاستهانة بالمخاطر، و أهله لتلقّي الطوارئ و المهام الجسام، و جعلته أكثر التصاقا بالنبي (صلى الله عليه و آله) كما عودته على الصبر و الطاعة و التفاني في ذات الله تعالى و حبّ الرسول (صلى الله عليه و آله).

على (عليه السلام) و الهجرة الى الطائف:

لقد تراكمت الأحداث على الرسول، و اشتدّت قريش في تحدّيه و إيذاؤه بعد وفاة عمّه أبي طالب، و لم يعد في مكة من تهابه قريش و ترعى له حرمة، حتى قال النبي (صلى الله عليه و آله): «ما زالت قريش كاعّة عنّي حتى مات أبو طالب»^{٩٩} فكان عليه أن يغيّر مكانه و يستبدله بمكان أكثر أمنا يستطيع منه الانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية الى أرجاء الجزيرة العربية و العالم أجمع، فأخذ يعرض نفسه على القبائل و ابتداءً أولاً بالطائف، و بعد عشرة أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، بل أغرت به الصبيان و ا لخدم و العبيد ليرشقوه بالحجارة، فوقف على (عليه السلام) و معه زيد بن حارثة يتلقّيان الضربات و يمتنعان الصبيبة عن مواصلة الاعتداء حتى اصيبا بجروح في جسدهما، و مع ذلك تعرّض رسول الله (صلى الله عليه و آله) للإصابة و سالت الدماء من ساقيه^{١٠٠}.

و روى أنّه كان للنبي (صلى الله عليه و آله) عدّة هجرات اخرى تحرّك خلالها لعرض نفسه على القبائل لنشر الدعوة الإسلامية و تحصين دعوته، و لم يكن معه في حركته إلا على بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج الى بني عامر بن صعصعة و الى ربيعة و بني شيبان^{١٠١}. و على يلازمه في كلّ خطواته

ص: ٦٣

على (عليه السلام) في بيعة العقبة الثانية:

و حين تمّ الاتفاق على اللقاء التاريخي بين طلائع المسلمين القادمين من المدينة مع قائدهم الرسول (صلى الله عليه و آله) في بيت عبد المطلب سرّاً وقف الى جانب الرسول عمّه حمزة و على و العباس^{١٠٢}، و تمت البيعة على أفضل شكل.

^{٩٨} (3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 256 / 13.
^{٩٩} (1) أعيان الشريعة: 235 / 1، و سيرة ابن هشام: 57 / 2.
^{١٠٠} (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 127 / 1.
^{١٠١} (3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 125 / 4.
^{١٠٢} (1) السيرة الحلبية: 174 / 2.

و على رغم كل التدابير التي اتخذت لسريّة اللقاء و إنجاحه إذ تمّ انعقاده دون علم أحد حتى من المسلمين، إلّا أنّ أنباءه قد تسرّبت الى المشركين، فتنجّموا و أقبلوا مع أسلحتهم الى مكان الاجتماع، فخرج اليهم حمزة و معه عليّ (عليه السّلام) بسيفهما، فسألوا حمزة عن الاجتماع فأنكر ذلك فرجعوا خائبين .

إنّ حضور عليّ (عليه السّلام) في هذا الحدث الهام و الاجتماع التاريخي يكشف عن دور عليّ (عليه السّلام) في أهمّ لحظات الدعوة و تأريخ الرسالة، لأنّه كان يعطى الأنصار صورة جيّدة عن رسول الإسلام و عن حماية بنى هاشم له (صلّى الله عليه و آله) فتزداد ثقتهم و اطمئنّانهم بالدعوة و الرسالة الإسلامية.

و كان تخطيطاً موفّقاً و تدبيراً محكماً من النّبىّ (صلّى الله عليه و آله)، إذ استعان بأشجع رجال بنى هاشم حمزة و عليّ (عليهما السّلام) فهما اللذان عرفا بالبأس و الشدّة في توفير القدر الكافي من الحماية للرسول و للرسالة معا.

عليّ (عليه السّلام) ليلة هجرة الرسول (صلّى الله عليه و آله) الى المدينة

كان الانفتاح الرسالي العظيم الذي قام به النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) إثر المعاهدة التي أبرمها مع الأوس و الخزرج في بيعة العقبة الثانية^{١٠٣}، و الذي كان نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية الى العالم الأوسع، و الخطوة الكبيرة لبناء المجتمع الرسالي

ص: ٦٤

المؤمن، بعد أن انتشر الإسلام في يثرب بجهود الصفوة من الدعاة المخلصين و المضحيين من أجل الله و نشر تعاليم الإسلام، و بدأ أصبح للمسلمين بقعة آمنة تمثّل محطة مركزية و مهمة لبلورة العمل الثقافي و التربوي و الدعوة الإلهية في مجتمع الجزيرة العربية.

و حين تمادى طغاة قريش في إيذاء المسلمين و الضغط عليهم لإرغامهم على ترك الدين الإسلامي و فتحهم عن نصره النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) و حين كثر عتوّهم و اضطهادهم؛ أمر النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) أصحابه بالهجرة إلى يثرب، فقال (صلّى الله عليه و آله): «إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها و إخواناً»، فخرجوا على شكل مجاميع صغيرة و بدفعات متفرقة خفية عن أنظار قريش^{١٠٤}.

و مع كلّ المعاناة التي لاقاها النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) من القريب و البعيد و الضغوط و التكذيب و التهديد حتى قال (صلّى الله عليه و آله): «ما اودى أحد مثل ما اوديت في الله»^{١٠٥} فإنّ أملّه بالنصر على الأعداء و النجاح من تبليغ الدعوة الإسلامية لم يضعف، وثقته المطلقة بالله كانت أقوى من قريش و مؤامراتها، و قد عرفت قريش فيه (صلّى الله عليه و آله) ذلك و تجسّدت لديها الأخطار التي ستكشف عنها السنون المقبلة إذا تسنّى لمحمّد (صلّى الله عليه و آله) أن يلتحق بأصحابه و يتخذ من يثرب مستقراً و منطلقاً لنشر دعوته، فأخذوا يعدّون العدة و يخطّطون للقضاء على يه قبل فوات الأوان على شرط أن لا يتحمّل مسؤوليّة قتله شخص معيّن أو قبيلة لوحدها، فلا تستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة القبائل جميعاً في دم صاحبهم فيرضون حينئذ بالعقل منهم.

^{١٠٣} (2) السيرة النبوية لابن هشام: 1/ 440، و موسوعة التاريخ الإسلامي: 1/ 700.

^{١٠٤} (1) السيرة النبوية لابن هشام: 1/ 480، و المناقب لابن شهر آشوب: 1/ 182، و موسوعة التاريخ الإسلامي:

717/1.

^{١٠٥} (2) كنز العمال: 3/ 130، ح 5818، حلية الأولياء: 6/ 333.

فكان القرار بعد أن اجتمعوا في دار الندوة وقد كثرت الآراء بينهم أن

ص: ٦٥

يردوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً معروفاً في قبيلته، و يعطى كل منهم سيفاً صارماً ثم يجمعون على النبي (صلى الله عليه وآله) في داره، و يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، و اتفقوا على ليلة تنفيذ الخطّة، فأتى جبرئيل الى النبي و أخبره بذلك، و أمره أن لا يبيت في فراشه، و أذن له بالهجرة، فعند ذلك أخبر علياً بامورهم و أمره أن ينام في مضجعه على فراشه الذي كان ينام فيه، و وصاه بحفظ ذمته و أداء أمانته، و قال له أيضاً : «إذا أبرمت ما أمرتك به؛ فكن على اهبة الهجرة الى الله و رسوله، و سر لقدم كتابي عليك»^{١٠٦}، و هنا تتجلى صفحة من صفحات عظمة علي (عليه السلام)، إذ استقبل أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بنفس مؤمنة صابرة مطمئنة، فرسم لنا أكمل صورة للطاعة المطلقة في أداء المهمات استسلاماً واعياً للقائد و تضحية عظيمة من أجل العقيدة و المبدأ، فما كان جوابه (عليه السلام) إلّا أن قال للرسول (صلى الله عليه وآله): «أو تسلم يا رسول الله إن فديتك نفسي؟».

فقال (صلى الله عليه وآله): «نعم بذلك وعدني ربّي»؛ فتبسّم على (عليه السلام) ضاحكاً، و أهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سلامته^{١٠٧}.

ثمّ ضمّه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى صدره و بكى وجداً به، فبكى عليّ (عليه السلام) لفراق رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه و آله^{١٠٨}.

و عندما جاء الليل؛ اتّشح عليّ (عليه السلام) ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي اعتاد أن يتّشح به، و اضطجع في فراش النبي مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الجنان مبتهجا بما أوكل اليه فرحاً بنجاة النبي، و جاء فتیان قريش و الشرّ يملأ نفوسهم

ص: ٦٦

و يعلو سيوفهم، و أحاطوا بالبيت و جعلوا ينظرون من فرجة الباب الى حيث اعتاد النبي (صلى الله عليه وآله) أن ينام فيه فأروا رجلاً ينام على فراشه، فأيقنوا بوجود النبي، و اطمأنت قلوبهم على سلامة خطّتهم، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من الدار و قد كان مختبئاً في مكان منها، و انطلق الى غار «ثور» و كمن فيه ليواصل بعد ذلك هجرته المباركة.

و لمّا حارت ساعة تنفيذ خطّتهم؛ هجموا على الدار، و كان في مقدّمهم خالد ابن الوليد، فوثب عليّ (عليه السلام) من فراشه فأخذ منه السيف و شدّ عليهم فأجفلوا أمامه و فروا الى الخارج، و سألوه عن النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: لا أدري إلى أين ذهب.

^{١٠٦} (1) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي 45، و بحار الأنوار: 59/19 - 60.
^{١٠٧} (2) ذكر قصة مبيت الإمام عليّ (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) عدد كبير من العلماء و المؤرخين منهم الطبري: 99/2، و أحمد بن حنبل في مسنده: 311/1، و اسد الغابة: 4/45، و ابن عساکر في تاريخ دمشق 1/137، و الحاكم في المستدرک: 3/4، و بحار الأنوار: 60/19.
^{١٠٨} (3) أعيان الشيعة: 1/275.

و بذلك كتب الله السلامة لنبِيِّه (صَلَّى الله عليه و آله) و الانتشار لدعوته.

بهذا الموقف الرائع و الإقدام الشجاع و المنهج الفريد سنَّ علىَّ (عليه السَّلام) سنَّة التضحية و الفداء لكلِّ الثَّائرين من أجل التغيير و الإصلاح و السَّائرين في دروب العقيدة و الجهاد . لم يكن همَّ علىَّ (عليه السَّلام) إلَّا رضا الله و سلامة نبيِّه (صَلَّى الله عليه و آله) و انتشار دعوته المباركة، فنزلت في حقِّه الآية المباركة: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**^{١٠٩}.

مباهاة الله ملائكته بموقف علىَّ (عليه السَّلام):

كان مبيت علىَّ (عليه السَّلام) على فراش رسول الله (صَلَّى الله عليه و آله) خذلانا سافرا لقريش المعتدية، فقد خابت آمالهم و فشلت خططهم في قتل الرسول، و كان فيها إرغام الشيطان و علو شأن الإيمان، و لم يكن أىَّ عمل نظيرا للمبيت في الثواب و القيمة،

ص: ٦٧

كيف و قد باهى الله بهذه التضحية ملائكته، كما روى:

أنَّه ليلة بات علىَّ بن أبى طالب (عليه السَّلام) على فراش رسول الله (صَلَّى الله عليه و آله)؛ أوحى الله تعالى الى جبرئيل و ميكائيل: إننى قد آخيت بينكما، و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كلاهما الحياة و أحبَّاهَا، فأوحى الله تعالى اليهما: أ فلا كنتما مثل علىَّ ابن أبى طالب حين آخيت بينه و بين محمَّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوِّه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه و ميكائيل عند رجله، و جعل جبرئيل يقول : بخ بخ، من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة فوق سبع سموات^{١١٠}؟

مهامَّ ما بعد ليلة المبيت:

مع إطلالة فجر اليوم الأوَّل للهجرة المباركة و ظلال السلام و الأمان الإلهي تحوط رسول الله (صَلَّى الله عليه و آله) في كلِّ خطوة يخطوها نحو ثرب مقرِّ الرسالة الإسلامية الجديد، انفرجت أسارير قلب علىَّ (عليه السَّلام)، فقد انصرم الليل الرهيب باحتمالاته العديدة و مكارهه الكثيرة دون أن يقع شىء يمس حياته (عليه السَّلام) بخطر أو مكروه، و استطاع أن يؤدَّى المهمة على أكمل وجه، فقد كان على قدر عال من الانضباط و الدقَّة و الوعي في التنفيذ.

^{١٠٩} (1) البقرة (2): 207. راجع في شأن نزول الآية شرح النهج لابن أبي الحديد : 262 / 13، و إحياء العلوم للغزالي : 238 / 3، و الكفاية للكنجي: 114، و التذكرة لسبط ابن الجوزي: 41، و نور الابصار للشبلنجي: 86، و الطبقات لابن سعد: 212 / 1، و تاريخ يعقوبي: 29 / 2، و سيرة ابن هشام: 291 / 2، و العقد الفريد لابن عبد ربَّه 3 / 290، و تفسير الرازي: 223 / 5، و شواهد التنزيل للحسكاني: 96 / 1.

^{١١٠} (1) تذكرة الخواص: 41، و السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية 2 / 27، و الفصول المهمة لابن الصبَّاح 48، و المناقب لابن شهر اشوب: 65 / 2، و بحار الأنوار: 39 / 19، و اسد الغابة لابن الأثير: 25 / 4.

و بقيت أمام عليّ (عليه السلام) مهمات أخرى لم يكن بمقدور أحد أن يقوم بها، منها : أداء الأمانات التي كانت مودعة عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى أصحابها- وهم من المشركين - الذين وثقوا بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) لأمانته و إخلاصه، فقد اشتهر بين قريش بالصادق الأمين، و كذلك من يقدم من العرب في الموسم فأودعوا عنده الحلّى

ص: ٦٨

و الأموال، و لم يكن الرسول ممّن يخل بتعهداته أو يخون أماناته حتى ولو كانت الظروف المحيطة صعبة و الخطورة تهدّد حياته الشريفة في تلك اللحظات المتسارعة التي يطير لبّ العاقل فيها، لم ينس النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يوكل هذه المهمة إلى رجل يقوم بها خير قيام، و لم يكن إلّا عليّ (عليه السلام) لأنّه الأعرّف بشؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله) و بالمودعين و أموالهم و هو القوى الأمين.

فأوصل (عليه السلام) الأمانات إلى من كان من أصحابها، ثم قام على الكعبة مناديا بصوت رفيع : يا أيّها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عدّة له قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله)، و كان مقام عليّ بن أبي طالب بعد النبيّ بمكّة ثلاثة أيام^{١١١}.

هجرة الإمام عليّ (عليه السلام):

وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى (قبا) بسلام، و استقبلته جموع الأنصار، و من هناك بعث بكتابه إلى عليّ (عليه السلام) يأمره فيه بالمسير إليه و الإسراع في اللحاق به، و كان قد أرسل إليه أبا واقد الليثي، و حين وصل إليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترى عليّ (عليه السلام) الركائب و أعدّ العدة للخروج، و أمر من بقي معه من ضعفاء المسلمين أن يتسلّلوا و يتخفّفوا^{١١٢} إذا ملأ الليل بطن كلّ واد إلى ذي طوى^{١١٣}، و بدأت المهمة الشاقّة الثالثة أمام عليّ (عليه السلام) و هى الرحيل برفقة النساء نحو يثرب، و خرج هو و معه الفواطم : فاطمة بنت رسول الله، و أمّه فاطمة بنت أسد، و فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، و فاطمة بنت حمزة، و تبعهم أيمن مولى

ص: ٦٩

رسول الله و أبو واقد الليثي^{١١٤}.

و تولّى أبو واقد الليثي سوق النياق، و لشدة خشيته كان يحثّ الخطى سريعا حتى لا يلحق بهم الأعداء.

و عزّ عليّ (عليه السلام) أن يرى نساء بنى هاشم على تلك الحالة من الجهد و العناء من سرعة الحركة، فقال (عليه السلام): ارفق بالنسوة أبا واقد، إنّهن من الضعائف.

و أخذ (عليه السلام) بنفسه يسوق الرواحل سوقا رقيقا، و هو ينشد لبيع الطمأنينة في نفوس من معه:

^{١١١} (1) المناقب لابن شهر آشوب: 58/2، و مروج الذهب للمسعودي: 285/2.

^{١١٢} (2) يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئا يثقل عليهم

^{١١٣} (3) ذي طوى: موضع قرب مكّة.

^{١١٤} (1) أمالي الطوسي: 84/2، و عنه بحار الأنوار: 64/19.

و استمرّ عليّ (عليه السّلام) على هدوئه في قيادة الركب حتى شارف على قرية في الطريق تسمى «ضجنان» و هناك أدركته القوّة التي أرسلتها قريش للقبض عليه و من معه و إعادتهم الى مكّة، و كانوا سبعة فوارس من قريش ملثمين معهم مولى لحرب بن أمية اسمه «جناح»، فقال عليّ (عليه السّلام) لأيمن و أبي واقد: أنيخا الإبل و اعقلاها، و تقدّم هو فأنزل النسوة ثمّ استقيل الفوارس بسيفه، فقالوا له: أظننت يا غدار أنّك ناج بالنسوة، إرجع لا أبا لك.

فقال (عليه السّلام): فإن لم أفعل؟ .. فازدادوا حنقا و غيظا منه، فقالوا له: لترجعنّ راغما أو لترجعنّ بأكثرك شعرا و أهون بك من هالك.

و دنا بعضهم نحو النياق ليفزعوها حتى يدخلوا الخوف و الرعب الى قلوب النسوة، فحال عليّ (عليه السّلام) بينهم و بين ذلك، فأسرع نحوه جناح و أراد ضربه بسيفه فراغ عنه عليّ (عليه السّلام) و سارعه بضربة على عاتقه فقسمه نصفين حتى وصل السيف الى كتف فرس جناح^{١١٥}، ثمّ شدّ على بقية الفرسان و هو راجل، ففروا من بين يديه

ص: ٧٠

فرعين خائفين.

و قالوا: احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب، فقال لهم: فإنّي منطلق الى أخى و ابن عمّي رسول الله، فمن سرّه أن أفرى لحمه و أريق دمه فليدن منّي، فهرب الفرسان على أدبارهم خائبين.

ثمّ أقبل (عليه السّلام) على أيمن و أبي واقد و قال لهما: أطلقا مطاياكما، فواصل الركب المسير حتّى وصلوا «ضجنان» فلبث فيها يوما و ليلة حتى لحق به نفر من المستضعفين، و بات فيها ليلته تلك هو و الفواطم يصلّون و يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلّى بهم عليّ (عليه السّلام) صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه يجوب منزلا بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله حتى قدموا المدينة.

و قد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم و ما أعدّه الله لهم من الثواب و الأجر العظيم بقوله تعالى: **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ ... فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا ... وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ ... وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**^{١١٦}.

و كان رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في «قباء» نازلا على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوما يصلّي الخمس قصرا، يقولون له: أقيم عندنا فتتخذ لك منزلا و مسجدا؟ فيقول (صلّى الله عليه و آله): لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، و قد أمرته أن يلحقني، و لست مستوطنا منزلا حتى يقدم عليّ، و ما أسرعه إن شاء الله^{١١٧}!

^{١١٥} (2) بحار الأنوار: 65 / 19.

^{١١٦} (1) آل عمران (3): 191 - 195، راجع بحار الأنوار: 66 - 67.

و حين وصل علىّ (عليه السّلام)؛ كانت قدماء قد تفتّرتا من فرط المشى و شدة الحرّ، و ما أن رآه النّبيّ (صلّى الله عليه و آله) على تلك الحالة؛ حتى بكى عليه إشفافاً له، ثمّ مسح

ص: ٧١

يديه على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك^{١١٨}.

ثمّ إنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لمّا قدم عليه علىّ (عليه السّلام)؛ تحوّل من قباء الى بنى سالم ابن عوف و علىّ معه، فخطّ لهم مسجداً، و نصب قبلته، فصلّى بهم فيه ركعتين، و خطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها و علىّ لا يفارقه، يمشى بمشيئه، و أخيراً نزل رسول الله (صلّى الله عليه و آله) عند أبي أيوب الأنصاري و علىّ معه حتى بنى له مسجده و بنيت له مساكنه، و منزل علىّ (عليه السّلام) فتحوّلا إلى منازلهما^{١١٩}.

من معاني مبيت الإمام (عليه السّلام) في فراش النّبيّ (صلّى الله عليه و آله):

١- إنّ مبيت الإمام (عليه السّلام) ليلة الهجرة في فراش النّبيّ (صلّى الله عليه و آله) بمثابة إعلان عن نضج شخصيّة الإمام على الرّساليّة، و أهليّته في أن يمثّل شخصيّة الرّسول الذي يعهد اليه في كلّ أمر مستصعب و خطب جليل و دعوة مهمّة.

٢- كانت عمليّة التمويه على قريش بارتداء الإمام (عليه السّلام) رداء رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و مبيته في فراشه ربطاً لصلّة القرابة بالعلاقة المبدئيّة، و تأكيداً لمبدأ أنّ نفس علىّ هي نفس الرّسول (صلّى الله عليه و آله)، و خصوصاً حين أتمّ مهامّه الاخرى التي تصرّف فيها الإمام بالامور الماليّة و الاجتماعيّة الخاصّة بالرّسول (صلّى الله عليه و آله).

٣- إنّ ثبات الإمام (عليه السّلام) ثلاثة أيام في مكّة كان تأكيداً لشجاعته حين أعلن الإمام بكلّ جرأة وثقة موقفه المبدئيّ بأنّه ثابت على خطى الرّسول، و قد نفذ أوامره و أنجز مهامه بهدوء و دقة تامّة، نفّ هجرته العلنيّة أمام أنظار قريش.

٤- تجلّت في عمليّة المبيت بعض الجوانب العظيمة من شخصيّة الإمام (عليه السّلام) و التي أوجزت حقيقة شجاعة الإمام و قوّته النفسيّة و البدنيّة و نضوجه الذهنيّ و وعيه الرّساليّ و استيعابه للأوامر الآلهيّة.

ص: ٧٢

المرحلة الثالثة: علىّ (عليه السّلام) من الهجرة الى وفاة النّبيّ (صلّى الله عليه و آله)

١- علىّ (عليه السّلام) و المؤاخاة:

حين شرع الرّسول (صلّى الله عليه و آله) بتكوين نواة المجتمع الإسلاميّ و أراد أن يزيد من تماسك عرى العلاقات بين أفراد المجتمع؛ آخى (صلّى الله عليه و آله) بين المسلمين في موقف صريح بين ليرسخ مبدأ أساسياً من مبادئ الإسلام الحنيف، و هو ما تتطلبه الدعوة الإسلاميّة في مرحلتها السريّة و العلنيّة، ف وقعت أوّل مؤاخاة في الإسلام في مكّة قبل

^{١١٧} (٢) روضة الكافي: 339.

^{١١٨} (١) بحار الأنوار: 64/ 19، و المناقب لابن شهر آشوب: 1/ 182، و الكامل لابن الأثير: 2/ 106.

^{١١٩} (٢) روضة الكافي: 339- 340.

الهجرة، حيث آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين والأنصار، وحين نتفحص عملية المؤاخاة نجد أن الرسول ضمّ الشكل الى الشكل و المثل الى المثل^{١٢٠}، لأنّ الاخوة عملية استراتيجية واسعة ذات معاني و دلالات حركية في مسيرة الدعوة الإسلامية، فعبر جسر الاخوة تتماسك العلاقات بين المسلمين كما تنضج الأفكار و يتحقق الإبداع.

روى أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما آخى بين أصحابه آخى بين أبي بكر و عمر، و بين عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و لم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب و بين أحد منهم^{١٢١}.

فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله! لقد ذهبت روحي و انقطع ظهري حين رأيته ففعلت بأصحابك ما فعلت بغيري، فإن كان هذا من سخط عليّ؛ فلك العتبي و الكرامة.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): و الذي بعثني بالحق ما أخرتكم إلّا لنفسي، و أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي، و أنت أخي و وارثي.

فقال (عليه السلام): و ما أرث منك؟

ص: ٧٣

قال (صلى الله عليه وآله): ما ورث الأنبياء من قبلي، كتاب ربهم و سنة نبيهم، و أنت معي في قصرى في الجنة^{١٢٢}.

و أمّا المؤاخاة الثانية فكانت في المدينة بعد الهجرة بأشهر قليلة^{١٢٣}.

٢- اقتران عليّ (عليه السلام) بالزهاء (عليها السلام):

بعد أن استقرّ المقام بالمسلمين و بدأت مبادئ الاسلام و تعاليمه تترسخ في نفوس المسلمين و ظهرت يدهم القويّة في الدفاع عن الرسالة و الرسول؛ فتفتحت العلاقات بين المسلمين في صورة مجتمع متمدّن و نهضة ثقافية اجتماعية شاملة، يتزعمها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي عصبه الله في الفهم و التلقّي و الإبلاغ و التربية و التنفيذ، و ها هو عليّ (عليه السلام) قد تجاوز العشرين من عمره الشريف و هو يصلو في سوح الجهاد و الدفاع عن العقيدة و الدعوة الإسلامية، و يقف مع الرسول في كلّ خطواته، و قد بلغ من نفس الرسول أعلى منزلة، يعيش معه و هو أقرب من أيّ واحد من المسلمين، و بعد أن انقضت سنتان من الهجرة و في بيت الرسول بلغت ابنته الزهاء (عليها السلام) مبلغ النساء، و شرع الخطّاب بما فيهم أبو بكر و عمر^{١٢٤} يتسابقون الى النبي (صلى الله عليه وآله) يطلبونها منه و هو يردهم ردّا جميلاً و يقول: إنني أنظر فيها أمر الله، و كان عليّ من الراغبين في الزواج منها.

^{١٢٠} (1) كفاية الطالب للحافظ الكنجي: 194.

^{١٢١} (2) الفصول المهمة لابن الصبّاح المالكي: 38، و الغدير للعلامة الأميني: 3/ 112.

^{١٢٢} (1) أخرجه أحمد بن حنبل في مناقب عليّ (عليه السلام)، و تأريخ دمشق لابن عساكر: 6/ 201، و كنز العمال للمثقي الهندي: 5/ 40، و كشف الغمة: 1/ 326.

^{١٢٣} (2) كفاية الطالب للكنجي: 82، تذكرة الخواص: 14، و الفصول المهمة: 38.

كما وردت أحاديث المؤاخاة بين النبي (صلى الله عليه وآله) و عليّ (عليه السلام) بصيغ مختلفة و مصادر عديدة منها: تأريخ ابن كثير: 7/ 235، و الفصول المهمة: 22، و مسند أحمد: 1/ 23، و تأريخ ابن هشام: 2/ 132، و تأريخ دمشق: 6/ 201، و فرائد السمطين: 1/ 226، و الغدير: 3/ 115، و كفاية الطالب: 185.

^{١٢٤} (3) كشف الغمة: 1/ 353.

و لكن كان يمنعه عن مفاتحة النبي (صلى الله عليه وآله) الحياء و قلة ذات اليد، فلم يكن

ص: ٧٤

عليّ (عليه السلام) من الذين يملكون الأموال، و بتشجيع من بعض أصحاب الرسول تقدّم عليّ لخطبة الزهراء، فدخل على النبيّ و هو مطرق الى الأرض من الحياء، فأحسّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بما فى نفسه فاستقبله ببشاشته و طلاقة وجهه الكريم، و أقبل عليه يسأله برفق و لطف عن حاجته، فأجابه (عليه السلام) بصوت ضعيف: يا رسول الله تزوّجنى من فاطمة؟

فردّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قائلاً: مرحباً و أهلاً، و دخل على بضعته الزهراء ليعرض عليها رغبة عليّ (عليه السلام) فيها، فقال (صلى الله عليه وآله) لها: لقد سألت ربّى أن يزوّجك خير خلقه و أحبهم اليه، و قد عرفت عليّاً و فضله و موافقه، و جاءنى اليوم خاطباً فما ترين؟

فأمسكت و لم تتكلّم بشيء، فخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) و هو يقول: سكوتها رضاها و إقرارها.

ثمّ إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جمع المسلمين و خطب فيهم، فقال: إنّ الله أمرنى أن ازوّج فاطمة من عليّ ...

ثمّ التفت الى عليّ (عليه السلام) فقال:

لقد أمرنى ربّى أن ازوّجك فاطمة ... أرضيت هذا الزواج يا عليّ؟

فقال (عليه السلام): رضيت يا رسول الله، و خرّ ساجداً لله.

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): بارك الله فيكما، و جعل منكما الكثير الطيب.

و جاء عليّ (عليه السلام) بالمهر الذى هيأه من بيع درعه فوضعه بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر الرسول أبا بكر و بلالا و عمّارا و جماعة من الصحابة و أمّ أيمن لشراء جهاز الزواج، و لمّا تمّ الجهاز و عرض على الرسول؛ جعل يقلّبه بيده و يقول:

بارك الله لقوم جلّ آنيتهم من الخزف.

و بيسر و بساطة و دون تكاليف تمت الخطبة و الزواج، و كان الجهاز من

ص: ٧٥

أبسط ما عرفته المدينة، و احتفل النبيّ و بنو هاشم بهذا الزواج الميمون^{١٢٥}.

^{١٢٥} (1) كشف الغمة: 1/ 348، و بحار الأنوار: 92/ 43، و دلائل الإمامة للطبري: 16- 17.

و روى أن النبي (صلى الله عليه وآله) عوتب في زواج فاطمة (عليها السلام) فقال: لو لم يخلق الله على بن أبي طالب لما كان لفلطمة كفؤ .

و في خبر آخر أنه (صلى الله عليه وآله) قال مخاطباً علياً (عليه السلام): لولاك لما كان لها كفؤ على وجه الأرض^{١٢٦}.

٣- عليّ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في معاركه:

أ- عليّ (عليه السلام) في معركة بدر:

فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهجرته عهداً جديداً في تاريخ البشرية بشكل عامّ و في تاريخ الرسالة الإسلامية بشكل خاص، و بدأت معالم الدولة تتوضّح و مظاهر قوة المسلمين تبدو للعيان، و في الجانب الآخر لم تتوقّف قريش و من والاهما من المشركين و يهود المدينة الذين أظهروا السلم نفاقاً و تغطية على التخطيط السري للقضاء على الإسلام و أهله، و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعالج الأمور بحكمة و روية، و من الطبيعي أن لا يقف النبيّ من مؤامرات أعداء الاسلام و تحرّشاتهم موقف الضعيف المتخاذل، فأخذ يرسل السرايا ليهذّدهم و يطاردتهم أحياناً.

و لما كان للمدينة موقع استراتيجي مهم في طرق التجارة و المواصلات في الجزيرة العربية؛ فقد أصبح المسلمون بعد تزايد عددهم قوة ضغط لا بدّ من وضعها في الحسبان، و منذ أن وطأت قدم عليّ (عليه السلام) مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ بدأ العمل في كلّ جوانب الحياة و ما تتطلبه الرسالة الإسلامية جنباً الى جنب الرسول من بناء الدولة و نشر الرسالة مندفعاً بطاقة ذاتية هائلة بما وهبه الله من قوة و عزيمة لا توازيها قوة و طاقة مجموعة كبيرة من الأفراد، فكان الذراع القويّ التي يضرب

ص:٧٦

بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و نجد هذا واضحاً جلياً في كلّ وقعة و معركة دخل فيها عليّ (عليه السلام)، و كان من طبيعة المعارك أنها تتوقّف في العادة على الجولة الاولى، فمن يفوز فيها تحسم المعركة لصالحه، كما في معركة بدر^{١٢٧} التي كانت عنواناً لبداية افول كلّ القوى العسكرية في ال جزيرة و خصوصاً قريش، و منطلقاً للانتصارات و الفتوحات التي حقّقها المسلمون.

روى أن عتبة و شيبة ابني ربيعة و الوليد بن عتبة خرجوا و دعوا الى المبارزة، فخرج اليهم في البداية عوف و معوذ ابنا عفراء و عبد الله بن رواحة و كلّهم من الأنصار، فقالوا لهم : من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام و ما لنا بكم من حاجة، ليخرج الينا أكفأونا من قومنا.

فأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) عمّه حمزة و عبيدة بن الحارث و عليّاً بمبارزتهم، فدنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث عتبة، و بارز حمزة شيبة، و بارز عليّ (عليه السلام) الوليد، فأما حمزة فلم يمهّل شيبة أن قتله، و قتل عليّ (عليه

^{١٢٦} (2) المناقب لابن شهر آشوب: 2/ 181.

^{١٢٧} (1) يقال لها: معركة بدر العظمى، وقعت في السنة الثانية للهجرة في السابع عشر من شهر رمضان، و قيل في التاسع عشر منه.

السَّلام) الوليد، و اختلف عبيدة و عتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، و كرّ حمزة و عليّ (عليه السَّلام) على عتبة فقتلاه^{١٢٨}.

ثمّ نشبت المعركة بين طرفين غير متكافئين بالموازن العسكرية : جبهة المسلمين و عددها ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا، تقاتل عن إيمان و عقيدة، تدافع عن الحقّ و تدعو إليه، و جبهة قريش و عددها تسعمائة و خمسون رجلا تقاتل عن حمية و عصبية جاهلية، و هنا دخلت عناصر جديدة في الحرب منها : دعاء الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثباته و بسالة حمزة و قوّة عليّ (عليه السَّلام)، فغاص عليّ و حمزة و أبطال

ص: ٧٧

المسلمين في وسط قريش، و نسي كلّ واحد منهم نفسه و كثرة عدوه، فتطايرت الرؤوس عن الأجساد، و أمّد الله المسلمين بالقوّة و العزيمة و الثبات، و أسر المسلمون كلّ من عجز عن الفرار حتى بلغ عدد الأسرى سبعين رجلا، و عدد القتلى اثنين و سبعين رجلا.

و تنصّ الروايات على أنّ عليّا (عليه السَّلام) قتل العدد الأكبر منهم، فعلى أقلّ التقادير أنّه (عليه السَّلام) قتل أربعة و عشرين، و شارك في قتل ثمانية و عشرين آخرين، و يبدو أنّ الذين قتلهم عليّ (عليه السَّلام) هم أبطال قريش و صناديدها^{١٢٩}.

في هذه المعركة المهمّة كان عليّ (عليه السَّلام) صاحب رؤية رسول الله (صلى الله عليه و آله) إضافة إلى دوره الحاسم لنتيجة المعركة^{١٣٠}.

و روى أنّ رجلا من بنى كنانة دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له : هل شهدت بدر؟ قال: نعم، قال: فحدثني ما رأيت و حضرت.

قال: ما كنّا شهودا إلّا كغيباب، و ما رأينا ظفرا كان أوشك منه، قال: فصف لي ما رأيت.

قال: رأيت عليّ بن أبي طالب غلاما شابّا ليثا عبقريا يفرى الفرى، لا يثبت له أحد إلّا قتله، و لا يضرب شيئا إلّا هتكه، و لم أر من الناس أحدا قطّ أنفق منه يحمل حملته و يلتفت التفاتة، كأنّه ثعلب رواق، و كأنّ له عينان في قفاه، و كأنّ و ثوبه و ثوب وحش^{١٣١}.

ب- عليّ (عليه السَّلام) في معركة احد:

لم تكن قريش لتنسى هزيمتها الساحقة في معركة بدر و مقتل صناديدها

ص: ٧٨

^{١٢٨} (2) الكامل في التاريخ 2/ 134 و 135 ط مؤسسة الأعلمي، و تأريخ الطبري 3/ 35.

^{١٢٩} (1) الإرشاد للمفيد: 64 الفصل 19 الباب 2، و كشف الغمّة 1/ 182.

^{١٣٠} (2) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة 3/ 33، و تأريخ دمشق لابن عساكر: 1/ 142.

^{١٣١} (3) حلية الأولياء لأبي نعيم: 9/ 145.

و رجالها وكثير من أبطالها فعزمت على التأمر من المسلمين ردًا لاعتبارها الذي فقدته، و لم يمض سوى عام حتى استكملت قريش عدتها، واجتمع إليها أحلافها من المشركين واليهود، وانضم إليهم كل حاقِد و ناظم على الدين الإسلامي، فاتفقت كلمة الكفر، واتحدت قوى الباطل لمواجهة الحق، و خرج جيش الكفر باتجاه المدى نة و قد تجاوز عدده ثلاثة آلاف، و ذلك في أوائل شوال من السنة الثالثة للهجرة، و ما أن وصل خبرهم إلى مسمع النبي (صلى الله عليه و آله) حتى جمع المسلمين و استشارهم في الموقف المناسب الذي يجب أن يتخذوه، ثم خطب فيهم و حثهم على القتال و الصبر و الثبات، و وعدهم بالنصر و الأجر، و تجهز للخروج بمن معه و كانوا ألفا أو يزيدون، و دفع لواءه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) و وزع الرايات على وجوه المهاجرين و الأنصار، و أبي النفاق إلّا أن يأخذ دوره في إضعاف المسلمين، فرجع عبد الله ابن أبي بمن تبعه في منتصف الطريق، و كان عددهم يناهز الثلاثمائة^{١٣٢}.

و استمر النبي (صلى الله عليه و آله) في مسيره قدما حتى بلغ احدا، فأعد أصحابه للقتال و وضع تخطيطا سليما محكما للمعركة يضمن لهم النصر، حيث أمر خمسين رجلا من الرماة أن يكونوا من وراء المسلمين إلى جانب الجبل، و أكد عليهم بأن يلزموا أماكنهم و لا يتركوها حتى لو قتل المسلمون جميعا^{١٣٣}.

و وصلت قريش إلى «احد» و أعدوا أنفسهم للقتال، فقسّموا الأدوار و وزّعوا المهام كما بدا لهم، و أعطوا لواءهم لبنى عبد الدار، و أول من استلمه منهم طلحة بن أبي طلحة، و لما علم النبي بذلك أخذ اللواء من علي (عليه السلام) و سلّمه إلى مصعب بن عمير و كان من بنى عبد الدار، و بقي معه إلى أن قتل، و حينئذ ردّه

ص: ٧٩

النبي (صلى الله عليه و آله) إلى علي (عليه السلام)^{١٣٤}، و كانت معركة «احد» قد وقعت في شوال من العام الثالث من الهجرة.

و في اللحظة التي كمل فيها التنظيم انطلقت شرارة المعركة عندما برز كبش الشرك و حامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة الذي كان يعدّ من شجعان قريش، يتقدّم نحو المسلمين رافعا صوته متحدّيا لهم مستخفا بجمعهم قائلا : يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أن الله يجعلنا بسيوفكم إلى النار و يجعلكم بسيوفنا إلى الجنة؛ فهل أحد منكم يجعله سيفي إلى الجنة أو يجعلني سيفه إلى النار؟

فخرج إليه علي (عليه السلام)^{١٣٥} و برزا بين الصفيين و رسول الله (صلى الله عليه و آله) جالس في عريش أعدّ له يشرف على المعركة و يراقب سيرها، فضرب عليّ طلحة فقطع رجله و سقط على الأرض و سقطت الراية، فذهب علي ليجهز عليه فكشف عورته و ناشده الله و الرحم، فتركه عليّ (عليه السلام) فكبر رسول الله و كبر معه المسلمون فرحا بنتيجة هذه الجولة.

ثم تقدّم أخوه عثمان بن أبي طلحة فحمل الراية فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه فقتله، فحمل اللواء من بعده أخوهما أبو سعيد، فحمل عليه عليّ (عليه السلام) فقتله، ثم أخذ اللواء أوطاه بن شرحبيل فقتله عليّ، و هكذا تعاقب علي

^{١٣٢} (1) الكامل في التاريخ 2/ 150، و سيرة ابن هشام: 64/ 3.

^{١٣٣} (2) مغازي الواقدي: 1/ 224، و الكامل في التاريخ 2/ 152، و سيرة ابن هشام: 66/ 3.

^{١٣٤} (1) تاريخ الطبري: 2/ 199 ط مؤسسة الأعلمي.

^{١٣٥} (2) سيرة ابن هشام: 73/ 3.

حمل اللواء تسعة من بنى عبد الدار قتلوا بأجمعهم بسيف علي^{١٣٦} أو سيف حمزة، و كان آخر من حمل اللواء هو غلام لبنى عبد الدار يدعى «صواب» فحمل عليه عليّ و قتله، و سقط اللواء من بعده فى ساحة المعركة و لم يجرؤ أحد أن يحمله، فذبّ الرعب فى قلوب المشركين، و انهارت معنوياتهم، و انكشف المشركون لا

ص: ٨٠

يلوون على شيء حتى أحاط المسلمون بنسائهم، و بدت المعركة و كأنها قد حسمت لصالح المسلمين.

و هنا عصفت النازلة العظمى بالمسلمين حيث ترك الرماة موقعهم فوق الجبل، و انحدروا يشاركون إخوتهم غنائم المعركة، و لم يثبت على الجبل إلّا عشرة رماة.

فنظر خالد بن الوليد - و كان على خيل المشركين - خلوّ الجبل و قلّة الثابتين صاح بخيله، و كرّ يحمل على الرماة و تبعه عكرمة فقتلوهم، و هنا تغيّر ميزان القوة و رجحت كفته لصالح المشركين، فاستطاعوا أن ينفذوا و يشقّوا صفوف المسلمين^{١٣٧}، و كانت المأساة التى لم يعرف المسلمون لها مثيلا، فارتبك المسلمون و ضاع صوابهم، فكانت هزيمة بعد نصر و انكسارا بعد انتصار، و تفرّق الناس كلّهم عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و أسلموه إلى أعدائه بعد أن استشهد عمّه حمزة و مصعب بن عمير، و لم يبق معه أحد إلّا عليّ و نفر قليل من المهاجرين و الأنصار.

فى هذه اللحظات الحاسمة و الحرجة سجّل التاريخ موقف الصمود و الفداء الذى وقفه عليّ (عليه السّلام) من رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، وقف ليدافع عن النبىّ (صلّى الله عليه و آله) بكلّ قوة و بسالة و همّة سلامة الرسول و الرسالة، إذ كان يحمل الراية بيد و السيف بالآخرى يصدّ الكتائب و يردّ الهجمات عن الرسول، و كأنه جيش بكامل عدّته و عدّته، و كان الرسول كلّما رأى جماعة تهجم عليه قال لعليّ (عليه السّلام): يا عليّ احمل عليهم، فيحمل عليهم و يفرّقهم، فلم يزل عليّ يقاتل حتى أثخنه جراحات عديدة فى وجهه و رأسه و صدره و بطنه و يديه^{١٣٨}.

فأتى جبرئيل (عليه السّلام) النبىّ (صلّى الله عليه و آله) فقال: إنّ هذه لهى المواساة، فقال رسول الله

ص: ٨١

(صلّى الله عليه و آله): إنّهُ منىّ و أنا منه، فقال جبرئيل: و أنا منكما، فسمعوا صوتا فى السماء ينادى: لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا عليّ^{١٣٩}.

و هكذا استطاع أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن يحافظ على حياة الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و آله)، و أن يوصل نتيجة المعركة الى حالة من التوازن دون أن يحرز أحد الطرفين نصرا حاسما.

مواقف بعد معركة «أحد»:

^{١٣٦} (3) الكامل فى التاريخ 2/ 152 - 154.

^{١٣٧} (1) تأريخ الطبري: 2/ 194 ط مؤسسة الأعلمي.

^{١٣٨} (2) الكامل فى التاريخ 2/ 154، و أعيان الشيعة: 1/ 288، و بحار الأنوار: 20/ 54.

^{١٣٩} (1) الكامل فى التاريخ: 2/ 154، و فرائد السمطين للحمويني: 1/ 257 الحديث 198، 199، و تأريخ دمشق لابن عساكر: 1/ 148، و روضة الكافي: الحديث: 90.

و لما انصرف أبو سفيان و من معه؛ بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) عليا (عليه السلام) فقال:

اخرج في آثار القوم و انظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فهم يريدون المدينة.

قال علي (عليه السلام): فخرجت في آثارهم فرأيتهم جنبوا الخيل و امتطوا الإبل يريدون مكة^{١٤٠}.

و لما رجع رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة (عليها السلام) و قال:

اغسلي عن هذا دمه يا بنية، و ناولها علي (عليه السلام) سيفه و قد خضب الدم يده إلى كتفه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله): خذيه يا فاطمة فقد أدى بلك ما عليه، و قد قتل الله بسيفه صناديد قريش^{١٤١}.

كانت معركة احد قاسية نتيجتها، شديدة و طأتها، باهضة مكلفة خسارتها، و رغم مرارة المعركة نلح فيها و مضات ساطعة من مواقف علي (عليه السلام)، فقد امتاز بامور دون أن يشاركه فيها أحد:

ص: ٨٢

١- إنه كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه و آله) و التي لم تسقط الى الأرض رغم فرار أغلب المسلمين.

٢- قتله (عليه السلام) أصحاب راية المشركين الذين تصدوا لحملها، و قد أظهر بذلك حنكة عسكرية و شجاعة فذة، و أحدث بذلك شرخا كبيرا في صفوف المشركين كان سببا في هزيمتهم في أول المعركة.

٣- ثباته (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عدم فراره بعد ما فر عنه الناس يدل على إيمانه المطلق بالمعركة، و الذي يكشف عن عمق العقيدة و رسوخها في نفسه (عليه السلام).

٤- إنه كان هو المحامي عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الدافع عنه كتائب المشركين الذين قصدوا قتل النبي (صلى الله عليه و آله)، فكان (عليه السلام) يمثل الدرع التي تقى رسول الله عن وصول م كروه إليه، و هذا يدل على عظيم حبه للرسول و تفانيه في الحرص على سلامته.

٥- إن أكثر المقتولين من المشركين يومئذ قتلاه^{١٤٢}، و هذا يدل على فاعليته القتالية العالية و قوته و شجاعته (عليه السلام).

٦- الأخلاق و القيم العالية التي عكسها في المعركة حيث ترك الإجهاز على طلحة بن أبي طلحة عندما كشف عن عورته حياء منه (عليه السلام) و تكرما.

^{١٤٠} (٢) أعيان الشيعة: 1/ 389، و السيرة النبوية لابن هشام 3/ 94.

^{١٤١} (٣) أعيان الشيعة: 1/ 390.

^{١٤٢} (١) الإرشاد: 82، الفصل 23 الباب 2.

٧- إنه (عليه السلام) كان قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملازماً له حيث كان الرسول يوجهه ليرد الهاجمين عليه، وأيضاً هو الذى أخذ بيد النبي (صلى الله عليه وآله) لما سقط فى إحدى الحفر التى حفرها أبو عامر الراهب فى ساحة المعركة ليقع فيها المسلمون^{١٤٣}.

ص: ٨٣

كما إنه هو الذى حمل الماء بدرقته الى النبي (صلى الله عليه وآله) ليغسل الدم والتراب عن وجهه ورأسه.

٨- ورغم الجراحات التى تعرض لها على (عليه السلام) والجهد الذى بذله؛ فقد أرسله النبي (صلى الله عليه وآله) بعد انصراف قريش عن المعركة ليستطلع أخبارهم، وهذا يدل على ثقة الرسول بقدرة على ودقة ضبطه للمعلومات وحنكته فى معالجة الامور الطارئة، فالمعركة لم تنته بعد تماماً^{١٤٤}.

ج- على (عليه السلام) فى معركة الخندق:

تمثل أمام قريش الفشل فى القضاء على المسلمين حقيقة واضحة، ولكنها الجاهلية والعناد والإصرار على الكفر، فعادت قريش تنتهياً مرة أخرى لتوجيه الضربة القاضية للمسلمين، وذلك بالتحالف مع القبائل الجاهلية الأخرى واليهود أيضاً، حتى بلغ عددهم عشرة آلاف يقودها أبو سفيان^{١٤٥}، وازداد غيظ وحقد المشركين حين واجهوا الأسلوب الدفاعي والتكتيك الحربي الذي اتخذه الرسول (صلى الله عليه وآله)، بعد أن استشار أصحابه فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، غير أن الاندفاع والحماس والغرور بالعدّة والعدد كان قوياً فى نفوس الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين والقضاء على الإسلام نهائياً.

و تمكن بعض فرسان قريش من عبور الخندق من مكان ضيق فيه، فأصبحوا هم والمسلمون على صعيد واحد، فازداد المسلمون خوفاً على خوفهم و خرج على بن أبي طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم النقرة التى أقحموا منها خيلهم.

ص: ٨٤

فوقف عمرو بن عبد ود يطلب المبارزة ويتحدى المسلمين، وهدأت أصوات المسلمين أمام صيحاته وكأن على رؤوسهم الطير، كل يفكر فى نفسه ويحسب لهذا الفارس ألف حساب.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هل يبارزه أحد؟ فبرز إليه على (عليه السلام) فقال: أنا له يا رسول الله، فأجلسه النبي، وللمرة الثانية والثالثة طالب عمرو المبارزة فلم يكن يجيبه إلّا على (عليه السلام) وفى كل مرة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطلب منه الجلوس^{١٤٦} ثم أذن النبي لعلى بعد أن عمّمه بعمامته وقلّده بسيفه وألبسه درعه، ثم رفع

^{١٤٣} (٢) سيرة ابن هشام: 80/3.

^{١٤٤} (١) هذه الامتيازات لعلي (عليه السلام) فى غزوة احد قد ذكرها العلامة السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة

390/1 فراجع.

^{١٤٥} (٢) السيرة الحلبية: 631/2.

^{١٤٦} (١) السيرة النبوية لابن هشام: 224/3، تاريخ الطبري: 172/3، والكامل فى التاريخ: 180/2، و السيرة الحلبية: 318/2.

يديه و قال: «اللهم إني أأخذت عبيدة يوم بدر و حمزة يوم احد و هذا عليّ أخى و ابن عمى فلا تذرني فردا و أنت خير الوارثين»^{١٤٧}.

و برز عليّ (عليه السلام) الى ساحة المعركة بعد أن قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «برز الإيمان كله الى الشرك كله»^{١٤٨}.

و انحدر عليّ (عليه السلام) نحو عمرو و النقة بنصر الله تملأ قلبه، أمّا عمرو فقد كان لقاءه مع عليّ مفاجأة له، و فى هذا الموقف تردّد عمرو فى مبارزة عليّ (عليه السلام) فقال له: يا عمرو، إنك كنت فى الجاه ليه تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاثة إلّا قبلتها أو واحدة منها، قال: أجل.

قال عليّ (عليه السلام): فإنني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلّا الله و أن محمدا رسول الله و أن تسلم لرب العالمين، قال: آخر عني هذه، قال علي (عليه السلام): أما إنها خير لك

ص: ٨٥

لو أخذتها، ثم قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تتحدث نساء قريش بهذا أبدا، قال عليّ (عليه السلام): تنزل تقاتلنى.

فغضب عمرو عند ذلك و نزل عن فرسه و عقرها، ثم أقبل على عليّ (عليه السلام) فتقاتلا، و ضربه عمرو بسيفه فاتّقه عليّ بدرقته، فأثبت فيها السيف و أصاب رأسه، ثم ضربه عليّ على عاتقه فسقط الى الأرض يخور بدمه، و عندها كبر عليّ (عليه السلام) و كبر المسلمون خلفه، و انجلت الواقعة عن مصرع عمرو، و فر أصحابه من هول ما شاهدوه، فلحق بهم عليّ فسقط نوفل بن عبد الله فى الخندق فنزل إليه على فقتله^{١٤٩}.

و تلقت الأحزاب هذه الضربة القاسية بدهشة و استغراب، لأنّها لم تكن تتوقع أن أحدا يجرو على قتل عمرو بن عبدود، فذبّ الخوف فى نفوسهم و لم يجسر أحد منهم على تكرار المحاولة إلّا أنّهم بقوا محاصرين للمدينة فترة من الزمن حتى أذن الله بهزيمتهم حين استخدم رسول الله (صلى الله عليه و آله) اسلوبا آخر لمحاربتهم.

و امتاز عليّ (عليه السلام) على جميع من حضروا غزوة الخندق بامور:

١- مبادرته لحماية الثغرة التى عبر منها عمرو و أصحابه، و التى تدلّ على الحزم و الإقدام فى مواجهة الطوارئ فى ساحة المعركة.

^{١٤٧} (2) موسوعة التاريخ الإسلامى: 491 / 2 و 492، عن شرح نهج البلاغة: 61 / 19، و راجع المناقب للخوارزمي

144، السيرة الحلبية: 318 / 2.

^{١٤٨} (3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 61 / 19، يربيع المودة: الباب الثالث و العشرون، رواه عن ابن مسعود و رواه الميلاني فى قادتنا 2 / 108 عن الدميمري فى حياة الحيوان: 248 / 1 و عن الفضل بن رزيهان: إنّه حديث صحيح لا ينكره إلّا سقيم الرأي ضعيف الإيمان. و لكنه ليس نصّا فى الإمامة.

^{١٤٩} (1) تاريخ دمشق: 1 / 150، و راجع أيضا موسوعة التاريخ الإسلامى: 495 / 2.

٢- مبارزته عمرا و قتله، و قد تردّد المسلمون فى مبارزته فلم يخرج إليه أحد، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) مشيدا بموقف على (عليه السلام): «لمبارزة على بن أبى طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل أمتى الى يوم القيامة»^{١٥٠}.

٣- الشجاعة و القوة الفائقة التى ظهرت منه (عليه السلام) طوال المعركة تمثلت

ص:٨٦

واضحة حينما لحق المنهزمين الذين عبروا مع عمرو بن عبدود، و هو راجل و هم فرسان.

٤- الأخلاق العالية التى كان يتميز بها (عليه السلام) فى شتى المواقف، مظهرها فيها عظمة الرسالة و الرسول، منها أنه لم يسلب عمرا درعه مع أنها من الدروع الممتازة بين دروع العرب.

٥- إن قتله (عليه السلام) عمرا و نوفلا و لحوقه بالمنهزمين كان سببا فى إعادة الثقة للمسلمين بنفوسهم بعدما رأوا الجمع الكبير لقريش و أحلافها، و أيضا كان سببا لهزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح و البرد و سبب خوفهم من أن يعاودوا الغزو.

٦- الشرف الرفيع الذى ناله على (عليه السلام) بشهادة الرسول حين قال (صلى الله عليه و آله) عند مبارزة على (عليه السلام): «برز الإيمان كله الى الشرك كله»^{١٥١}.

د- على (عليه السلام) فى صلح الحديبية^{١٥٢}:

بعد الأحداث المتغيرة و الم و لمة و المعارك الدامية التى خاضها النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون مع قريش و اليهود؛ تمكنت الرسالة الإسلامية أن تخطو خطوات بعيدة المدى تحقّق من خلالها للمسلمين كيانا واضحا و وجودا مستقلا و قوة لا بدّ من حسابها فى شتى الميادين.

و كان المسلمون يشغفون شوقا لزيارة الكعبة و يتذكرونها كلّما وقفوا فى صلاتهم متّجهين نحوها . فى هذا الوقت من عمر الرسالة الإسلامية عزم النبى (صلى الله عليه و آله) على أداء فريضة من فرائض الإسلام بأمر من الله، فقرّر الحجّ و اتخذ كلّ الإجراءات و التدابير اللازمة لمثل هذه الخطوة حتّى أعلن (صلى الله عليه و آله) مرارا أنّه لا

ص:٨٧

يريد الحرب ضد قريش أو غيرها.

و لما علمت قريش بالخبر، اجتمعت كلمتهم على منعه (صلى الله عليه و آله) من دخول مكّة مهما كلّفهم ذلك من جهد و خسائر، و أرسلوا خالد بن الوليد على رأس جماعة من الفرسان ليقطع عليه الطريق.

^{١٥٠} (2) مستدرك الحاكم: 32 / 3، نقلا عن هامش تأريخ دمشق: 1 / 155، و فرائد السمطين: 1 / 255 حديث 197.

^{١٥١} (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: 61 / 19.

^{١٥٢} (*) كان خروج النبى لأداء العمرة فى مطلع ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة المباركة.

و حين نزل النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمون منطقة «الجحفة»؛ كان الماء قد نفذ لديهم و لم يجدوا ماء، فأرسل (صلى الله عليه وآله) الروايا فلم يتمكنوا من جلب الماء لترددهم و خوفهم من قريش، عندها دعا (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) و أرسله بالروايا لجلب الماء، و خرج السقاة و هم لا يشكون في رجوعه لمّا رأوا من رجوع من تقدّمه، فخرج عليّ (عليه السلام) حتى وصل «الحرار» و استقى، ثمّ أقبل بها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) و لها زجل، فلمّا دخل كبر النبي (صلى الله عليه وآله) و دعا له بالخير^{١٥٣}.

ثم إن قريشا اضطرت النبي أن يعدل عن الطريق المؤدى إلى مكة، و انحرف به رجل من «أسلم» إلى طريق و عرة المسالك خرجوا منها إلى ثنية المراد، فهبط الحديبية، و حاولت قريش أكثر من مرة التحرش بالمسلمين و مهاجمتهم بقيادة خالد بن الوليد، لكنّ علياً (عليه السلام) و جماعة من المسلمين الأشداء كانوا يصدّون تلك الغارات و يفوتون الفرصة على قريش في جميع محاولاتها العدوانية^{١٥٤}.

و اضطرت قريش أن تفاوض النبي (صلى الله عليه وآله) بعدما رأت العزيمة و الإصرار منه و من المسلمين على دخول مكة، فأرسلت إليه مندوبين عنها للتفاوض، و كان آخرهم سهيل بن عمرو و حويطب من بنى عبد العزى . و يبدو أنّ المفاوضات لم

ص: ٨٨

تنحصر بخصوص قضية الدخول إلى مكة في ذلك العام^{١٥٥} بل تناولت امورا اخرى لصالح الطرفين.

فقد روى أن علياً (عليه السلام) قال: لمّا كان يوم الحديبية؛ خرج إلينا ناس من المشركين فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا محمد! خرج إليك اناس من أبنائنا و إخواننا و أرقائنا و ليس لهم فقه في الدين، و إنّما خرجوا فرارا من أموالنا و ضياعنا فارددهم إلينا، فقال: إذا لم يكن لهم فقه في الدين كما تزعمون سنفقههم فيه، و أضاف إلى ذلك: يا معشر قريش! لتنتهنّ أو لبيعنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف قد امتحن الله قلبه بالإيمان، فقال له أبو بكر و عمر و المشركون: من هو ذلك الرجل يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): هو خاصف النعل، و كان قد أعطى نعله لعليّ (عليه السلام) يخصفها^{١٥٦}.

و بعد أن تمّ الاتفاق بين الطرفين على بنود الصلح؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب فقال له: اكتب يا عليّ، بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أمّا الرحمن فو الله ما أدري ما هو لكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: و الله لا نكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): اكتب باسمك اللهم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت و لا قاتلناك، و لكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّى لرسول الله و إن كذبتُمونى، ثمّ قال لعليّ (عليه السلام): امح رسول الله، فقال

^{١٥٣} (1) الإرشاد: 108، الفصل 30 الباب 2، و كشف الغمّة: 1/ 280 باب المناقب مثله.

^{١٥٤} (2) سيرة الأئمة الاثني عشر للحسنى: 1/ 217 نقلا عن ابن اسحاق.

^{١٥٥} (1) كنز العمال: 10/ 472، غزوة الحديبية.

^{١٥٦} (2) ينباع المودة للقندوزي: 59، و كنز العمل: 13/ 173، و فضائل الخمسة للفيروزآبادي: 2/ 237.

(عليه السلام): يا رسول الله، إنَّ يدَي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوة، فأخذ رسول الله فمحاها، ثمَّ قال له : أما إنَّ لك ملها و ستأتيها و أنت مضطرٌّ لذلك^{١٥٧}.

ص: ٨٩

هـ - عليّ (عليه السلام) في غزوة خيبر^{١٥٨}:

لَمَّا تم عقد صلح الحديبية إطمأنَّ النبيّ عليّ مصير الرسالة الإسلامية من ناحية قريش و باقى أطراف عرب الجزيرة الذين كانوا عليّ شركهم، لأنَّ بنود الصلح كانت تميل الى ترجيح كفة المسلمين، يضاف الى ذلك تنامي قوة المسلمين عدّة و عدّة، فقد أقبل عليّ الإسلام خلق كثير، و العرب أدركوا أنَّ قريشا عليّ عتوّها و طغيانها و قوتها قد انكسرت شوكتها و فشلت خططها في القضاء عليّ الإسلام عن طريق القوة، و لذا بدا التوقيع عليّ عقد الصلح استسلاما من جانب قريش.

و بقيت قوة اخرى تثير الشغب و تمثّل النفاق و الغدر، تلك هي جموع اليهود الذين كانوا خارج المدينة، فكان النبيّ (صلى الله عليه و آله) يراقبهم خشية أن يقوموا بعمل معادى بدعم خارجي، و خصوصا أن تأريخ اليهود مليء بالغدر و نقض العهود، لذا قرّر النبيّ (صلى الله عليه و آله) غزو «خيبر» معقل اليهود و حصنهم . فأمر (صلى الله عليه و آله) أصحابه أن يتجهّزوا للغزو بأسرع وقت، فتمّ ذلك فخرج من المدينة و أعطى الراية لعليّ (عليه السلام) و مضى يجدّ السير باتجاه خيبر، فوصل اليهم ليلا و لم يعلم به أهلها، فخرجوا ع ند الصباح، فلمّا رأوه عادوا و امتنعوا في حصونهم، فحاصرهم النبيّ و ضيق عليهم و نشبت معارك ضارية بين الطرفين حول الحصون، و تمكّن النبيّ (صلى الله عليه و آله) من فتح بعض حصونهم، و استمرّ الحال هذا من الحصار و القتال بضعا و عشرين يوما، و بقيت بعض الحصون المنيعة، فبعث النبيّ (صلى الله عليه و آله) برأيه أبا بكر فرجع و لم يصنع شيئا، و في اليوم الثاني بعث بها عمر بن الخطاب فرجع خائبا

ص: ٩٠

كصاحبه يجبّ أصحابه و يجنّه أصحابه، و هنا عزّ عليّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يعقد بيده لواء فيرجع خائبا أو يوجّه أحدا نحو هدف فيرتدّ منهزما، فأعلن (صلى الله عليه و آله) كلمة خالدة تتضمّن معان عميقة و مغاز جلييلة، فقال بصوت رفيع يسمعه أكثر المسلمين : «لأعطين الراية غدا رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، كرّارا غير فرار يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله»^{١٥٩}.

فاشرأبت الأعناق و امتدّت و تمنّى كلّ واحد أن يكون مصداق ذلك، حتى أن عمر بن الخطاب قال : ما أحببت الإمارة إلّا يومئذ، و تمنّيت أن اعطى الراية^{١٦٠}.

فلَمَّا طلع الفجر، قام النبيّ (صلى الله عليه و آله) فدعا باللواء و الناس عليّ مصافّهم، ثمّ دعا عليّا (عليه السلام)، فقيل: يا رسول الله! هو أرمَد، قال: فأرسلوا له، فذهب اليه سلمة ابن الأكوع و أخذ بيده يقوده حتى أتى به النبيّ (صلى الله عليه و آله)

^{١٥٧} (3) تأريخ الطبري: 282 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل لابن الأثير: 404 / 2.
^{١٥٨} (*) خيبر: مدينة كبيرة ذات حصون و مزارع و نخل كثير، تقع خارج المدينة عليّ بعد حوالي (90) ميلا، وقعت الغزوة في بداية محرّم من العام السابع للهجرة.

^{١٥٩} (1) تأريخ الطبري: 300 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و تأريخ دمشق لابن عساكر: 166 / 1 ترجمة الإمام عليّ (عليه السلام)، تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنفي: 32، و السيرة الحلبية بهامش السيرة النبوية 37 / 3.
^{١٦٠} (2) تذكرة الخواص: 32.

آله) و قد عصَّب عينيه، فوضع النبيَّ رأسَ علىَّ في حجره، ثمَّ بلَّ يده من ريقه و مسح بها عينيَّ علىَّ ف برأتا حتى كأن لم يكن بهما وجع، ثمَّ دعا النبيَّ لعليَّ بقوله: اللَّهُمَّ اكْفِهِ الحرَّ و البرد^{١٦١}.

ثمَّ ألبسه درعه الحديد و شدَّ ذا الفقار الَّذي هو سيفه (صَلَّى الله عليه و آله) في وسطه و أعطاه الراية و وجَّهه نحو الحصن، فقال (صَلَّى الله عليه و آله): «أنفذ على رسلك حتى نثول بساحتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام و أخبرهم بما يجب عليهم من حقَّ الله تعالى فيه، فو الَّذي نفسى بيده، لأن يهدى بهداك - أو لأن يهدى الله بهداك - رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم».

قال سلمة: فخرج و الله يهرول هرولة و إنَّا لخلفه تتبَّع أثره حتى ركز رايته

ص: ٩١

في رخم من حجارة تحت الحصن، فأطلع إليه يهوديَّ من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: «أنا عليَّ بن أبي طالب».

قال: قال اليهودي لأصحابه: غلبتم، و ما انزل على موسى^{١٦٢}.

ثمَّ خرج إليه أهل الحصن، و كان أول من خرج إليه الحارث أخو «مرحب» و كان معروفا بللشجاعة، فانكشف المسلمون و وثب عليَّ (عليه السَّلام)، فتضاربا و تقاتلا فقتله عليَّ (عليه السَّلام) و انهزم اليهود الى الحصن، ثمَّ خرج مرحب و قد لبس درعين و تقلَّد بسيفين و اعتمَّ بعمامتين و معه رمح لسانه ثلاثة أسنان.

فاختلف هو و عليَّ بضربتين، فضربه عليَّ بسيفه فقدَّ الحجر الذي كان قد ثقبه و وضعه على رأسه، و قدَّ المغفر، و شقَّ رأسه نصفين حتى وصل السيف الى أضراسه، و لمَّا أبصر اليهود ما حلَّ بفارسهم «مرحب»؛ ولَّوا منهزمين الى داخل الحصن و أغلقوا بابه.

فصار عليَّ (عليه السَّلام) إليه فعالجه حتى فتحه، و أكثر الناس من جانب الخندق - الَّذي حول الحصن - لم يعبروا معه (عليه السَّلام) فأخذ باب الحصن فقلعه و جعله على الخندق جسرا لهم حتى عبروا و ظفروا بالحصن و نالوا الغنائم^{١٦٣}.

و روى: أنه اجتمع عدَّة رجال على أن يحركوا الباب فما استطاعوا.

قال ابن عمرو: ما عجبنا من فتح الله خير علي يدى عليَّ (عليه السَّلام) و لكنَّا عجبنا من قلعه الباب و رميه خلفه أربعين ذراعا، و لقد تكلف حملة أربعون رجلا فما أطاقوه، فأخبر النبيَّ (صَلَّى الله عليه و آله) بذلك فقال: «و الَّذي نفسى بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكا».

ص: ٩٢

^{١٦١} (3) تأريخ الطبري: 301 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل لابن الأثير: 220 / 2، و فرائد السمطين: 1 / 264، حديث 203.

^{١٦٢} (1) أعيان الشيعة: 401 / 1.

^{١٦٣} (2) تأريخ الطبري: 301 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و الإرشاد للمفيد: 114، الفصل 31 من باب 2، و بحار الأنوار:

و روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في رسالته الى سهل بن حنيف : «و الله ما قلعت باب خيبر و رميت به خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسدية و لا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة، و أنا من أحمد كالضوء من الضوء»^{١٦٤}.

و- عليّ (عليه السلام) في فتح مكة^{١٦٥}:

ساد الهدوء و السلم الأجواء المحيطة بقريش و المسلمين، و التزم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بكامل بنود الحديبية، غير أن قریشا كانت تنوى نقض المعاهدة، و قد تصوّرت أن ضعفا أصاب المسلمين بعد انسحابهم من معركة «مؤتة» منهزمين، فأدّى استخفافها بالمسلمين الى التآمر على أحلاف النبيّ (صلى الله عليه و آله) من خزاعة، فحرّضت بعض أحلافها من بني بكر، ف وقعت بينهما مناوشات فتغلّب بنو بكر بمعونة قریش على خزاعة، و بهذا فقد نقضت قریش المعاهدة و أعلنت الحرب على المسلمين.

فعزم النبيّ (صلى الله عليه و آله) على محاربة قریش، و قال كلمته المشهورة : «لأنصرت إن لم أنصر خزاعة» و أخذ يستعدّ لذلك و هو يحرص على أن لا يذاع هذا الأمر، و لكن حاطب بن أبى بلتعنة سرّب الخبر، فأرسل كتابا الى قریش مع امرأة يخبرهم بما عزم عليه النبيّ (صلى الله عليه و آله)، و قبل خروجها من ضواحي المدينة؛ نزل ا لوحى على النبيّ و أخبره بذلك، فأرسل خلفها بالفور عليّا و الزبير، و أمرهما بأن يجدا السير فى طلبها قبل أن تفلت منهما، فأدركاها على بعد أميال من المدينة، فأسرع إليها الزبير و سألها عن الكتاب فأنكرته و بكت فرق لها الزبير، و رجع عنها ليخبر عليّا ببراءتها و قال له : ارجع لنخبر الرسول بذلك، فقال عليّ (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخبرنا بأنّها تحمل كتابا و تقول أنت بأنّها لا تحمل شيئا، ثمّ شهر عليّ (عليه السلام) سيفه

ص: ٩٣

و أقبل عليها حتى استخرج الكتاب منها، و رجع إلى النبيّ (صلى الله عليه و آله) و سلّمه إيّاه^{١٦٦}.

و لما أتم النبيّ (صلى الله عليه و آله) الاستعدادات و التجهيزات اللازمة للخروج الى مكة؛ أعطى لواءه الى عليّ (عليه السلام) و وزّع الرايات على زعماء القبائل و مضى يقطع الطريق باتجاه مكة.

و لما رأت قریش أنّها لا طاقة لها أمام النبيّ (صلى الله عليه و آله) و المسلمين؛ استسلمت و لم تجد بدا من أن يدخل كلّ فرد منهم داره ليأمن على نفسه انقيادا للأمان الذى أعلنه النبيّ لهم^{١٦٧}.

و روى: أن سعد بن عبادة كان معه راية رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الأنصار و لما مرّ على أبى سفيان و هو واقف بمضيق الوادى (فى الطريق الى مكة) قال أبو سفيان: من هذه؟ قيل له: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة مع الراجية، فلما حاذاه سعد قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قریشا، فلما مرّ رسول الله (صلى

^{١٦٤} (1) الأمالي للصدوق: المجلس السابع و السبعون، الحديث 10.

^{١٦٥} (*) كان فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة النبوية

^{١٦٦} (1) تاريخ الطبري: 328 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية 75 / 3.

^{١٦٧} (2) تاريخ الطبري: 332 / 2، و الكامل فى التاريخ لابن الأثير: 243 / 2.

اللّٰه عليه و آله) بأبى سفيان و حاذاه أبو سفيان ناداه: يا رسول الله! أمرت بقتل قومك فإنه زعم سعد و من معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا فإنه قال: اليوم يوم الملحمة ... انشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس و أرحمهم و أوصلهم.

فقال (صلّى الله عليه و آله): «كذب سعد، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ الله فيه قريشا، اليوم يعظّم الله فيه الكعبة، اليوم تكسى فيه الكعبة».

و أرسل رسول الله (صلّى الله عليه و آله) إلى سعد بن عبادَةَ عليّا (عليه السّلام) أن ينزع اللّواء منه، و أن يدخل بها مكّة^{١٦٨}.

و دخل رسول الله (صلّى الله عليه و آله) مكّة بذلك الجيش الكبير الذي لم تعرف له مكّة

ص: ٩٤

نظيرا في تأريخها الطويل، و لواءه بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)، و أعلن العفو العامّ و هو على أبواب مكّة.

صعود عليّ (عليه السّلام) على منكب رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لتعطيم الأصنام:

و روى عن عليّ (عليه السّلام) أنّه قال: انطلق بي رسول الله (صلّى الله عليه و آله) إلى كسر الأصنام، فقال لي: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثمّ صعد الرسول على منكبي فقال لي:

انهض بي، فنهضت به، فلمّا رأى ضعفى تحته قال: اجلس، فجلست و نزل عني، و قال: يا عليّ اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، ثمّ نهض بي حتى خيل لي أن لو شئت نلت السماء، و صعدت على الكعبة .. فألقيت الصنم الأكبر و كان من نحاس موتدا بأوتاد من حديد، فقال (صلّى الله عليه و آله): عالجه، فلم أزل اعالجه و رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يقول: إيه إيه، حتّى قلّعت، فقال: دقّه، فدقّته و كسّرتة و نزلت^{١٦٩}.

ز - عليّ (عليه السّلام) في غزوة حنين^{١٧٠}:

بعد أن كتب الله النصر و الفتح لرسوله (صلّى الله عليه و آله) حين دخل مكّة و استسلمت قريش و أذعنّت له أجمعت قبيلة «هوازن» و قبيلة «ثقيف» على محاربة النّبيّ (صلّى الله عليه و آله) و المبادرة إليه قبل أن يغزوهم، و أعدّ لهم النّبيّ العدة لمّا سمع بذلك، و عبّ المسلمين الذين تجاوز عددهم اثني عشر ألفا و خرج اليهم من مكّة.

و لمّا قربوا من موقع العدوّ صفّهم (صلّى الله عليه و آله) و وزّع الألوية و الرايات على قادة الجيش و زعماء القبائل، فأعطى عليّا لواء المهاجرين^{١٧١}، و لكنّ هوازن أعدّت خطة للغدر بالمسلمين على حين غفلة منهم، فكمنوا لهم في شعاب واد من أودية

^{١٦٨} (3) تأريخ الطبري: 334 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، الإرشاد للمفيد: 121 الفصل 34 الباب 2.

^{١٦٩} (1) المستدرك على الصحيحين: 367 / 2 و 5 / 3. و روى ابن الجوزي في تذكرة الخواص 34 مثله، ينابيع المودة للقندوزي: 254.

^{١٧٠} (*) وقعت غزوة «حنين» في شوال سنة ثمان للهجرة النبويّة.

^{١٧١} (2) السيرة الحلبية: 106 / 3.

تهامة حيث لا مفرّ لهم من المرور فيه.

و حين انحدر المسلمون في وادي «حنين» باغتهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، و انهزمت بنو سليم و كانوا في مقدّمة جيش المسلمين و انهزم من وراءهم، و خلّى الله تعالى بينهم و بين عدوّهم لإعجابهم بكثرتهم، و لم يثبت مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) إلّا نفر قليل من بنى هاشم و أيمن بن عبيد^{١٧٢}.

و وقف علىّ (عليه السّلام) كالمارد يضرب بسيفه عن يمينه و شماله، فلم يدن أحد من النّبىّ (صلّى الله عليه و آله)؛ إلّا جندله بسيفه، و كان لثبات النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) و دفاع علىّ (عليه السّلام) و من معه أن عادت الثّقة الى نفوس بعض المسلمين، فأعادوا الكرّة على هوازن . و خرج رجل من هوازن يدعى «أبو جروّل» حامل رايتهم و كان شجاعا، فتحاماه الناس و لم يثبتوا له، فبرز إليه علىّ (عليه السّلام) و قتله، فدبّ الذعر في نفوس المشركين كما دبّ الحماس في نفوس المسلمين، و وضع المسلمون سيوفهم في هوازن و أحلافها يقتلون و يأسرون و علىّ (عليه السّلام) يتقدّمهم حتى قتل بنفسه أربعين رجلا من القوم، فكان النصر للمسلمين^{١٧٣}.

ح - علىّ (عليه السّلام) في غزوة تبوك^{١٧٤}:

استعدّ النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) لمواجهة الروم حين علم أنّهم يريدون الإغارة و الهجوم على الجزيرة، فأعدّ بما يملك من استراتيجيّة محكمة العدّة و العدد، و قرّر - لأهميّة الموقف و النزال - أن يكون على رأس الجيش المتقدّم، و لكنّ الظروف السياسيّة و العسكريّة لم تكن تدعو للاطمئنان التامّ و نفى الاحتمال من هجوم المنافقين أو المرجفين على المدينة أو قيامهم بأعمال تخريبية أخرى، لذا يتطلّب

الأمر أن يبقى في المدينة من يتمتّع بمؤهّلات و لياقات عاليّة و حكمه بالغه و دراية تفصيليّة في جميع الامور و حرص على العقيدة كي يتمكّن من مواجهة الطواري، فاختار النّبىّ الأكرم (صلّى الله عليه و آله) عليّا لهذه المهمّة الحساسة كي يقوم مقام النّبىّ في غيابه.

فقال (صلّى الله عليه و آله): «يا علىّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بى أو بك».

و لما تحرّك النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) باتّجاه «تبوك»؛ ثقل على أهل النفاق بقاء علىّ (عليه السّلام) على رأس السلطنة المحليّة في عاصمة الدولة الإسلاميّة، و عظم عليهم مقامه، و علموا أنّها في حراسة أمنيّة و لا مجال لمطمع فيها، فساءهم ذلك، فأخذوا يردّدون في مجالسهم و نواديهم أنّ النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) لم يستخلفه إلّا استثقلا و مقتاله، فبهتوا بهذا الإرجاف عليّا، كبهت قريش للنّبىّ بالجنّة و السّحر.

^{١٧٢} (1) تأريخ الطبري: 347/2، و أعيان الشيعة للأمين: 279/1.

^{١٧٣} (2) روضة الكافي: ص 308 رقم الحديث 566، و المغازي للواقدي: 895/2، و كشف الغمّة: 226/1.

^{١٧٤} (*) وقعت غزوة «تبوك» في شهر رجب سنة تسع من الهجرة النبويّة.

فلما بلغ علياً (عليه السلام) إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فأخذ سيفه و سلاحه و لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك خلّفتني استئقلا و مقتا، فقال (صلى الله عليه وآله): إرجع الى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بى أو بك، فأنت خليفتى فى أهل بيتى و دار هجرتى و قومى، أما ترضى - يا على - أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى.

فرجع علىّ (عليه السلام) و مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى سفره^{١٧٥}.

تبليغ سورة براءة:

استمرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبلّغ رسالته المباركة و ينشر الإسلام فى ربوع

ص: ٩٧

الجزيرة العربية، و فى ذات الوقت يطارد فلول الشرك عسكريا حتى أشرفت السنة التاسعة للهجرة على نهايتها، فأصبح للإسلام كيان سياسى مستقلّ و أمة تسودها علاقات متينة و أرض مترامية الأطراف و حدود منيعة، و لم يعد ل قوى الشرك وجود معتبر، فكان لابدّ من تصفيتهم، و نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) سورة «براءة» التى تسنّ التشريعات التى تحدّد موقفه من المشركين و العهود و الأحلاف التى كان قد أبرمها معهم. و كان أفضل مكان لإعلان هذا القرار و قراءة هذا البيان الرسمى الإلهى هو البيت الحرام، و أفضل وقت له هو اليوم العاشر من ذى الحجة حيث يجتمع المشركون من أطراف الجزيرة، فأرسل النبيّ (صلى الله عليه وآله) أبا بكر ليحجّ بالناس و يبلّغ سورة «براءة»، و لما انتهى الى «ذى الحليفة» و هو المكان المعروف اليوم بمسجد الشجرة، و إذا بالوحى ينزل على النبيّ و يأمره أن يرسل مكانه على بن أبى طالب (عليه السلام)، فأرسل النبيّ علياً و أمره أن يأخذ الآيات من أبى بكر و يبلّغها بنفسه، فمضى نحو مكة و هو على ناقه النبيّ حتى التحق بأبى بكر، فلما سمع رغاء الناقة عرفها فخرج فرعا و هو يظنّ ه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و إذا هو علىّ، فأخذ منه الآيات و رجع أبو بكر الى المدينة خائفا أن يكون قد نزل فيه ما يغضب النبيّ، فقال: يا رسول الله! أنزل فى شىء؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): لا، و لكننى امرت أن ابّلغها أنا أو رجل منى^{١٧٦}.

و انطلق علىّ (عليه السلام) فى طريقه حتى بلغ مكة، و عندما اجتمع الناس لأداء مناسكهم؛ قرأ عليهم الآيات الاولى من السورة، و نادى فى الناس: لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، و لا يطوف بالبيت عريان، و من كان بينه و بين رسول الله عهد فعهدة إلى مدّته^{١٧٧}.

ص: ٩٨

علىّ (عليه السلام) فى اليمن:

^{١٧٥} (1) تاريخ الطبري: 368 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و الإرشاد للمفيد: 138، الفصل 43، و السيرة الحلبية بهامش السيرة النبوية: 3 / 132، و صحيح البخاري: باب غزوة تبوك 3 / 6، و صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة:

5 / 23 الحديث 2404 و الترمذي: 2 / 300. و مسند أحمد: 1 / 185 و 284 الحديث 508 و سنن ابن ماجه: 1 / 42 الحديث 115 و تاريخ بغداد: 1 / 432 رقم 6323.

^{١٧٦} (1) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: 2 / 291، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة 2 / 343.

^{١٧٧} (2) البداية و النهاية لابن كثير: 5 / 45.

استمراراً في نشر الإسلام أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن خالد بن الوليد وجمعا من الصحابة ليدعوا قبيلة «همدان» إلى الإسلام، وظل خالد نحواً من ستة أشهر دون أن يحقق نجاحاً، فلم يتمكن من إقناع همدان في اعتناق الإسلام، فبعث إلى النبي يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرافهم عنه، عند ذاك بعث النبي (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) وطلب منه أن يعيد خالداً إلى المدينة ويحل محله في مهمته، ويبقى معه من يشاء من المجموعة المرسله مع خالد.

روى عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد وبقى في سرية علي (عليه السلام):

كنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث علياً (عليه السلام) وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا وصلى بنا علي (عليه السلام) ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعاً وأرسل علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخبر السار، فخر رسول الله ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان^{١٧٨}.

و روى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسل علياً في مهمة ثانية إلى اليمن ليدعو «مذحج» إلى الإسلام، وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله له اللواء وعمه بيده، وأوصاه أن لا يقاتلهم إلّا إذا قاتلوه، فلما دخل إلى بلاد مذحج؛ دعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعدّ علي (عليه السلام) أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فتركهم، ثم دعاهم إلى الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: له نحن على من

ص: ٩٩

وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

و روى: أن علياً (عليه السلام) قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدرى وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، ثم قال: إذا جاءك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك؛ تبين لك القضاء، قال علي (عليه السلام): والله ما شككت في قضاء بين اثنين^{١٧٩}.

ثم إن علياً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم الباقي على أصحابه، وبلغه خبر خروج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مكة لأداء فريضة الحج، فتعجل (عليه السلام) السير ليلتحق بالنبي (صلى الله عليه وآله) في مكة، و روى أن بعض من كان في سرية علي (عليه السلام) اشتكى من شدته في إعطاء الحق، فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك قال: أيها الناس، لا تشتكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى منه^{١٨٠}.

^{١٧٨} (1) أعيان الشيعة: 1/ 410، والكامل في التاريخ لابن الأثير: 2/ 300، و السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 201.

^{١٧٩} (1) السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 207.

^{١٨٠} (2) سيرة ابن هشام: 4/ 603، و السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 205 مثله.

و عن عمرو بن شاس الأسلمي أنه قال : كنت مع عليّ (عليه السلام) في خيله التي بعثه بها رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى اليمن، فوجدت في نفسي عليه^{١٨١}، فلما قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة و عند من لقيته، فأقبلت يوما و رسول الله (صلى الله عليه و آله) جالس في المسجد، فلما رأيته أنظر الى عينيه نظر إلىّ حتى جلست إليه، فقال : إيه يا عمرو، لقد آذيتني، فقلت : إنا لله و إنا اليه راجعون أعوذ بالله و الإسلام من أن أؤذى رسول الله، فقال (صلى الله عليه و آله): «من آذى عليّا فقد آذاني»^{١٨٢}.

ص: ١٠٠

طبيعة عمل النبي (صلى الله عليه و آله):

إنّ النبي (صلى الله عليه و آله) الذي كان يعيش همّ الرسالة الإسلامية بذل قصارى جهده في التبليغ و النصيح لبناء مجتمع رسالي رصين يقاوم كلّ الظروف حتى يسود الإسلام بقاع الدنيا، و قد عمل (صلى الله عليه و آله) على محورين رئيسين هما: توعية الأمة بوصفها الرعيّة بالمقدار الذي تتطلبه الرعيّة الواعية من فهم و ثقافة و قدرة على ممارسة الحياة الإسلامية كما أرادها الله سبحانه، و كان لعليّ (عليه السلام) دور فاعل في هذا المحور، فأنه يمكننا القول بأنّ النبي (صلى الله عليه و آله) كان مشغولا بتوسيع رقعة المجتمع الإسلامي طويلا، و كان عليّ (عليه السلام) مشغولا بتعميق الرقعة عرضيا، فكانت مهمته تكملة لهمة النبي (صلى الله عليه و آله).

و المحور الآخر هو إعداد و توعية الصفوة التي اختارها الله سبحانه لتخلف النبي (صلى الله عليه و آله) في غيابه لقيادة المجتمع و الرسالة الإسلامية و صيانتها عن الانحراف و الزيغ، إعدادا على مستوى قيادة التجربة و على مستوى الحاكمية عليها، و قد أعدّ النبي عليّا ليتسلّم التجربة الإسلامية من بعده من خلال إشراكه في كلّ المواقف المهمة و المعقّدة و الصعبة و من خلال تثقيفه ثقافة خاصة لم يشاركه أحد فيها، فقد روى عنه (عليه السلام) أنّه قال: «علّمني رسول الله (صلى الله عليه و آله) من العلم ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب»^{١٨٣}.

و كان عليّ (عليه السلام) يتمتّع بمؤهلات و لياقات عالية أهّلتة أن ينال ثقة النبي (صلى الله عليه و آله) المطلقة في قوله و فعله، فنجد أنّ النبي (صلى الله عليه و آله) أخذ عليّا صغيرا و تعهّده و ربّاه، فلازمه طوال فترة حياته، و ما أن مضت فترة على الدعوة الإسلامية؛ حتى أعلن النبي (صلى الله عليه و آله) عن اتّخاذه عليّا (عليه السلام) أخا و مؤازرا له في دعوته، و كرّر هذا

ص: ١٠١

الإعلان في مواطن عديدة، بل اتّخاذه أخا و مساويا له في كلّ شيء ما عدا النبوة.

و حين توضّحت شخصيّة عليّ (عليه السلام)؛ بدأ النبي (صلى الله عليه و آله) يكلفه نيابة عنه في المهمّات التي لا يمكن أن يقوم بها أحد غير النبي (صلى الله عليه و آله) أو شخص كنفسه، مثل:

^{١٨١} (3) المستدرك على الصحيحين: 134 / 3.

^{١٨٢} (4) السيرة النبوية لابن كثير: 202 / 4.

^{١٨٣} (1) أئمة أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: 95.

المبيت في فراش النبي ليلة الهجرة؛ و ردّ الودائع، و حمل الفواطم الى المدينة.

و من درجة اهتمام النبيّ بعليّ في هذه المرحلة؛ أنّه لم يدخل المدينة عند هجرته اليها، و صرّح بعدم اتّخاذها مقراً جديداً له حتى يلتحق عليّ به، و تبليغ سورة «براءة» مثال آخر فقد أخذ عليّ (عليه السّلام) السورة من أبي بكر و بلّغها.

و حين اضطرّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) للمواجهات العسكرية لم يكن يعطى رأيه إلّا لعليّ (عليه السّلام)، و كان يرسله في كلّ المواقف المستعصية التي تتطلّب كفاءة عالية، فكان عليّ (عليه السّلام) يؤدّيها على أتمّ وجه.

و في مرحلة جديدة بعد أن امتاز عليّ (عليه السّلام) من غيره من الصحابة بصدق سريره و عمق إيمانه و تفانيه من أجل العقيدة و المبدأ أشار النبيّ (صلى الله عليه و آله) الى أهميّة أهل بيته (عليهم السّلام) و وجودهم و عظيم حبّه لهم، و ميّز عليّاً (عليه السّلام)، و قد دعم القرآن الكريم موقف النبيّ (صلى الله عليه و آله) بقوله: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**^{١٨٤}.

و أشار النبيّ (صلى الله عليه و آله) الى طهارة عليّ و أهل بيته من الرّجس المادى و المعنوى، و لم يأذن لأحد بالمرور بمسجده على كلّ حال إلّا لعليّ.

و لم يزل النبيّ يوجّه القاعدة الشعبية للالتفاف حول عليّ، و يأمرهم بحبّه و التعلّق به عند حلول المشاكل أو المستجدات المستعصية، و وضّح لهم ضرورة فهم شخصية عليّ (عليه السّلام) فى شدّة إيمانه و قوّته فى ذات الله و عمق فهمه للعقيدة الإسلامية وسعة علمه، فكانت الأحاديث: «أقضاكم عليّ. أعلمكم عليّ. أعدلكم

ص: ١٠٢

١٨٥

عليّ» و قد أثبتت الأحداث و الوقائع صحّة ذلك.

و فى آخر منسك من مناسك الإسلام أشرك النبيّ (صلى الله عليه و آله) عليّاً فى حجّه دون غيره من المسلمين و قد صرّح بذلك، و قاما معا بنحر الهدى.

كانت هذه الخطوات إعداداً و تهيئة الأرضية لإعلان الغدير حين وقف النبيّ (صلى الله عليه و آله) بعد إتمام مراسم حجّة الوداع ليعلن للملأ أنّه سيغادر الدنيا و يخلف عليّاً كقائد و مرجع للامة بعده، و أنّ هذا الإعلان و التنصيب صادر عن الله تعالى، و تمّت بيعه الناس لعليّ (عليه السّلام) بإمرة المؤمنين و نزل الوحي الإلهى ببلاغ تمام النعمة و كمال الدين.

^{١٨٤} (١) الشورى (42): 23.

^{١٨٥} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

على (عليه السلام) في حجة الوداع:

بشوق غامر و غبطة تملأ القلوب تطلّع المسلمون الى اللقاء العبادى السياسى الذى لم يشهد التأريخ نظيرا له من قبل عندما تحرّك موكب النبى (صلى الله عليه وآله) فى أواخر شهر ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة باتجاه مكة ليؤدّى مناسك الحجّ و حيث اللقاء مع الجموع القادمة من أطراف الجزيرة العربية يحدوها هدف واحد و تحت راية واحدة يردّدون شعارا إلهيا واحدا^{١٨٦}:

[لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إنّ الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك لبيك].

و كان النبى (صلى الله عليه وآله) قد كتب الى على (عليه السلام) فى اليمن يأمره أن يلتحق به فى مكة ليحجّ معه، و أسرع على بالخروج من اليمن و معه الغنائم و الحلل التى أصابها من اليمن، و التقى بالنبى (صلى الله عليه وآله) و قد أشرف على دخول مكة، فاستبشر بلقائه و أخبره بما صنع فى اليمن، ففرح النبى (صلى الله عليه وآله) بذلك و ابتهج و قال له: بم أهلت؟

ص: ١٠٣

فقال على (عليه السلام): يا رسول الله! إنك لم تكتب إلى بإهلالك و لا عرفته فعقدت نيتي بنيتك، و قلت اللهم إهلالا كإهلال نبيك، و سقت معي من البدن أربعا و ثلاثين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الله أكبر و أنا قد سقت معي ستا و ستين، فأنت شريكي فى حجّي و مناسكى و هديي، فأقم على إحرامك وعد الى جيشك و عجل به حتى نجتمع بمكة، و كان على (عليه السلام) قد سبق الجيش حينما بلغ مشارف مكة و أمر عليهم رجلا منهم^{١٨٧}.

و أدى النبى مناسك العمرة و الحجّ و على معه، و قال (صلى الله عليه وآله): منى كلّها منحر، فنحر بيده الكريمة ثلاثة و ستين، و نحر على (عليه السلام) سبعة و ثلاثين تمام المائة، ثم اجتمع الناس فخطب النبى (صلى الله عليه وآله) خطابا جامعا وعظ المسلمين فيه و نصّحهم^{١٨٨}.

أتم النبى (صلى الله عليه وآله) و المسلمون مناسكهم فى منى، ثم رجع إلى مكة فدخل فيها، و طاف طواف الوداع، ثم أتجه الى المدينة.

على (عليه السلام) فى غدیر خم أميرا للمؤمنين:

و لما انصرف النبى (صلى الله عليه وآله) راجعا الى المدينة و معه تلك الحشود الغفيرة من المسلمين؛ وصل الى غدیر خم من الجحفة التى تشعب فيها طرق أهل المدينة و العراق و مصر، و ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة، نزل إليه الوحي عن الله بقوله: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**^{١٨٩} و أمره أن يقيم عليّا علما للناس و يبلغهم ما نزل فيه من الولاية و فرض الطاعة على كل أحد، و قد ضمن الوحي للنبى (صلى الله عليه وآله) أن يكفيه شرّ الحاقدين و

^{١٨٦} (1) يرى بعض المؤرخين أن من خرج مع النبى يبلغ تسعين ألفا، و البعض الآخر مائة و عشرين ألفا، عدا من حجّ من أهالي مكة و ضواحيها و اليمن و غيرها. راجع السيرة الحلبية: 3/ 257، و كنز العمال: 11/ 609.

^{١٨٧} (1) الإرشاد للمفيد: 1/ 172، و السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 205.

^{١٨٨} (2) السيرة الحلبية: 3/ 283، و السيرة النبوية لابن كثير: 4/ 291.

^{١٨٩} (3) المائدة (5): 67.

الحاسدين من الناس، و كان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يردّ من تقدّم منهم، و يحبس من

ص: ١٠٤

تأخّر عنهم في ذلك المكان الذي لم يكن منزلاً لأحد من قبله، و لم يكن هو (صلى الله عليه وآله) ينزل فيه لولا خطاب الوحي له، ثمّ وقف (صلى الله عليه وآله) بين تلك الجموع و قال بصوت يسمعه الجميع : أيّها الناس كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .. ثمّ قال: إنّ الله مولاى و أنا وليّ كلّ مؤمن و مؤمنة، و أخذ بيد عليّ (عليه السلام) و قال: «من كنت مولاة فهذا عليّ مولاة، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و أنصر من نصره، و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثمّ لم يفترقوا حتى نزل أمين الوحي بقوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.**

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، و رضى الرب برسالتي و الولاية لعلّي من بعدى» ثمّ طفق القوم يهتّون أمير المؤمنين (عليه السلام) و ممّن هنّاه فى مقدّم الصحابة الشيوخ أبو بكر و عمر، كلّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبى طالب، أصبحت و أمسيّت مولاى و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة^{١٩٠}.

و روى: أنّ النّبىّ (صلى الله عليه وآله) أمر بنصب خيمة لعلّي (عليه السلام) و أمر المسلمين أن يدخلوا على فوجا فوجا و يسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل ذلك كلّهم حتى من كان معه (صلى الله عليه وآله) من أزواجه و نساء المسلمين^{١٩١}.

ص: ١٠٥

واقعة الحارث بن النعمان و نزول آية سأل سائل بعذاب واقع:

لما شاع و انتشر قول النّبىّ (صلى الله عليه وآله): «من كنت مولاة فعلىّ مولاة» فبلغ الحارث ابن النعمان الفهرى، فأتى النّبىّ على ناقته و كان بالأبطح، فنزل و عقل ناقته و قال للنّبىّ و هو فى ملأ من الصحابة: يا محمّد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّك رسول الله فقبلنا منك، ثمّ ذكر سائر أركان الإسلام و قال: ثمّ لم ترض بهذا حتى مددت بضبعي ابن عمّك و فضّلته علينا و قلت: «من كنت مولاة فعلىّ مولاة» فهذا منك أم من الله؟

فقال النّبىّ (صلى الله عليه وآله): «و الله الذى لا إله إلاّ هو، هو أمر الله» فولّى الحارث يريد راحلته و هو يقول: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامّته و خرج من دبره، و أنزل الله تعالى: **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**^{١٩٢}.

^{١٩٠} (1) السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية: 3/ 274، و المناقب لابن المغازلي الشافعي: 16، و الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: 40، و ينابيع المودة للقندوزي: 40.

و قد ورد حديث الغدير في مصادر كثيرة جدّا يضاف لما ذكرنا منها : أسباب النزول للنيشابوري، مطالب السؤل لكمال الدين الشافعي، تفسير مفاتيح الغيب للرازي، تفسير المنار لمحمّد عبده، تفسير ابن شريح، تذكرة الخواص لابن الجوزي، مسند الإمام أحمد، ذخائر العقبى للطبري، الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري و غيرها من الجوامع الحديثية و التاريخية و التفسيرية، راجع الغرر للعلامة الأميني^{١٩١} (2) الإرشاد للمفيد: 1/ 176.

محاولات الرسول (صلى الله عليه وآله) لتثبيت بيعة عليّ (عليه السلام):

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علم تامّ بما سيؤول إليه وضع المسلمين من بعده، لأنّه كان يراقب العلل و الأمراض التي ابتلى بها هذا المجتمع، و كان على يقين بأنّ أوّل ضربة من بعده ستوجّه الى الخطّ الرسالي الذي أرسى قواعده هو

ص: ١٠٦

و عليّ، و إلى الزعامة التي أشار إليها النبيّ (صلى الله عليه وآله) في أن تخلفه في الخطّ الصحيح للدعوة الإسلامية، لأنّ هذا يهدّد مصالح الكثير ممّن كانوا يريدون أن يستفيدوا من الإسلام و يتنعموا بإشباع رغباتهم في ظلاله لا أن يقدموا جهدا و فائدة للإسلام، و يتزعموا هذا الكيان الكبير الذي بناه النبيّ (صلى الله عليه وآله).

و كان (صلى الله عليه وآله) يتخوّف من أن تتحول الشريعة الإسلامية الى شيء آخر غير الذي أنزله الله عليه، و تكون خاضعة للأهواء و الرغبات، و كمصداق على تخوف النبيّ هو واقعة الحارث بن النعمان الذي جاء يشكّك و يستنكر على النبيّ موافقه.

فما كان منه (صلى الله عليه وآله) إلّا و أن يعلن موقفه من الاتجاه الصحيح لخطّ الدعوة الإسلامية عبر مراحل و فترات عديدة، فكان يكرّر لأصحابه : إن تستخلفوا عليّا - و ما أراكم فاعلين - تجدوه هاديا مهديا يحم لكم على المحجّة البيضاء^{١٩٤}.

و روى أن سعد بن عبادَةَ قال في ملأ من الناس : فو الله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إذا أنا متّ تضلّ الأهواء بعدى و يرجع الناس على أعقابهم، فالحقّ يومئذ مع عليّ (عليه السلام).

و حديث الثقلين شاهد آخر على ضرورة التمسك بطاعة عليّ (عليه السلام) و السير على هديه و منهاج ولايته لضمان سلامة العقيدة الإسلامية و تحصينها من الانحراف.

ثمّ بدأ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بإعداد خطّة جديدة لإتمام الأمر الإلهي بتنصيب عليّ أميرا للمؤمنين، فحاول أن يعدّ جيشا كبيرا يضمّ فيه كلّ العناصر التي من الممكن أن تدخل في حلبة الصراع السياسي مع الإمام عليّ (عليه السلام) و تناوئه على زعامة الساحة الإسلامية، و من ثمّ سينحرف مسار الرسالة الإسلامية عن طريقها القويم، أو على الأقلّ أنّها تطالب بمكانة سياسية أو إدارية في جهاز الدولة، و قد يظهر

ص: ١٠٧

^{١٩٢} (1) المعارف (70): 1.
^{١٩٣} (2) تفسير المنار: 464/6، و تذكرة الخواص: ص 31 مع اختلاف في اللفظ، و الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 42، أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره و الحاكم الحسكاني في كتابه دعاة الهداة، و القرطبي في تفسيره، و الحموي في فرائد السمطين، و الزرندي الحنفي في معارج الوصول و درر السمطين، و السمهودي في جواهر العقدين، و العماري في تفسيره، و الشريبي القاهري الشافعي في تفسيره، و المناوي الشافعي في فيض القدير، و الحلبي في السيرة الحلبية و الحفني الثرلعي في شرح الجامع الصغير، و الزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنية، و الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار، و غيرهم كما تجد تفصيل ذلك في الجزء الأول من موسوعة الغدير.
^{١٩٤} (1) حلية الأولياء لأبي نعيم: 64/1، و مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 32/18.

موقفا معاديا في حالة رفض الإمام عليّ (عليه السلام) ذلك، ممّا قد يثير الكثير من المشاكل للامّة و هي في حالة ارتباك بفقده (صلّى الله عليه وآله).

مرض النبيّ (صلّى الله عليه وآله) و سرّيّة اسامته:

حياء عليّ (عليه السلام) هي حياة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) و الرسالة الإسلامية، فالمواقف المهمّة و الصعبة في الكثير من الصراعات و الأزمات و المنعطفات التي وقف فيها عليّ بكلّ بسالة و شجاعة مع رسول الله حتى آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدى القرب و الاتصال و التلاحم المصيري بين الرسول و عليّ، و تفهّمنا جيّدا من خلال الآيات و الروايات و حوادث التاريخ أنّ عليّا هو الامتداد الطبيعي لرسول الإسلام (صلّى الله عليه وآله) و هو المؤهل لقيادة الامّة الإسلامية بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله) و ليس ثمة إنسان آخر.

لقد أودع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عليّا (عليه السلام) أسرار النبوة و تفاصيل الرسالة و حمّله عبء مسؤولية رعايتها و صيانتها، حتى أنّه أوكل اليه أمر تجهيزه و دفنه دون غيره، لعلمه وثقته بأنّ عليّا (عليه السلام) سينفّذ أوامره و لا يحيد عنها قيد أنملة و لا يتردّد طرفة عين، و لم يكن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يطمئنّ لغيره هذا الاطمئنان.

و كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يصرّ على تبيان خلافة عليّ (عليه السلام) و أنّه الوصيّ من بعده حتى في آخر لحظات حياته المباركة مضافا الى كلّ التصريحات و التلميحات التي أبدّاها في شتى المناسبات و مختلف المواقف.

لما رجع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من حجّه الى «يثرب»، أقام فيها أيّاما حتى اعتلّت صحّته و اشتدّ به ألم المرض، و كان (صلّى الله عليه وآله) يقول: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم»^{١٩٥} و تقاطر المسلمون عليه يعودونه و في

ص: ١٠٨

نفوسهم القلق و الأسى و في أذهانهم الحيرة و التساؤل عن مصير الأيام الآتية و الرسالة السماوية، فعنّي (صلّى الله عليه وآله) إليهم نفسه و أوصاهم بما يضمن لهم استمرار مسيرة الرّسالة و تحقيق السعادة و النجاة، فقال (صلّى الله عليه وآله): «أيّها الناس! يوشك أن اقبض قبضا سريعا فينطلق بي و قدّمت إليكم القول معذرة اليكم الا إنّني مخلف فيكم كتاب الله عزّ و جلّ و عترتي أهل بيتي» ثمّ أخذ بيد عليّ (عليه السلام) و قال: «هذا عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

و أراد (صلّى الله عليه وآله) أن يتمّ مساعيه لكي يهيء الامور لتنصيب عليّ خليفة من بعده من دون أن تؤثر عليه قوى التنافس أو مؤامرات المغرضين و دسائس المنحرفين، فقد أجمع المؤرّخون على أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في الأيام الأخيرة من حياته المباركة لم يكن يعنيه شيء أكثر من تجهيز جيش يضمّ أكبر عدد من المسلمين بما في ذلك أبو بكر و عمر و وجوه المهاجرين و الأنصار، و أمر عليهم اسامة بن زيد و إرساله الى الحدود الشمالية لمنطقة الجزيرة العربية و استثنى عليّا (عليه السلام).

^{١٩٥} (١) المسترك على الصحيحين: 58 / 3.

و لكنّ عددا من الصحابة لم يرق لهم أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) فتشاقلوا عن الخروج في جيش اسامة واعتذروا بأعذار واهية، وانطلقت ألسنتهم بالنقد اللاذع والاعتراض المرّ على تأمير اسامة، فخرج (صلى الله عليه وآله) - رغم كلّ الآلام - و خطب فيهم و حثهم على الانضواء تحت قيادة اسامة، و قد بدا عليه الانفعال و التصلّب، و استمرّ يلحّ على إنفاذ الجيش و الخروج نحو هدفه، و قال (صلى الله عليه وآله): أنفذوا جيش اسامة، لعن الله من تخلف عن جيش اسامة^{١٩٦}.

و نجد هنا غرابة في الموقف، و هي إلحاح الرسول على ضرورة مسير جيش اسامة الى الوجهة التي وجّها إياه على الرغم من مرضه و علمه بدنوّ أجله، فلو كان لأحد ممّن كان تحت إمرة اسامة أهميّة في حالة وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله)؛ لاستثناه.

ص: ١٠٩

و أعجب من ذلك هو تلكؤ القوم و تملّصهم عن تنفيذ أمر النبيّ، فكأن هناك أمرا خفيا يريدون إبرامه^{١٩٧}.

و يبدو أنّ الرسول استشفّ من التحركات التي صدرت من الصحابة أنّهم ييغون لأهل بيته الغوائل و يتربّصون بهم الدوائر، و أنّهم مجمعون على صرف الخلافة عنهم، فرأى (صلى الله عليه وآله) أن يصون أمته عن الانحراف و يحميها من الفتن، فأراد أن يحاول معهم محاولة جديدة لتثبيت ولاية علىّ (عليه السلام) و خلافته له (صلى الله عليه وآله) فقال:

«إئتوني بالكنف و الدواة أكتب إليكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا».

فتنازعوا- و لا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع- فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟

استفهموه. فذهبوا يردّدون عليه القول: فقال (صلى الله عليه وآله): دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني اليه، و أوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجازوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، و سكت عن الثالثة عمدا أو قال : فنسيته^{١٩٨}.

رأى:

دوّن أكثر المؤرّخين هذا الحديث في كتبهم على هـ ذا النحو، و لم يذكروا من وصاياه إلّا وصيّتين و سكتوا عن الثالثة أو تناسوها مجاراة للحاكمين الذين تقمّصوا الخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، في حين أنّه لم يسبق لأحد من الرواة لأحاديثه (صلى الله عليه وآله) أن نسي شيئا أو فاته دون أن يدوّنه حتى يمكن القول بأنّهم

ص: ١١٠

^{١٩٦} (1) السيرة الحلبية: 34 / 3.
^{١٩٧} (1) و ممّا يؤكّد هذا الظنّ أنّ الصحابة الذين أبوا الخروج في جيش اسامة كانوا يخشون تكرار الموقف الذي حصل في غزوة تبوك عندما استخلف النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّا في المدينة و من ثمّ تصرّحوا «أنت ممّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» ممّا أثار الريب و الحسد في نفوسهم.
بل إنّهم أدركوا أنّ الأمر في هذه المرّة يحمل أبعادا أخرى تتعدّى مسألة الخروج مع جيش اسامة، خاصة بعد أن رأوا الرسول يصرّ على خروجهم و يستثني عليّا، و علامات المرض تشدّد علىّ و في هذه الفترة كان (صلى الله عليه وآله) يكرّر عليهم بأنّي أوشك أن ادعى فاجيب.
^{١٩٨} (2) الطبقات الكبرى لابن سعد : 4 / 60، و تاريخ الطبري : 2 / 436 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التاريخ لابن الأثير : 2 / 320، و الإرشاد للمفيد: 1 / 184.

أحصوا حتى أنفاسه (صلى الله عليه وآله) فكيف نسي الحاضرون على كثرتهم وازدحامهم عنده وصيته الثالثة وهو في حالة الوداع لهم؟ وهم ينتظرون كل كلمة تصدر منه تهدئ من روعهم و تبعث الأمل في نفوسهم نحو المستقبل؟ ولو لا أن الثالثة تأكيد لنصوصه (صلى الله عليه وآله) السابقة على خلافة عليّ (عليه السلام)؛ لم ينسها أو لم يتغافل عنها أحد من الرواة أولئك^{١٩٩}!

عليّ (عليه السلام) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة:

اشتدّ المرض على النبيّ (صلى الله عليه وآله) فلغى عليه، فلما أفاق قال (صلى الله عليه وآله): «ادعوا لي أخي و صاحبي» و عاوده الضعف فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر، و قالت حفصة: لو بعثت إلى عمر، فاجتمعوا عنده جميعا فقال (صلى الله عليه وآله): «انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث اليكم»^{٢٠٠}.

ثمّ دعى عليّ (عليه السلام) فلما دنا منه أوماً إليه، فأكبّ عليه، فواجه الرسول (صلى الله عليه وآله) طويلا، ثمّ ثقل النبيّ و حضره الموت، فلما قارب خروج نفسه قال لعليّ (عليه السلام):

«ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، و امسح بها و جـ هـك، ثمّ وجهني إلى القبلة و تولّ أمرى وصلّ عليّ أول الناس، و لا تفارقني حتى تواريني في رمسي، و استعن بالله تعالى»^{٢٠١}.

و هكذا انتقل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى جوار ربّه راضيا مرضيا بعد أن أدّى رسالته بأحسن وجه، و أوضح السبيل للأمة من بعده. و على بن أبي طالب (عليه السلام) يلازمه ملازمته الظل لذي الظل و يتابعه متابعة التلميذ لاستاذه في جميع لحظات حياته الرسالية المباركة.

ص: ١١١

الباب الثالث فيه فصول:

الفصل الأول:

عصر الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

الفصل الثاني:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

الفصل الثالث:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عمر

^{١٩٩} (1) سيرة الأئمة الإثني عشر، للحسنّي: 1/ 255.

^{٢٠٠} (2) تاريخ الطبري: 2/ 439 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢٠١} (3) الإرشاد للمفيد: 1/ 186.

الفصل الرابع:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عثمان

ص: ١١٣

الفصل الأول عصر الإمام عليّ (عليه السلام)

حديث الوفاة:

لم يكن حول النبي (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة من حياته سوى عليّ (عليه السلام) و بنى هاشم، و قد علم الناس بوفاته من الضجيج و عويل النساء، فأسرعوا و تجمّعوا في المسجد و خارجه و هم في حالة من الارتباك و الدهشة لا يحIRON جوابا إلّا البكاء و النواح، و هم على هذه الحالة و إذا بموقف غريب يصدر من عمر إذ خرج بعد أن دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) و السيف في يده يهزه و يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات، إنّه و الله ما مات و لكنّه قد ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران^{٢٠٢}. و لم يهدأ عمر حتى وصل أبو بكر^{٢٠٣} إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكشف عن وجه النبيّ و خرج مسرعا، و قال: أيّها الناس، من كان يعبد محمّدا فإنّ محمّدا قد مات، و من كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا الآية : **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... ٢٠٤**.

ثمّ خرج عمر و أبو بكر و أبو عبيدة الجراح من البيت الذي فيه جثمان النبي المبارك و تركوه إلى عليّ و أهل بيته المفجوعين بوفاته، و قد أذهلهم المصاب عن كلّ شيء، و قام عليّ (عليه السلام) و أهل بيته (عليهم السلام) بتجهيز النبيّ و الصلاة عليه و دفنه،

ص: ١١٤

و في الوقت نفسه كانت قد عقدت الأنصار اجتماعا لها في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة.

الحزب القرشي و الأنصار في السقيفة:

ما أن سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة؛ حتى أتى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) و فيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اخرج إليّ، فأجابه بأنّه مشغول، فأرسل إليه عمر ثانية أن اخرج فقد حدث أمر لابدّ أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة و معهما أبو عبيدة و من ثمّ لحقهم آخرون، فأدركوا الأنصار في ندوتهم و لمّا يتمّ بعد الاجتماع و لم ينفض أصحابه، فتغيّر لون سعد بن عباد و اسقط ما في أيدي الأنصار و ساد عليهم الوجوم و

^{٢٠٢} (1) الكامل في التاريخ 2 / 323.

^{٢٠٣} (2) يروى أن أبا بكر كان في «السنح» و هو محل يبعد عن المدينة بميل واحد أو أكثر قليلا.

^{٢٠٤} (3) آل عمران (3): 144.

الذهول، و نفذ الثلاثة في تجمّع الأنصار أتمّ نفوذ و أتقنه، ينمّ عن معرفتهم بالنفوس و نوازعها و رغباتها و معرفتهم بنقاط الضعف التي من خلالها تسقط ورقة الأنصار.

أراد عمر أن يتكلّم فنهزه أبو بكر لعلمه بشدّته و غلظته و الموقف خطير و ملبّد بالأحقاد و الأضغان، و يجب أن يستعمل فيه البراعة السياسية و الكلمات الناعمة لكسب الموقف أوّلاً ثم يأتي دور الشدّة و الغلظة.

و افتتح أبو بكر الحديث بأسلوب لبق فخاطب الأنصار باللفظ، و لم يستعمل في خطابه أيّ كلمة مثيرة فقد قال : نحن المهاجرون أوّل الناس إسلاماً، و أكرمهم أحساباً، و أوسطهم داراً، و أحسنهم وجوهاً، و أمسّهم برسول الله (صلى الله عليه و آله) رحماً، و أنتم إخواننا في الإسلام، و شركاؤنا في الدين، نصرتم و واسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الامراء و أنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة، و لا نقضى دونكم الامور، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح : يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في ظلّكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم، و لا يصدر أحد إلّا

ص: ١١٥

عن رأيكم، أنتم أهل العزّة و المنعة، و اولو العدد و الكثرة، و ذوو البأس و النجدة، و إنّما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم اموركم، فإنّ أبى هؤلاء إلّا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير، فقال عمر : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، و الله لا ترضى العرب أن تؤمّركم و نبّيها من غيركم، و لا تمتنع العرب أن تولّى أمرها من كانت النب وّة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار! املكوا أيديكم، و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإنّ أبوا عليكم؛ فاجلوهم من هذه البلاد، و أنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين، أنا جديها المحكك و عديقتها المرجّب، أنا أبو شبل في عرينه الأسد، و الله إن شئتم لنعيدها جذعة.

و هنا تأزّم الموقف و كاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجراح ليحول دون ذلك و يتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطباً الأنصار: على معشر الأنصار! أنتم أوّل من نصر و آوى، فلا تكونوا أوّل من بدّل، و انسلت كلماته هادئة الى النفوس، فساد الصمت لحظات على الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرّة، يدفعه لذلك حسده لسعد بن عباد فقال: يا معشر الأنصار! ألا إنّ محمّداً من قريش و قومه أولى به، و أيّم الله لا يراني الله انازعهم هذا الأمر.

فاغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهة الأنصار، فطفقوا يقدّم بعضهم بعضاً، فبدا أنّهم لم يروا أنّ واحداً منهم يدعمه نصّ شرعيّ أو يختص بميزة ترفع من رصيده مقابل غيره فتوهّله للخلافة.

فقال أبو بكر: هذا عمر و أبو عبيدة بايعوا أيّهما شئتم^{٢٠٥}، و قال عمر:

ص: ١١٦

^{٢٠٥} (1) الإمامة و السياسة: 1/ 15، و تاريخ الطبري: 2/ 458 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التاريخ 2/ 325.

يا أبا عبيدة ابسط يدك أبايعك، فأنت أمين هذه الأمة^{٢٠٦}، فقال أبو بكر: يا عمر! ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل مني، قال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال عمر: قوتى لك مع فضلك ابسط يدك أبايعك^{٢٠٧} فلما بسط يده لبياعه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير! عقتك عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة؟

ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد؛ قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن خضير و كان نقيبا : والله لئن وليتها الخزرج مرة؛ لزالنا عليكم بذلك الفضيلة أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل أصحاب أسيد يبايعون أبا بكر^{٢٠٨}، وقالت بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّا^{٢٠٩}.

ثم أقبل أبو بكر والجماعة التي تحيط به يزفونه إلى المسجد زفاف العروس^{٢١٠} والنبى (صلى الله عليه وآله) لا زال ملقى على فراش الموت، وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزد شدقه وجماعته تحوطه وهم متزرون بالأزر الصنعانية، لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدموه، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى^{٢١١}.

لقد كانت حجة الحزب القرشي في السقيفة ضد الأنصار مبنية على أمرين:

١- إن المهاجرين أول الناس إسلاما.

ص: ١١٧

٢- إنهم أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمسهم به رحما.

وقد أدان هؤلاء انقادة أنفسهم بهذه الحجة، وذلك لأن الخلافة إذا كانت بالسبق إلى الإسلام والقراءة القريبة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كما يدعون - فهي لعلّ (عليه السلام) وحده، لأنه أول الناس إسلاما وإيمانا وتصديقا بالرسالة الإسلامية، وأخوه بمقتضى المواخاة التي عقدها النبى بينه وبين على يوم آخى بين المهاجرين في مكة، وبينهم وبين الأنصار في المدينة، وابن عمه نسبا وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك.

تحليل اجتماع السقيفة:

سارع الأنصار إلى سقيفة بنى ساعدة، وعقدوا لهم اجتماعا سريّا أحاطوه بكثير من الكتمان والتحفظ، وأحضروا معهم شيخ الخزرج سعد بن عباد الذي كان مريضا، فقال لبعض بنيهِ : إنّه لا يستطيع أن يسمع المجتمعون صوته لمرضه، وأمره أن يتلقّى منه قوله ويردّه على مسامع الناس، فكان سعد يتكلّم ويستمع إليه ابنه، ويرفع صوته بعد ذلك، قال سعد مخاطبا الحاضرين:

^{٢٠٦} (١) الطبقات الكبرى: 3/ 181.

^{٢٠٧} (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: 70.

^{٢٠٨} (٣) الكامل في التاريخ: 2/ 330.

^{٢٠٩} (٤) تاريخ الطبري: 2/ 443 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢١٠} (٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 6/ 8.

^{٢١١} (٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/ 219. ط دار إحياء الكتب العربية.

إنَّ لكم سابقةً إلى الدين و فضيلةً في الإسلام ليست لقبيلةً من العرب، إنَّ رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن و خلع الأوثان، فما آمن من قومه إلَّا قليل، حتى أراد بكم خير الفضيلة، و ساق إليكم الكرامة، و خصَّكم بدينه، فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه، و أثقلهم على عدوّه من غيركم ، ثمَّ توفّاه الله و هو عنكم راضٍ . فشدّوا أيديكم بهذا الأمر فإنَّكم أحقّ الناس و أولاهم

لكنّ المتّبع للأحداث يلمح أنّ اجتماع الأنصار لم يكن في بداية أمره للاستئثار بتراث النبيّ (صلى الله عليه و آله) و اغتصاب الخلافة من أهلها الشرعيّين، و ذلك من خلال ملاحظة ما يلي:

ص: ١١٨

١- عدم حضور خيار الأنصار و هم البدريّون في الاجتماع، مثل : أبي أيوب الأنصاري، حذيفة بن اليمان، البراء بن عازب، عبادة بن الصامت.

٢- إنّ الأنصار كانوا يعلمون جيّدا النصوص النبويّة و يحفظونها، و منها : أنّ الأئمة من قريش، و عرفوا جيّدا الأحكام الواردة في شأن العترة الطاهرة و شهدوا تنصيب عليّ (عليه السّلام) في غدير خم، و أوصاهم النبيّ (صلى الله عليه و آله) بعليّ و أهل بيته (عليهم السّلام)، و حين أدركوا أنّه ليس له دور رئيس في الحكم أخذوا يقولون: لا نبايع إلّا عليّاً^{٢١٢}.

٣- ثمَّ إنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) لا زال مسجّى و لم يدفن بعد، فهل يعقل أن لا يشارك خيارهم في شرف حضور مراسم الدفن و ينشغلوا في اجتماع انتخاب الخليفة؟

٤- من الممكن تفسير اجتماعهم هذا بأنّه لتقرير مصيرهم من الحكم الجديد بعد علمهم بما تخطّط له قريش من تطبيق قرارهم «لا تجتمع النبوة و الخلافة في بني هاشم»، و هم ليست لهم دوافع كالتى كانت في نفوس زعماء قريش، ثمَّ إنّ تخوّفهم هذا له سوابق فبعد فتح مكّة؛ خشيت الأنصار أن لا يعود معهم النبيّ (صلى الله عليه و آله) و كان طبيعياً أن يتخوّفوا من العزلة السياسية و الإدارية.

و إذا قرّرت قريش صرف الخلافة عن صاحبها الشرعىّ و هو عليّ (عليه السّلام)؛ فما دور الأنصار و هم الثقل الأكبر في جمهور المسلمين، و لهم الدور الفاعل و الرئيس في نشر الرسالة الإسلامية؟!

إنّ اجتماع الأنصار في السقيفة لم يكن حاسماً في قراراته، فقد عقد لدراسة الاحتمالات المتوقّعة للخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه و آله)، و أيضاً لم يكن جميع الأنصار على رأى واحد، فقد كانت تختفى في افق الاجتماع نوايا متنافرة و تنطوى النفوس على رغبات متضادة، فنجد بعضهم يجيب سعداً قائلاً : وقّقت في الرأى و أصبت في القول، و لن نعدو ما رأيت، نوليّك هذا الأمر.

ص: ١١٩

ثمَّ ترادّوا في الكلام فقالوا: فإنّ أبى المهاجرون و قالوا نحن أولياؤه و عشيرته.

^{٢١٢} (١) تأريخ الطبري: 2/ 443 ط مؤسسة الأعلمي

و هنا انبرى آخرون فقالوا: نقول: منّا أمير و منكم أمير، فعلق سعد على هذا الاقتراح قائلاً: فهذا أول الوهن^{٢١٣}.

إنّ الأنصار بموقفهم هذا قد هيّأوا فرصةً سياسيةً ثمينةً ما كانت لتفوت الجناح المتربّص للفوز بالسلطة، و فتحوا باب الصراع على مصراعيه بعيداً عن القيم و الأحكام الإسلامية؛ إذ قدّمت فيه الحسابات القبلية على الحسابات الشرعية، و تقدّمت فيه مصلحة القبيلة على مصلحة الرسالة الإسلامية.

و قد اعتذر عمر من مباغته الأنصار في السقيفة فقال : و إنّنا و الله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقتا القوم و لم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإنّما أن نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون الفساد...^{٢١٤}.

و هكذا أخذ الموقف السياسي يزداد تعقيداً و إعضالاً.

نظرة قريش للخلافة:

حين انطلقت الرسالة الإسلامية في مكة و بين ظهرائي قريش؛ لم تتمكّن قريش من تحمّل ظهور نبيّ في بطن من خيار بطونها، بل أفضلها و هي بنو هاشم، فاجتمعت كلمة قريش على محاربة النبيّ (صلى الله عليه و آله) و بنى هاشم بكلّ وسائل الحرب و مقاومتهم بشتّى فنون المقاومة و خطّطت للتآمر لا حباً بالأصنام و ما هم عليه من العبادة و لا كراهية للدعوة الجديدة، فليس في الإسلام ما لا ترتضيه الفطرة السليمة^{٢١٥}، لكن قريشا لا تريد أن تتغيّر صيغتها السياسية القائمة على اقتسام

ص: ١٢٠

مناصب الشرف و السيادة، و خصوصاً أنّ مجتمع الجزيرة كانت تحكمه النزعة القبلية.

من هنا لم تكن قريش تريد أن يتميّز البطن الهاشمي عن بقيّة بطونها و لا أن يتفوّق عليها، و قد تصوّرت أنّ التفات الهاشميين حول النبوة و دفاعهم المستميت عن النبيّ (صلى الله عليه و آله) هو إصرار هاشمي على التميّز و الرغبة بالتفوّق على الجميع، فحاصرت قريش الهاشميين في شعب أبي طالب، و تأمرت على قتل النبيّ، و فشل الحصار و فشلت كلّ محاولات الاغتيال لشخص النبيّ (صلى الله عليه و آله)، و علا طوفان الرسالة الإسلامية على كلّ القوى المناوئة، و أسلمت قريش طوعاً أو كرها، فلم تعد لقريش قدرة على الوقوف في وجه النبوة.

و لكنّ إعداد النبيّ (صلى الله عليه و آله) العدة لتكون الخلافة من بعده لعلّي و لذريّته (عليهم السّلام) بأمر من الله تعالى و باعتبارهم. أجدر و أعلم باصول الشريعة و أحكامها، و أنّهم الأفضل من كلّ أتباعه، و الأئس ب لقيادة الامّة، قد أثار هذا المنطق في نفوس قريش النزعة القبلية و الحقد الجاهلي فعزمت أن لا تجمع النبوة و الخلافة في بنى هاشم، فالنبوة و

^{٢١٣} (1) تاريخ الطبري: 2/ 444 ط مؤسسة الأعلمي حوادث سنة 11 هـ.

^{٢١٤} (2) صحيح البخاري: كتاب المحاريين 6 ح 6442، و سيرة ابن هشام: 4/ 308، و تاريخ الطبري: 2/ 447 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢١٥} (3) يروى أنّ كثيراً من زعماء قريش كانوا يجاهرون بالعداء للدين و لكنّهم يذهبون خلسة لاستماع القرآن

الخلافة في عرف قريش سلطان و حكم كما صرّح بذلك أبو سفيان يوم فتح مكّة بقوله للعباس : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً^{٢١٦}.

هذه الفكرة و العقلية سادت في الأجواء السياسية المحمومة في آخر أيام النبيّ (صلى الله عليه و آله)، و قريش مدركة أنّ النبيّ ميّت لا محالة في مرضه هذا، و قد أخبرهم (صلى الله عليه و آله) بذلك، و أيضا لو تركت الامور على مجراها الطبيعي فالخلافة ستؤول الى عليّ (عليه السّلام) حتما. من هنا كان تحرّك الحزب المناويّ لبني هاشم بصورة عامّة و لعليّ (عليه السّلام) خاصّة، فكانت السقيفة.

و نجد فكرة عدم اجتماع النبوة و الخلافة في بني هاشم من خلال المحاوره

ص: ١٢١

بين عمر و ابن عباس في زمن خلافة عمر، حين قال له عمر : يا ابن عباس! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد (صلى الله عليه و آله)؟ قال ابن عباس: فكرهت أن اجيبه فقلت:

إن لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدري، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة فتجحفوا على قومكم، فاختارت قريش لأنفسها فأصابته و وقّفت^{٢١٧}.

و ثمّة أمر آخر يتعلّق بموضوع تحويل الخلافة عن عليّ (عليه السّلام) و هو أنّ عليّا (عليه السّلام) قد وتر قريشا في حروبها ضد الإسلام و إنّ كلّ دم أراقه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بسيف عليّ (عليه السّلام) و سيف غيره فإنّ العرب بعد وفاته (صلى الله عليه و آله) عصبت تلك الدماء بعليّ وحده، لأنّه لم يكن في رهط النبيّ من يستحق في شرع قريش و عاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلّا عليّ وحده^{٢١٨}.

ملامح التخطيط لإقصاء الإمام عليّ (عليه السّلام) عن الخلافة:

نلاحظ أنّ هناك تخطيطا محكما لدى الخطّ المناويّ لعليّ (عليه السّلام) لأخذ الخلافة منه من خلال ما يلي:

١- بقاؤهم في المدينة و محاولتهم عدم الخروج منها مهما يكن من أمر، و ذلك عندما عرفوا أنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) قد تدهورت صحته، كما لاحظوا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) في تلك الأيام كان يكثر من التوصية بعليّ (عليه السّلام) و ضرورة اتّباعه لسلامة الدين و الدولة.

٢- حضورهم الدائم قرب الرسول و محاولتهم الحيلولة دون حصول شيء يدعم ولاية عليّ (عليه السّلام)، فكان الشغب في مجلس النبيّ (صلى الله عليه و آله) تحت الشعار الذي

ص: ١٢٢

^{٢١٦} (1) شرح نهج البلاغة: 272 / 17.

^{٢١٧} (1) مروج الذهب: 253 / 2، و شرح النهج لابن أبي الحديد: 189 / 1 ط دار احياء التراث العربي، الكامل في التاريخ 3 / 63 و 64.

^{٢١٨} (2) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 283 / 3.

رفعه عمر: «حسبنا كتاب الله» ثم اتهم النبي المعصوم (صلى الله عليه وآله) بغلبة الوجع مما أزعج النبي، حيث إن قول النبي (صلى الله عليه وآله): «إئتوني: بدواة وكتف» من غير المعقول أن يثير النفور والشك في نفوس الجميع دون سابق مضمرة في نفوس البعض، فلم يكن داع لاعتراضهم إلا إثارة الشغب ومنع النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكتابة.

٣- السرعة في البت بموضوع الخلافة وإتمام البيعة عبر استغلالهم الفرصة بانشغال الإمام على (عليه السلام) وبنى هاشم بمراسم تجهيز النبي ودفنه، فحين علم عمر نبأ الاجتماع في السقيفة؛ أرسل إلى أبي بكر حين دخل إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن اخرج فقد حدث أمر لابد أن تحضره، ولم يوضح ذلك خشية أن يطلع عليه على أو أحد من بنى هاشم، وإلا لماذا؟ فهل كان هذا الأمر المهم يعني أبا بكر دون بقية المسلمين وفيهم من هو أحرص على الإسلام من أبي بكر وعمر؟ ولماذا لم يدخل عمر بنفسه إلى داخل دار النبي (صلى الله عليه وآله) حيث يجتمع الناس فيتحدث إليهم؟

٤- سعيهم لضمان حياد الأنصار وإبعادهم عن ميدان التنافس السياسي بدعوى أنهم ليسوا عشيرة النبي (صلى الله عليه وآله) و (آله).

٥- الترتيب في أخذ البيعة أولاً من الأنصار، لأن قريشا لو بايعت الخليفة الجديد؛ لما كان لبيعته أدنى قيمة واقعية، ولأمكن الإمام فيما بعد أن يقيم الحجة على قريش، ولا يمكن لأي فرد أن يقف في موقع الندى لعل (عليه السلام) إذا كانت الأنصار في كفة الإمام.

و يمكن ملاحظة ذلك من طريقة أخذ البيعة بعد الخروج من السقيفة، إذ كان الناس مجتمعين في المسجد فقال عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقتي؟! قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بنى أمية فبايعوا، وقام سعد وعبد الرحمن ومعهما بنو زهرة فبايعوا.

٦- دخول عناصر من خارج المدينة معدة سلفاً لتأييد الطرف المناوئ لبنى

ص: ١٢٣

هاشم، بدليل قول عمر: ما هو إلا أن رأيت «أسلم» فأيقنت بالنصر^{٢١٩}.

٧- محاولتهم التعطيل على الإجراءات التي تمت مخاتلة، واتهامهم لكل من يعارضهم بأنه يريد الفتنة وشق عصا المسلمين، وقد اتضح ذلك من خلال الحوادث التي تتابعت فيما بعد، والقضاء على من ثبت على عدم البيعة وخالف قرار السقيفة^{٢٢٠}.

٨- ومن الأدلة على التخطيط السابق: أن عثمان بن عفان كتب اسم عمر في الوصية كخليفة من بعد أبي بكر^{٢٢١} من دون أن يأمره بذلك، فقد كان مغمى عليه، فمن أين علم عثمان أن عمر هو الخليفة بعد أبي بكر؟

^{٢١٩} (١) تأريخ الطبري: 459 / 2 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢٢٠} (٢) راجع طبقات ابن سعد: 3 / 2 ق 145، وأنساب الأشراف: 1 / 589، والعقد الفريد: 4 / 247، السقيفة والخلافة لعبد الفتاح عبد المقصود: 13، والسقيفة انقلاب أبيض: اغتيال خالد بن سعيد بن العاص، وابن عساكر: ترجمة سعد بن عباد وكنز العمال 3 / 134.

٩- ثم إنَّ عمر وضع عثمان ضمن مجموعة أحدها يكون خليفة المسلمين بحيث يضمن ترشيحه مؤكّداً، و أيّ خبير بالتأريخ ملّم بمجريات الامور و تركيبة المرشّحين الستّة يستطيع أن يحلّل ذلك كما حلل الإمام عليّ (عليه السّلام) الموقف بوضوح^{٢٢٢}.

١٠- حين تشكّلت الحكومة التي تمخّضت عن اجتماع السقيفة؛ تولّى أبو بكر الخلافة، و أبو عبيدة المال، و عمر القضاء^{٢٢٣}، و هذه هي أهمّ المناصب و أكثرها حساسية في مناهج الحكم و الدولة، هذه التركيبة لجهاز الدولة و العناصر الحاكمة لا تتأتّى صدفة و لا يتمّ ذلك إلّا عن تخطيط سابق.

ص: ١٢٤

١١- قول عمر حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حيّاً استخلفته^{٢٢٤}.

و ليست كفاءة أبي عبيدة هي التي أوحى إلى عمر بهذا التمنّي، لأنّه كان يعتقد أهليّة عليّ (عليه السّلام) للخلافة، و مع ذلك لم يشأ أن يتحمّل أمر الامّة حيّاً كان أو ميّتا.

١٢- اتّهام معاوية لأبي بكر و عمر بالتخطيط لاستلاب الخلافة من عليّ (عليه السّلام)، كما جاء ذلك في كتابه الى محمّد بن أبي بكر إذ قال: فقد كنّا و أبوك نعرف فضل ابن أبي طالب و حقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه (صلّى الله عليه و آله) ما عنده و أتمّ وعده و أظهر دعوته و أفلج حجّته و قبضه إليه؛ كان أبوك و الفاروق أوّل من ابتزّه حقّه و خالفه على أمره، على ذلك اتّفقا و اتّسقا، ثمّ إنّهما دعوا الى بيعتهما فأبطأ عنهما و تلكاً عليهما فهما به الهموم و أرادا به العظيم^{٢٢٥}.

١٣- قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) لعمر: احلب يا عمر حلباً لك شطره، اشدّد له اليوم أمره ليرد عليك غداً^{٢٢٦}.

١٤- اتّهام الزهراء (عليها السّلام) للحاكمين بالحزبيّة السياسيّة و التآمر للانقضاض على السّلطة و تجريد بني هاشم منها^{٢٢٧} بقولها:

«فوسمتم غير إبلكم، و أوردتم غير شربكم ... انتهدارا زعمتم خوف الفتنة؟ ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين».

سليّات حادثة السقيفة:

^{٢٢١} (3) تأريخ الطبري: 618 / 2 ط مؤسسة الأعلمي، و سيرة عمر لابن الجوزي 37، و الكامل في التأريخ: 2 / 425.

^{٢٢٢} (4) أنساب الاشراف: 19 / 5.

^{٢٢٣} (5) الكامل في التأريخ: 2 / 420.

^{٢٢٤} (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 190 ط دار إحياء التراث العربي، و تأريخ الطبري: 3 / 292 قصة الشورى، و الكامل في التأريخ: 3 / 65.

^{٢٢٥} (2) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 199، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم 119.

^{٢٢٦} (3) الإمامة و السياسيّة: 29، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 6 / 11.

^{٢٢٧} (4) راجع خطبة الزهراء في مسجد النبي (صلّى الله عليه و آله)، و بحار الأنوار: 29 / 220.

١- الاستبداد بالرأى و القرار، فقد استهان المشاركون فى السقيفة بوصايا رسول الله (صلى الله عليه و آله) للمسلمين بالاهتمام بعترته الطاهرة، و استخفوا بأوامره المصروفة

ص:١٢٥

بلزوم الاقتداء بهم و التمسك بحبلهم، و لو فرض - جدلا- أنه لا نص بالخلافة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) على أحد من آل محمد و فرض كونهم غير متميزين فى حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل أو إيمان أو إخلاص، بل كانوا كسائر الصحابة، فهل كان ثمة مانع شرعى أو عقلى أو عرفى يمنع تأجيل عقد البيعة إلى حين الانتهاء من تجهيز رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟^{٢٢٨}!

إن هذا الاستعجال من المبادرين لسد الفراغ الذى خلفته وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) إن دل على شىء فإنما يدل على وجود نصوص أو أرضية تشريعية كان ينبغى تفويتها و المبادرة لأخذ زمام الأمر، لئلا تأخذ النصوص فاعليتها إن جرت الامور بشكل طبيعى، و لهذا قال عمر عن بيعة أبى بكر: إنها كانت فلتة وقي الله المسلمين شرها ألا و من عاد لمثلها فاقتلوه^{٢٢٩}.

٢- البيعة لم تكن جامعة لأهل الحل و العقد الذى يعتبر شرطا أساسيا فى حصول الإجماع و فى مشروعية الانتخاب، إذ الغى فى السقيفة استشارة الطبقة الرفيعة من الصحابة مثل على (عليه السلام) و العباس و عمار بن ياسر و سلمان و خزيمه بن ثابت و أبى ذر و أبى أيوب الأنصارى و الزبير بن العوام و طلحة و ابى بن كعب، و غيرهم كثير.

٣- استعمال العنف و القسوة فى طريقة أخذ البيعة من المسلمين، فإن كثيرا من المسلمين قد ارغموا عليها، و قد لعبت درة عمر فى سبيل تحقيقها و إيجادها دورا كبيرا.

٤- لقت السقيفة مفاهيم منحرفة للامة، منها:

أ- الاستعلاء على الامة و الاستخفاف بشأنها تحت شعار «من ذا ينازعنا

ص:١٢٦

سلطان محمد؟!».

ب- تحويل مفهوم النبوة الربانية و خلافة الرسول (صلى الله عليه و آله) الى مفهوم السلطة العشائرية التى تستمد قوتها و شرعيتها من انتخاب أبناء العشيرة و ليس من نصوص الشريعة المقدسة.

ج- فسح المجال أمام المسلمين لطرح التعددية فى السلطة و منافسة من فرض الله طاعته بالنص، و تشجيع التمرد على الحاكم المعصوم المنسوب بأمر من الله تعالى، كما قالوا: منا أمير و منكم أمير.

^{٢٢٨} (١) النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين: 25 ط اسوة.

^{٢٢٩} (2) تذكرة الخواص: 61، و راجع صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى

د- هياً اجتماع السقيفة الأرضية المناسبة لتجاوز وجود الأمة و تجاوز رأيها السياسى كما حصل ذلك مرة اخرى عند تعيين عمر، و ثالثة عند وفاة عمر متمثلا فى الشورى التى فرضها عمر على المسلمين.

موقف الإمام (عليه السلام) من اجتماع السقيفة:

لم يكن الإمام على (عليه السلام) طامعا و ساعيا فى استلام الخلافة و التربع على عرشها مثل الآخرين، إذ كان همّه الأول و الأخير تثبيت دعائم الإسلام و نشره، و إعزاز الدين و أهله، و إظهار عظمة الرسول و بيان سيرته، و حث الناس على الاقتداء بمنهجه (صلى الله عليه و آله)، فانشغل بمراسم تجهيز النبى و الصلاة عليه و دفنه، و ما كان يدور فى خلدّه أنّ الخلافة تعدوه و هو المؤهل لها رساليا و المرشح لها نبويا، و لكن نفوس القوم أضمرت ما ينافى وصايا نبيهم فى غزوتى احد و حنين، و أغراهم الطمع فى سلطان بغير حق، فتركوا نبيهم مطروحا بلا دفن كما تركوه و فروا عنه فى حياته عند الشدائد و الهزائن.

لقد وصل خبر اجتماع السقيفة إلى بيت النبى (صلى الله عليه و آله) حيث يجتمع على (عليه السلام) و بنو هاشم و المخلصون من الصحابة حول جسد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال العباس عم الرسول لعلى: يا ابن أخى، امدد يدك ابايك، فيقال: عم رسول الله بايع

ص: ١٢٧

ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

فقال (عليه السلام): يا عم، و هل يطمع فيها طامع غيرى؟

قال العباس: ستعلم.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن ليخفى عليه ما كان يجرى فى الساحة من مؤامرات آنذاك فأجابه بصريح القول: «إنى لا احبّ هذا الأمر من وراء رتاج»^{٢٣٠}.

موقف أبى سفيان:

روى: أنّ أباً سفيان جاء الى باب دار رسول الله (صلى الله عليه و آله) و على (عليه السلام) و العباس موجودان فيه، فقال: ما بال هذا الأمر فى أقلّ حى من قريش؟! و الله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا و رجالا، فقال على (عليه السلام): ارجع يا أباً سفيان طالما عاديت الإسلام و أهله فلم تضره بذاك شيئا.

و روى أيضا: أنّه لما اجتمع الناس على بيعه أبى بكر؛ أقبل أبو سفيان و هو يقول: و الله إننى لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من اموركم! أين المستضعفان على و العباس، و قال: أباً حسن، ابسط يدك ابايك، فأبى على

^{٢٣٠} (١) الإمامة و السياسة: 21. و الرتاج: الباب المغلق.

(عليه السلام) عليه و زجره و قال : إَنَّك و الله ما أردت بهذا إلَّا الفتنة، و إَنَّك طالما بغيت الإسلام شرًّا، لا حاجة لنا في نصيحتك^{٢٣١}. و لما بويج أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا و لأبي فصيل، إنما هي بنو عبد مناف!

فقليل له: إنه قد ولى ابنك، قال: وصلته رحم^{٢٣٢}.

لم تكن معارضة أبي سفيان للسقيفة عن إيمانه بحق الإمام على (عليه السلام) و بنى هاشم، و إنما كانت حركة سياسية ظاهرية أراد بها الكيد بالإسلام و البغي عليه، فإن

ص: ١٢٨

علاقة أبي بكر مع أبي سفيان كانت وثيقة للغاية^{٢٣٣}.

أقطاب المعارضة للسقيفة:

كان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لنتائج السقيفة التي لم تتمتع بالأهلية الكافية و الأحقية في الزعامة، فبرزت ثلاثة أطراف:

الأول: الأنصار باعتبارهم كتلة سياسية و اجتماعية كبيرة لا بدّ من حسابها في ميزان الترشيح و الانتخاب، فنازعوا الخليفة الفائز و صاحبيه في سقيفة بنى ساعدة، و وقعت بينهم المنازعة التي انتهت بفوز قريش.

و قد انتفع أبو بكر و حزبه في مواجهة الأنصار من:

١- تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية في قوله بأنهم شجرة النبی (صلّى الله عليه و آله) و أقربهم إليه، فهم أولى به من سائر المسلمين، و أحق بخلافته و سلطانه.

٢- انشقاق الأنصار على أنفسهم بين مؤيد و معارض لأبي بكر، نتيجة تجذّر النزعة القبلية من نفوسهم، أو لحسد بعضهم لبعض، أو الرغبة في نيل الخطوة و القربة لدى السلطة الحاكمة الجديدة، حتى برزت هذه الظاهرة واضحة في قول اسيد بن حضير في السقيفة:

لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة و لا جعلوا لكم نصيبا فيها أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر^{٢٣٤}.

ص: ١٢٩

^{٢٣١} (2) تاريخ الطبري: 2/ 449، و الكامل في التاريخ 2/ 326 ط دار الفكر.

^{٢٣٢} (3) تاريخ الطبري: 2/ 449 ط دار الأعلمي، و الكامل في التاريخ 2/ 326.

^{٢٣٣} (1) فقد روي أن أبا سفيان اجتاز على جماعة من المسلمين منهم أبو بكر و سلمان و صهيب و بلال، فقال بعضهم: أما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها؟

فزجرهم أبو بكر و قال لهم: أنقولون هذا لشيخ قريش و سيدهم؟ .. و مضى مسرعا إلى النبي (صلّى الله عليه و آله) يخبره بمقالة القوم فيدّ عليه الرسول (صلّى الله عليه و آله) قائلا: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله

صحيح البخاري: 2/ 362.

^{٢٣٤} (2) الكامل في التاريخ 2/ 331.

لقد أعطى اجتماع السقيفة لأبي بكر القوة من ناحيتين:

١- إضعاف دور القاعدة الشعبية للإمام عليّ (عليه السلام) فإنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد السقيفة إلى صفّ الإمام و يخدموا قضيته و أحقيته في الخلافة.

٢- بروز أبي بكر كمدافع وحيد عن حقوق المهاجرين بصورة عامّة و عن قريش خاصّة في مجتمع الأنصار، حيث إنّ الظرف كان مناسباً جداً، إذ خلا من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لنتيجه المسألة في محضرهم إلى نتيجه التي انتهت إليها.

الثاني: الامويّون الذين كان لديهم مطمح سياسيّ كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم، و استرجاع شيء من مجدهم السياسي في الجاهلية و على رأسهم أبو سفيان، و قد تعامل معهم أبو بكر و حزبه وفق معرفتهم بطبيعة النفس الاموية و شهواتها السياسيّة و المادية، فكان من السهل على أبي بكر أن يتنازل عن بعض المبادئ و الحقوق الشرعيّة، فدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين و زكواتهم التي جمعها من سفره الذي بعثه فيه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لجباية الأموال، و لم يعبأ الفائزون بالسقيفة بمعارضة الامويين و تهديد أبي سفيان و ما أعلنه من كلمات الثورة و الرغبة في تأييد الإمام (عليه السلام) و بني هاشم.

بل استفاد أبو بكر و حزبه من الامويّين في إضعاف دور بني هاشم حاضراً و مستقبلاً بأن جعلوا للامويّين حظّاً في العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامّة في الدولة.

الثالث: الهاشميّون و أخصّائهم كعمار و سلمان و أبي ذر و المقداد رضوان الله عليهم، و جماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يدورون البيت الهاشمي هو صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة، و هو الوارث الطبيعي لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) بحكم

ص: ١٣٠

نصّ الغدير و مناهج السياسة التي كانوا يألّفونها.

و لم تكن لتتطلى عليهم الحجج الواهية التي طرحتها أطراف السقيفة، فرأت فيهم تيارات تسعى للإستئثار بالحكم لإرضاء شهواتهم و نذيراً بانحراف التجربة الإسلامية من مسارها الصحيح.

نتائج السقيفة:

نجح أبو بكر و حزبه في مواجهة الأنصار و الامويين، و كسب الموقف بأن أصبح خليفة للمسلمين، و لكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسي واضح، لأنّه لم يملك في السقيفة من رصيد إلّا أن يجعلوا حجّتهم مبنية على أساس القرابة من رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و من ثمّ يقرّوا مذهب الوراثة للزعامة الدينيّة.

غير أنّ وجود بني هاشم كطرف معارض بدّل الوضع السياسي، و احتجّت المعارضة على أبي بكر و حزبه بنفس حجّتهم على باقي الأطراف، و هي إذا كانت قريش أولى برسول الله من سائر العرب فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش.

و هذا ما أعلنه الإمام عليّ (عليه السلام) حين قال: إذا احتجّ المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلبت حجّتهم كانت لنا دونهم، وإلّا فالأنصار على دعوتهم.

و أوضحه العباس في حديث له مع أبي بكر إذ قال له : و أمّا قولك نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنكم جيرانها و نحن أغصانها^{٢٣٥}.

فالإمام عليّ (عليه السلام) كان مصدر رعب و رهب في نفوس الفائزين في لعبة السقيفة و سداً منيعاً ازاء رغباتهم و طموحاتهم، و كان بإمكانه أن يستغلّ النفعيين - و ما أكثرهم!- و الذين يميلون مع كلّ ربح و ينشقون مع كلّ ناعق و الذين يعرضون

ص: ١٣١

أصواتهم و مواقفهم رخيصة في الأسواق السياسية، و أن يشبع نهمهم ممّا خلفه الرسول (صلى الله عليه وآله) من الخمس و غلّات أراضي المدينة و نتاج «فدك» التي كانت تدرّ بالخيرات، إلّا أنّه (عليه السلام) أبى عن كلّ ذلك لكمال شخصيته و سموّ منزلته، هذا من جانب، و من جانب آخر كان بوسعه (عليه السلام) أن يتحرّك محتجاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يعدّ ورقة رابحة بيده حتى ألمح لذلك بقوله (عليه السلام): «احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة». و كان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت و يحترمونهم لذلك السبب، و بالتالي سيدفع السلطة الحاكمة الى أزمة سياسية حرجة لا مخرج منها، بيد أنّه (عليه السلام) كان أسمى من ذلك و أجلّ، حيث قدّم (عليه السلام) المصلحة الإسلامية العليا على كلّ المصالح الخاصة.

و لتلافي احتمال تحرّك الإمام على هذا المسار تردّدت السلطة بين موقفين:

أولاً: أن لا تقرّ للقرابة بشأن في الخلافة، و هذا معناه نزع الثوب الشرعي عن خلافة أبي بكر الذي تقمّصه يوم السقيفة.

ثانياً: أن تناقض السلطة الحاكمة نفسها و إصرارها على مبادئها التي أعلنتها في السقيفة مقابل بقيّة الأطراف، فلا ترى أيّ حقّ للهاشميين في السلطة و هم أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو تراه لهم، و لكن في غي ذلك الظرف الذي يكون معنى المعارضة مقابلة حكم قائم و وضع قد تعاقد عليه الناس.

و كان الخيار الثاني هو خيار السلطة^{٢٣٦}.

ص: ١٣٢

الفصل الثاني الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

خطوات السلطة لمواجهة المعارضة:

^{٢٣٥} (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 5/6. ^{٢٣٦} (1) راجع تفصيل ذلك في «فدك في التاريخ» للشهيد الصدر: 84-96، و تأريخ الطبري: 2/449 و 450 (أحداث السقيفة).

ما كانت الفتنة المسيطرة لتتنازل عن السلطة بعد أن سعت وخطّطت للاستيلاء عليها، فثبتت على آرائها التي روّجتها في السقيفة و دعمتها بشتّى الوسائل و السبل بغض النظر عن شرعيّتها أو صحّتها في المحافظة على سلامة الدعوة الإسلامية، لذا فإنّنا نلاحظ بعض الظواهر و الخطوات السياسية التي اتّبعها هذه الفتنة من أجل إبعاد آل محمد (صلى الله عليه وآله) عن الحكم نهائياً و القضاء على الفكرة التي أمدّت الهاشميين بالقوّة، بل القضاء على كلّ معارضة محتملة مستقبلاً، و هي:

١- إنّ السلطة الجديدة أخذت على المعارضين أن مخالفتهم الخليفة الجديد ليس إلّا إحداثاً للفتنة المحرّمة في شريعة الإسلام، و كان يدعم إدانتهم للمعارضة هذه أن ظروف الدولة الإسلامية كانت غير مستقرّة بعد، و كان الأعداء من خارج البلاد يهدّدون الدولة الإسلامية إضافة إلى أحداث الردّة التي حصلت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) داخل حدود الدولة الإسلامية الفتيّة.

٢- أسلوب الشدّة و العنف الذي اتّبعه الخليفة و حزبه مع الإمام علىّ (عليه السّلام) و من معه بنفس الطريقة التي اتّبعوها مع سعد بن عبادة في السقيفة، فقد بلغت الشدّة منهم أن عمر هدد بحرق بيت الإمام علىّ (عليه السّلام) و إن كانت فاطمة (عليها السّلام)

ص: ١٣٣

فيه^{٢٣٧}، و معنى هذا أن فاطمة و غيرها من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتّخذ الجهاز الحاكم الطريقة نفسها معهم.

٣- إنّ أبا بكر و من معه لم يشرك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمّة خشية أن يصل الهاشميون إلى الخلافة^{٢٣٨} و لا جعل منهم والياً على شبر من الدولة الإسلامية الواسعة.

٤- إعداد و تهيئة كتلة سياسية ضخمة تنافس آل محمد (صلى الله عليه وآله) و تعاديهم، لنيل الخلافة و المركز الأعلى في الحكم، فإنّنا نلاحظ أن الأمويين ذوى الألوان و الطموحات السياسية الواضحة قد احتلوا الصدارة في المناصب الإدارية أيام أبى بكر و عمر، و إضافة إلى ذلك أن مبدأ الشورى الذي ابتكره الخليفة الثانى سوف يجعل من عثمان بن عفّان المرشح الأوفر حظاً من غيره من المنافسين.

هذه الكتلة السياسية من شأنها أن تطول و تتسع لأنّها ليست متمثلة في شخص بل في بيت كبير، و بالتالى سوف لن تكون الظروف مهيّئة لصعود آل محمد (صلى الله عليه وآله) إلى سدّة الخلافة بسهولة على أقلّ تقدير.

٥- عزل كلّ العناصر التي تميل إلى بنى هاشم، فقد روى أن أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذى وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشىء إلّا لأنّ عمر تّبّه إلى نزعة الهاشمية و ميله إلى آل محمد، و ذكره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)^{٢٣٩}.

^{٢٣٧} (١) بحار الأنوار: 43/ 197 ط دار الوفاء.

^{٢٣٨} (٢) تاريخ الطبري: 2/ 618، و مروج الذهب على هامش تأريخ ابن الأثير: 5/ 135.

^{٢٣٩} (٣) تاريخ الطبري: 2/ 586 ط مؤسسة الأعلمي.

٦- إضعاف القدرة الاقتصادية للإمام عليّ (عليه السلام) خشية أن يستثمرها الإمام في الدعوة لاستعادة حقه الشرعي في الخلافة، فقام الخليفة بمصادرة فلك من

ص: ١٣٥

الزهاء (عليها السلام) لعلمه أنّها (عليها السلام) كانت سندا قويا لقرينها في دعوته إلى نفسه، هذا إذا علمنا أنّ أطرافاً سياسية باعت صوتها للحكومة، فمن الممكن أن تفسخ المعاملة إذا عرض عليها ما ينتج ربحاً أكبر، كما وأنّ الخليفة أبا بكر نفسه اتخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء وكسب الأصوات^{٢٤٠}.

وإذا أضفنا لذلك أنّ الزهاء كانت دليلاً يحتجّ به أنصار الإمام عليّ (عليه السلام) على أحقيّته بالخلافة نستوضح أنّ الخليفة كان موقفاً كلّ التوفيق في مسعاه السياسي لإظهار موقف الزهاء (عليها السلام) الداعم لأمر المؤمنين (عليه السلام) موقفاً محايداً، وذلك بأسلوب لبق وغير مباشر لإفهام المسلمين أنّ فاطمة (عليها السلام) امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاؤها دليلاً في مسألة بسيطة كفدك، فضلاً عن موضوع مهم كالخلافة، وأنّها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحق؛ فمن الممكن أن تطلب^{٢٤١} لقرينها الدولة الإسلامية كلّها، وليس له فيها حقّ كما يدّعيه هؤلاء الصحابة الذين رشّحوا أنفسهم لخلافة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسيطروا على زمام الأمر.

فقد روى أنّه لما استقرّ الأمر لأبي بكر، بعث إلى وكيل الزهاء فأخرجها منها واستولى على فلك، واحتجّ بحديث لم يروه غيره، وهو أنّه سمع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» فالنبيّ لا يورث وإنما ميراثه في المساكين وفقراء المسلمين^{٢٤٢}.

الاحتجاجات على خلافة السقيفة:

إنّ الصفوة الخيرة من الصحابة الذين وقفوا مع الإمام عليّ (عليه السلام) في المطالبة

ص: ١٣٦

بحقه الشرعي في الخلافة احتجّوا بصلافة وثقة وعلانية وبحجّة واضحة دامغة وبدليل شرعيّ منصوص وبأسلوب يدلّ على الحرص على إصابة الحقّ وصيانة الحكم الإسلامي من الانحراف على الحكومة، فقد وقفوا في مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله) فانبرى الصحابيّ الجليل خزيمة بن ثابت فقال: أيّها الناس! أستم تعلمون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل شهادتي وحدي، ولم يرد معي غيري؟ فقالوا: بلى، قال:

فأشهد أنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «أهل بيتي يفرّقون بين الحقّ والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم»، وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين.

^{٢٤٠} (١) الطبقات الكبرى لابن سعد: 3/ 182، وشرح النهج لابن أبي الحديد: 1/ 133،

^{٢٤١} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 16/ 284 ط. المحققة/ أبو الفضل إبراهيم وفيه جواب مدرس المدرسة الغربية علي بن الفارقي بهذا المعنى عندما سأله ابن أبي الحديد.

^{٢٤٢} (٣) راجع سنن البيهقي: 6/ 301، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 16/ 218-224، ودلائل الصدق للمظفر: 3/ 32.

و احتجّ عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين! إن كنتم علمتم و إلّا فاعلموا أنّ أهل بيت نبيكم أولى به و أحقّ بإرثه و أقوم بأمور الدين و آمن على المؤمنين و أحفظ لملّته و أنصح لأمّته، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم و يضعف أمركم و يظهر شقاقكم و تعظم الفتنة بكم.

و وقف سهل بن حنيف فقال: يا معشر قريش! أشهد على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد رأيته في هذا المكان - يعنى مسجد النبي - و قد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و هو يقول: «أيّها الناس، هذا عليّ إمامكم من بعدى و وصيّى فى حياتى و بعد وفاتى، و قاضى دينى، و منجز وعدى ، و أوّل من يضافحنى على حوضى، و طوبى لمن تبعه و نصره، و الويل لمن تخلف عنه و خذله».

ثمّ قام أبو الهيثم بن التيهان فقال : و أنا أشهد على رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنّه أقام عليّا يوم غدير خم، فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافة، و قال بعضهم : ما أقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولى من كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) مولاه، و كثر الخوض فى ذلك فبعثنا رجلا منّا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسألوه عن ذلك، فقال : «هو ولىّ المؤمنين بعدى و أنصح الناس لأمّتى»، و أنا أشهد بما حضرنى، فمن شاء فليؤمّن و من شاء فليكفر، إنّ يوم الفصل كان ميقاتا.

ص: ١٣٧

ثمّ قام آخرون منهم أبو ذر و أبو أيوب الانصارى و عتبة بن أبى لهب و النعمان بن عجلان و سلمان الفارسى فاحتجّوا على القوم^{٢٤٣}.

محاولة إرغام الإمام (عليه السلام) على البيعة:

كان لامتناع الإمام عن البيعة و قيام عدد من الصحابة الأجلّاء بالاحتجاج العلنى و مطالبة السلطة بالتنحى عنها و تسليمها الى صاحبها الشرعى الأثر الفعّال فى تحريك مشاعر المسلمين و تعبئتهم فى صف أمير المؤمنين (عليه السلام)، هذا بالإضافة الى وجود بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل أسد و فزارة^{٢٤٤} و بنى حنيفة و غيرهم ممن شاهد بيعة يوم الغدير (غدير خم) التى عقدها النبيّ (صلى الله عليه و آله) لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده الذين رفضوا بيعة أبى بكر، و امتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية، و كانوا يقيمون الصلاة و يؤدّون جميع الشعائر، كلّ هذا كان يشكّل خطرا على الحكم القائم، فرأت السلطة الحاكمة أن تضع حدا لهذا الخطر، و ذلك بإجبار رأس المعارضة و هو عليّ بن أبى طالب (عليه السلام) على بيعة أبى بكر.

و ذكر بعض المؤرّخين أنّ عمر أتى أبى بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئا ما لم يبايعك على! فابعث إليه حتى يبايعك.

^{٢٤٣} (1) تأريخ أبى الفداء: 1/ 156، و الخصال للصدوق: 432، و الاحتجاج للطبرسي: 1/ 186.
^{٢٤٤} (2) تأريخ الطبري: 2/ 476 ط مؤسسة الأعلمي.

فأجمعوا آراءهم على إرغام الإمام (عليه السلام) وقسره على البيعة لأبي بكر، فأرسلوا قوة عسكرية فأحاطت بداره فدخلوا داره بعنف^{٢٤٥}، وأخرجوه منها بصورة لا تليق بمكانة شخص قال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

ص: ١٣٨

وجيء به إلى أبي بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بمنطق الواثق الجريء الشجاع: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم وأنتم أولى بلبيعة لي، أخذتم الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقراءة من النبي (صلى الله عليه وآله) وتأخذونه من أهل البيت غصبا! أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد (صلى الله عليه وآله) منكم فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة؟ وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله (صلى الله عليه وآله) حيا وميتا، فأصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»^{٢٤٦}.

وبهذا الموقف الصريح أوضح الإمام الحقيقة من الحجّة السياسية التي اتخذوها ذريعة للوصول إلى الحكم، فلم يكن لهم بدّ من التسليم أو الردّ بما تحويه أفكارهم وتضمّره نفوسهم، فنار ابن الخطّاب بعد أن أعوزته الحجّة في الردّ على الإمام، فسلّك طريق العنف قائلا له: إنّك لست متروكا حتى تباع، فزجره الإمام قائلا: «إحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم يردده عليك غدا، والله يا عمر لا أقبل قولك ولا ابايعه»^{٢٤٧}.

هنا كشف الإمام (عليه السلام) عن سرّ اندفاعات عمر وحماسه من أجل البيعة، فإنّ موقفه هذا من أجل أن ترجع إليه الخلافة وشؤون الملك بعد أبي بكر.

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث في غير ما يحب، وخشى من عواقب غضب الإمام فقال له: إن لم تباع فلا اكرهك، ثمّ تكلم أبو عبيدة بن الجراح محاولا تهدئة الإمام على (عليه السلام) وكسب وده، فقال:

يا ابن عم! إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالا

ص: ١٣٩

واضطلاعا به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليف و به حقيق من فضلك و دينك و علمك و فهمك و سابقتك و نسبك و صهرك^{٢٤٨}.

إنّ هذه التصريحات السياسية غايتها تضليل الآراء وتسويق المواقف، وهي لم تكن لتتطلى على وعى الإمام (عليه السلام) بل أثارته في نفسه الألم والاستياء من بؤادر الانحراف، فاندفع يخاطب القوم في محاولة لتنبههم بخطئهم، فقال: «اللّٰه الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، ولا

^{٢٤٥} (3) الإمامة و السياسة: 30، و تاريخ الطبري: 2/ 443.

^{٢٤٦} (1) الإمامة و السياسة: 28.

^{٢٤٧} (2) أنساب الاشراف: 1/ 587، و شرح نهج البلاغة: 2/ 2- 5.

^{٢٤٨} (1) شرح نهج البلاغة: 2/ 5 و 1/ 134.

تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا»^{٢٤٩}.

و روى: أن الزهراء (عليها السلام) خرجت خلف أمير المؤمنين من أجل الدفاع عن الإمام (عليه السلام) لأنها خشيت أن يكون القوم قد أعدوا سوء لإيقاعه بالإمام، وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) وما بقيت هاشمية إلا وخرجت معها، فوصلت مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وهددت القوم بالدعاء عليهم إن لم يتركوا الإمام فقالت (عليها السلام): «خلوا عن ابن عمي، خلوا عن بعلي، والله لأنشرن شعري ولأضعن قميص أبي على رأسي ولأدعون عليكم، فما ناقة صالح بأكرم على الله مني، ولا فضيلها بأكرم على الله من ولدي»^{٢٥٠}.

ص: ١٤٠

الإمام عليّ (عليه السلام) ومضاعفات السقيفة:

إذا كانت مواقف الإمام عليّ (عليه السلام) كلها رائعة؛ فموقفه من الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أكثرها روعة، فالعقيدة الإلهية تريد في كل زمان بطلا يفتديها بنفسه ونفيسه ويعزز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعليّ إلى فراش الموت، وبالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى مدينة النجاة يوم الهجرة، ولم يكن ليتهيأ للإمام (عليه السلام) في محتنته بعد وفاة أخيه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يضحي لها كلا ولديه الحسن والحسين؛ لأنه لو ضحى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه؛ لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه، و سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

إنّ عليّا الذي كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قربانا للمبدأ في جميع أدوار حياته منذ ولد في الكعبة والى أن استشهد في مسجد الكوفة؛ قد ضحى بموقعه الذي نصبه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و تنازل عن القيادة السياسية الظاهرة في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصيًا عليها وحارسا لها.

وقف عليّ (عليه السلام) عند مفترق طرق، كل منها حرج و كل منها شريد على نفسه:

١- أن يبائع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقية المسلمين، بل ويحافظ على وجوده و منافعه الشخصية و مصالحه المستقبلية و ينال المكانة و التكريم و الاحترام لدى الجهاز الحاكم. وهذا غير ممكن، لأنه يعني إمضاءه (عليه السلام) لبيعة أبي بكر و ولايته، وهذا مخالف لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) و مؤدّ إلى انحراف الخلافة و الولاية و الإمامة عن مسارها الأصلي و معناها الحقيقي إلى الأبد، و تبدد الجهود و التضحيات التي بذلها النبي (صلى الله عليه وآله) و الإمام علي (عليه السلام) من

ص: ١٤١

^{٢٤٩} (2) الإمامة و السياسة: 28.
^{٢٥٠} (3) الاحتجاج للطبرسي: 1 / 222.

أجل إرساء قواعد الإسلام و تحكيم اصول الخلافة الشرعية، و بالتالى انحراف التجربة الإسلامية كلّها.

٢- أن يسكت و فى العين قذى و فى الحلق شجا، و يحاول أن يسلك سبيلا معتدلا يحفظ كيان الإسلام و يصون المسلمين و وجودهم و أن يجنى ثماره متأخرا.

٣- أن يعلن الثورة المسلّحة على خلافة أبى بكر، و يدعو الناس اليها و يدفعهم نحوها.

و لكن ماذا كان يترقّب للثورة من نتائج؟ هذا ما نريد أن نتبيّنه على ضوء الظروف التاريخية لتلك الساعة العصبية.

و من المألوف أنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضة تواجههم و هم م من عرفناهم حرصا و شدة فى أمر الخلافة، و معنى هذا أنّهم سيقابلون و يدافعون عن سلطانهم الجديد، و من المعقول جدّا حينئذ أن يغتنم سعد ابن عبادَةَ الفرصة ليعلمها حربا اخرى لإشباع أهوائه السياسية، لأننا نعلم أنّه هدّد الحزب المنتصر بالثورة عندما طلب منه البيعة و قال: «لا و الله حتّى أرميكم بما فى كنانتي و اخضّب سنان رمحي و أضرب بسيفي و اقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني ولو اجتمع معكم الإنس و الجنّ ما بايعتكم»^{٢٥١}.

و أكبر الظنّ أنّه تهيّب الإقدام على الثورة و لم يجرؤ على أن يكون أوّل شاهر للسيف ضدّ الخلافة القائمة، و إنّما اكتفى بالتهديد الشديد الذى كان بمثابة إعلان الحرب، و أخذ يترقّب تضعع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف، فكان حريّا به أن تتور حماسته و يزول تهيّبه و يضعف الحزب القائم فى نظره إذا رأى صوتا قويا يجهر بالثورة فيعيدّها جذعة محاولا إجلاء المهاجرين من المدينة

ص: ١٤٢

بالسيف^{٢٥٢}، كما أعلن ذلك المتكلّم عن لسانه فى مجلس السقيفة.

و لا ننسى بعد ذلك الامويّين و تكتّلتهم السياسى فى سبيل الجاه و السلطان، و ما كان لهم من نفوذ فى مكّة فى سنواتها الجاهلية الأخيرة، فقد كان أبو سفيان زعيمها فى مقاومة الإسلام و الحكومة النبويّة، و كان عتاب بن اسيد بن أبى العاص ابن اميّة أميرها المطاع فى تلك الساعة.

و إذا تأملنا ما جاء فى تأريخ تلك الأيام^{٢٥٣} من أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لمّا توفّى و بلغ خبره إلى مكّة و عامله عليها عتاب بن اسيد بن أبى العاص بن اميّة استخفى عتاب و ارتجّت المدينة و كاد أهلها يرتدون، فقد لا تقتنع بما يعلّل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة و الإيمان، و ليس مردّ ذلك إلا لتراجع إلى أنّهم رأوا فى فوز أبى بكر فوزهم و انتصارهم على أهل المدينة كما ذهب إليه بعض الباحثين؛ لأنّ خلافة أبى بكر كانت فى اليوم الذى توفّى فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أكبر الظنّ أنّ خبر الخلافة جاءهم مع خبر الوفاة، بل تعليل القضية : أنّ الأمر الامويّ عتاب بن اسيد شاء أن يعرف اللون السياسى الذى اتّخذته اسرته فى تلك الساعة، فاستخفى و أشاع بذلك الاضطراب حتّى إذا

^{٢٥١} (1) تأريخ الطبري: 459 / 2 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢٥٢} (1) تأريخ الطبري: 459 / 2، قصة السقيفة، قول الحباب بن المنذر: «أما و الله لئن شئتم لنعيدنّها جذعة...».

^{٢٥٣} (2) الكامل فى التاريخ/ لابن الأثير: 123 / 3 وصل خبر وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) و كان عتاب بن اسيد بن أبى العاص بن اميّة أميراً على مكّة.

عرف أن أبا سفيان قد رضى بعد سخط و انتهى مع الحاكمين إلى نتائج تصبّ في صالح البيت الاموى؛ ^{٢٥٤} ظهر مرةً اخرى للناس و أعاد الامور إلى مجاريها.

و عليه فالصلة السياسية بين رجالات الامويين كانت قائمة في ذلك الحين، و هذا ما يفسّر لنا القوّة التي تكمن وراء أقوال أبي سفيان حينما كان ساخطا على

ص: ١٤٣

أبي بكر و أصحابه، إذ قال: إنني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدمّ، و قال عن عليّ و العباس : أما و الذي نفسى بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما ^{٢٥٥}.

فالامويون كانوا متأهّبين للثورة و الانقلاب، و قد عرف عليّ (عليه السّلام) منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعّم المعارضة و لكنّه عرف أنّهم ليسوا من الذين يعتمد على تأييدهم، و إنّما يريدون الوصول إلى أغراض هم عن طريقه، فرفض طلبهم، و كان من المنتظر حينئذ أن يشقّوا عصا الطاعة إذا رأوا الأحزاب المسلّحة تتناحر، و لم يطمئنوا إلى قدرة الحاكمين على ضمان مصالحهم، و معنى انشقاقهم حينئذ إظهارهم للخروج عن الدين و فصل مكّة عن المدينة.

إذا كانت الثورة العلويّة في تلك الظروف إعلانا لمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتى، و كان فيها تهية لظرف قد يعتنمه المشاغبون ثمّ المنافقون.

و لم تكن ظروف المحنة تسمح لعلّي بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم، بل لتناحرت و تقاطعت مذاهب متعدّدة الأهداف و الأغراض، و يضيع بذلك الكيان الإسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتفّ المسلمون حول قيادة موحّدة، و يركّزوا قواهم لصدّ ما كان يترقّب أن تتمخّض عنه الظروف الدقيقة من فتن و ثورات ^{٢٥٦}.

و من هنا كان على الامام عليّ أن يختار الطريق الوسط ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول (صلّى الله عليه و آله) وصيّا عليها.

و من هنا نعرف أن الرسول (صلّى الله عليه و آله) كان قد أعدّ للامام عليّ (عليه السّلام) خطّتين أو خطّة واحدة ذات مرحلتين، فالمرحلة الاولى هي نصبه إماما شرعيا و خليفة له

ص: ١٤٤

بشكل رسمي بعد الإعلان الصريح و أخذ البيعة له من المسلمين و إتمام الحجّة على جميع من حضر و غاب عن مشهد يوم الغدير.

^{٢٥٤} (3) تاريخ الطبري: 2/ 449، هدأت ثائرة أبي سفيان بعد أن ولى الخليفة الأوّل ابنه معاوية، فقال وصلته رحم.

^{٢٥٥} (1) تاريخ الطبري: 2/ 449.

^{٢٥٦} (2) فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: 102 - 105.

و حين كان الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك القائد السياسى المحنك الذى أثبت للتأريخ و لمن عاصره جميعا نفاذ بصيرته و بعد نظره و شففته على امتّه و ارتباطه المستمر بعالم الغيب و العلم الإلهى الذى شاء للشرعية الإسلامية أن تكون خاتمة الشرائع و على أساسها ينبغى أن تتحقق أهداف الرسالات الإلهية جميعا . فمن هنا و من حيث علمه (عليه السلام) بمدى وعى الأمة للرسالة الإسلامية فى عصره و مدى اندماجها و ذوبانها فى قيم الرسالة، و طبيعة المجتمع الذى أسلم أو استسلم لدولة الرسول بما كان يشتمل عليه من عصبية و قيم جاهلية يصعب اجتثاثها بسرعة و بخطوات تربوية قصيرة . لكلّ هذا و غيره ممّا يمكن أن يدركه المتأمل فى الظروف المحيطة بالرسول (صلى الله عليه وآله) و بدولته، يشعر المتأمل بضرورة وجود تخطيط بعيد المدى يتكفل تحقيق الأهداف الرسالية الكبرى على المدى البعيد بعد أن كان يستحيل أو يصعب اجتناء الثمار المرجوة من حركة الرسالة فى تلك الفترة و فى ذلك المجتمع على المدى القريب بعد ملاحظة منطق العمل التغييري بشكل خاص.

اذن كانت المرحلة الثانية بعد إعراض الأمة أو عدم انقيادها للاتروحة النبوية الإلهية هى الصبر و الحزم و التخطيط العملى الواقعى لعمل تربوى جذرى فى ظلّ الدولة الإسلامية الفتية، ريثما تتهيأ الظروف اللازمة لاستلام الحكم و تحقيق تلك الاطروحة، لتتحقق جميع الأهداف الممكنة لتطبيق هذه الشريعة الخالدة تطبيقا صحيحا رائعا.

ص: ١٤٥

الإمام علىّ (عليه السلام) و مهمّة جمع القرآن:

اتّفقت كلّ الروايات الصحيحة على أنّ الإمام عليّا (عليه السلام) ما أن انتهى من تجهيز النبىّ (صلى الله عليه وآله) و مواراته الثرى؛ حتى اعتكف فى داره منشغلا بجمع آيات القرآن و ترتيبها حسب نزولها بعد أن كانت مبعثرة فى الألواح.

و روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): يا علىّ! القرآن خلف فراشى فى المصحف و الحرير و القراطيس فخذوه، و اجمعوه، و لا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ (عليه السلام) فجمعه فى ثوب أصفر^{٢٥٧}. و جاء أيضا أنّ الإمام عليّا (عليه السلام) رأى من الناس طيرة عند وفاة النبىّ (صلى الله عليه وآله) فأقسم أنّه لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن^{٢٥٨}.

كما روى أنّ عليّا (عليه السلام) انقطع عن الناس مدّة حتى جمع القرآن، ثمّ خرج إليهم فى إزار يحمله و هم مجتمعون فى المسجد، فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثمّ قال : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إني مخلف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله و عترتي أهل بيتي» و هذا كتاب الله و أنا العترة^{٢٥٩}، و قال لهم: لئلا تقولوا غدا إنّنا كنّا عن هذا غافلين.

^{٢٥٧} (1) المناقب لابن شهر آشوب: 41/ 2، و فتح الباري: 386/ 10، و الإتيان للسيوطي: 51/ 1.

^{٢٥٨} (2) الفهرست لابن النديم: 30.

^{٢٥٩} (3) المناقب لابن شهر آشوب: 41/ 2.

ثمَّ قال: لا تقولوا يوم القيامة إني لم أدعكم إلى نصرتي و لم اذكركم حقّي و لم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته^{٢٦٠}.

فقال له عمر: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما.

ص: ١٤٦

و يبدو أنّ الإمام لم يكتف بجمع الآيات القرآنية بل قام أيضا بترتيبها حسب النزول، و أشار إلى عامّه و خاصّه و مطلقه و مقيّده و محكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و عزائمه و رخصه و سننه و آد ابه، كما و أشار إلى أسباب النزول و أملى ستّين نوعا من أنواع علوم القرآن، و ذكر لكلّ نوع مثالا يخصّه، و بهذا العمل الكبير استطاع الإمام أن يحافظ على أهمّ أصل من اصول الإسلام، و أن يوجّه العقل المسلم نحو البحث عن العلوم التي يزخر بها القرآن، ليصبح المنبع ال رئيسي للفكر و المصدر المباشر الذي تستمد منه الإنسانية ما تحتاجه في حياتها.

إنّ أمير المؤمنين كان جديرا بما فعل، فإنّه قال: ما نزلت على رسول الله (صلّى الله عليه و آله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها على فكتبتها بخطّي، و علّمتها تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها، و دعا الله عزّ و جلّ أن يعلّمني فهمها، فما نسيت آية من كتاب الله عزّ و جلّ و لا علما أملاه على فكتبتها و ما ترك شيئا علّمه الله عزّ و جلّ من حلال و حرام و لا أمر و لا نهى و ما كان أو يكون من طاعة أو معصية إلّا علّمنيّه و حفظته، فلم أنس منه حرفا واحدا^{٢٦١}.

من مواقف الإمام (عليه السلام) في عهد أبي بكر:

قال الإمام (عليه السلام): «فو الله ما كان يلقي في روعي و لا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلّى الله عليه و آله) عن أهل بيته، و لا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلّا انثيال الناس إلى أبي بكر يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها م السراب أو كما يتفشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل

ص: ١٤٧

و زهق و اطمأن الدين و تنهه^{٢٦٢}.

كلّ الأحداث التي جرت بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه و آله) و ما سادها من أجواء المشاحنات و ما حفّها من ابتعاد عن الحقّ و انجراف في غير الطريق الذي كان على المسلمين سلوكه لم تنس عليّا أنّه الوصيّ على هذه الامّة و على تطبيق الرسالة الإسلامية.

^{٢٦٠} (4) كتاب سليم بن قيس: 32، ط. مؤسسة البعثة.

^{٢٦١} (1) كفاية الطالب للكنجي: 199، و الاتقان للسيوطي: 2/ 187، و بحار الأنوار: 92/ 99.

^{٢٦٢} (1) نهج البلاغة: الكتاب 62.

كانت بيعة أبي بكر قد استلبت حق الإمام في إدارة شؤون الأمة مباشرة و اضطرتّه إلى أن يعتزل الى حين فإن وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) له و عهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأمة ثم حرصه العميق على الرسالة الإسلامية و المجتمع من التمزق و الضياع جعل من أمير المؤمنين القدوة المثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا وقف على (عليه السلام) ليدلي بآرائه الصائبة، موضحاً قواعد الدين الصحيحة في كل موقف يستعصى على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب، و في أمة لم تترسخ العقيدة الإلهية في نفوس أبنائها، فكان على (عليه السلام) ميزان القضاء و الإفتاء في شؤون الحياة الإسلامية من قضاء و اجتماع و إدارة في عهد أبي بكر و ما تلاه من فترات حكم الخلفاء.

وقف على (عليه السلام) ليدافع عن المدينة و يصدّ هجوم المرتدين عن الإسلام و معه الصفوة من الصحابة الذين ساندوه في محنته.

وصية أبي بكر إلى عمر:

لم يزل الإمام على (عليه السلام) مظلوما يدفع بحقه بعيدا عنه، يتألم على الخلافة اذ تلكأت و على الرسالة اذ ضمرت، لا يجد سبيلا إلّا الصبر و هو الحليم و لا يجد إلّا

ص: ١٤٨

الأناة و هو البصير، و قد عبّر عن أحزانه و آلامه في خطبته الشهيرة بالشقشقية اذ قال:

«أما و الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، و إنه ليعلم أن محليّ منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عني السيل و لا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوبا، و طويت عنها كشحا، و طفقت أرتى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فباعجا بينا هو يستقيها في حياته^{٢٦٣} اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خساء، يغلظ كلمها، و يخشن مسها، و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها»^{٢٦٤}.

لم تطل أيام أبي بكر فقد ألمّت به الأمراض و أشرف على الموت، و قد صمّم على أن يولى عمر الخلافة من بعده، فاعترض أكثر المهاجرين و الأنصار، و أعلنوا كراهيتهم لهذا القرار لما علموا من خشونة أخلاق عمر و سوء تعامله مع الناس^{٢٦٥}.

لكنّ أبا بكر أصرّ على موقفه.

^{٢٦٣} (1) إشارة الى قول أبي بكر: أقبلوني فلست بخيركم، راجع تذكره الخواص: 62.

^{٢٦٤} (2) نهج البلاغة: الخطبة 3.

^{٢٦٥} (3) الإمامة و السياسة: 36، و تاريخ الطبري: 2 / 618 و 619 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التاريخ 425 / 2.

ثم إنَّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفَّان لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد ... ثم اغمى على أبي بكر، فكتب عثمان: فإنِّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب و لم ألكم خيرا، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه فكبر أبو بكر

ص: ١٤٩

و قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا^{٢٦٤}.

مأخذ على وصية أبي بكر:

لم يكن عليّ (عليه السَّلام) راضيا بما فعله أبو بكر للأسباب التالية:

١- إنَّ أبا بكر لم يستشر أحدا من المسلمين في تقرير مصير الخلافة إلَّا عبد الرحمن بن عوف و عثمان بن عفَّان اللذين كانا على معرفة تامّة بميول أبي بكر لاستخلاف عمر من بعده، خشية أن يدفعه أهل الرأي من الصحابة المخلصين على تغيير رأيه في اختيار عمر.

٢- الإصرار على إبعاد الإمام عليّ (عليه السَّلام) عن الساحة السياسية و مسألة تقرير مصير الخلافة فلم يستشره في أمر الخلافة، في حين أنَّ أبا بكر كان يفرع إلى الإمام في حلّ المشاكل المستعصية، أو أنَّ آراء الإمام و مواقفه في خلافة أبي بكر هي الناصحة و الصائبة دون من عداها.

٣- إنَّ أبا بكر فرض عمر فرضا على المسلمين، و كأنَّ له الوصاية عليهم حيًّا و ميِّتا و ذلك بقوله : استخلفت عمر بن الخطاب عليكم فاسمعوا له و أطيعوا، رغم أنَّه رأى الغضب ظاهرا في وجوه الكثيرين من الصحابة.

٤- إنَّه ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأنَّه كان يدعى أنَّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) توفي و لم يعهد لأحد في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده^{٢٦٧}.

ص: ١٥٠

٥- هيَّا الملك لبنى اميَّة، الذي جلب الولايات للإسلام و المسلمين، و ذلك من خلال إثارة طمعهم في الخلافة و تشجيعهم عليها بقوله لعثمان: لولا عمر ما عدوتك^{٢٦٨} .. و أبو بكر يعلم أنَّ عثمان عاطفي ضعيف يميل لبنى اميَّة، و أنَّهم سيغلبونه على أمره، و هذا ما حصل.

^{٢٦٦} (١) الكامل في التاريخ 425 / 2.

^{٢٦٧} (٢) و هو من العجائب؛ لأنَّه لمَّا أفاق من الإغماء و استمع إلى ما كتبه عثمان من تعيين الخليفة بعده، قال أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي قال: نعم؛ كيف هو و عثمان خافا من اختلاف الناس؟! و أمَّا الرسول الأعظم الحكيم (صلى الله عليه و آله) لم يخف من اختلاف أمته؟! لأنَّهم يصترحون بأنَّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) مات و لم يعيَّن أحدا. تبا لهم فما لهم كيف يحكمون؟! - بل نلاحظ عمر يمنع الرسول (صلى الله عليه و آله) من كتابة وصيته في لحظاته الأخيرة بينما يجلس و بيده جريدة و معه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر و عمر يقول: أيُّها الناس اسمعوا و أطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إنني لم ألكم نصحا. راجع الطبري ط. اوريا 1 / 2138 أرايت التناقض بين موقفه؟! و هل هناك من تفسير غير التأمّر على تخطيط الرسول (صلى الله عليه و آله)؟!!

الفصل الثالث الإمام على (عليه السلام) في عهد عمر^{٢٦٩}

مهّد أبو بكر كرسىّ الخلافة لعمر بن الخطاب فتولّاها بسهولة و يسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين و الأنصار، و قد قبض على زمام الحكم بقوة و ساس الامة بشدة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة^{٢٧٠}. و حققت جاهلية قريش انتصارا سياسيا آخر و مضت بخطها على أن لا تعطى حقاً لبنى هاشم، و أتقن عمر هذا السير أيما إتقان.

أمّا أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يثار لحقه المغتصب بعدما شاهد من سيرة السلطة الحاكمة و حركة الفئة غير الواعية في ركبها، من تعنت و إصرار على الانحراف بالخلافة، فوقف الإمام موقف الناصح الأمين للخليفة الجديد شعورا منه بالمسؤولية الكبيرة، فهو الأمين على سلامة الرسالة و الامة، لقد ساهم أمير المؤمنين في الحياة العامة ما وسعه من جهد، و أدّى ما عليه من تكليف في تعليم و تفقيه و قضاء بصورة أوسع من دوره في عهد أبي بكر حيث اقتضت الضرورة ذلك، فقد اتسعت رقعة البلاد الإسلامية و استجذبت أحداث جديدة طارئة كان يعجز عنها الخليفة الجديد و كل من معه من الصحابة، و لم يكن يجد لها حولا إلّا

ممن عصمه الله عن الذنب و الخطأ، و لذا كان عمر يقف متصاعرا أمام أمير المؤمنين و يحترم رأيه و يمشى حكمه و قراره حتى روى عنه لأكثر من مرة و في أكثر من موقف حرج قوله: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن^{٢٧١}.

فقد روى أن عمر أراد أن يرحم امرأة مجنونة اتهمت بالزنا، فردّ الإمام على (عليه السلام) قضاء عمر. و ذكره بحديث رسول الله (صلى الله عليه و آله): «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، و عن النائم حتى يستيقظ، و عن الصبي حتى يعقل» حينذاك قال عمر: لولا علىّ لهلك عمر^{٢٧٢}.

ملاحم من سيرة عمر^{٢٧٣}:

١- الشدة و القسوة في التعامل مع الناس، و فرض السلطان بالعنف و القوة، فخافه القريب و البعيد، و كان من شدته أن امرأة جاءت تسأله عن أمر و كانت حاملا و لشدة خوفها منه أجهضت حملها . و قصته مع جبلة و عنفه معه ممّا سبب ارتداد جبلة و هروبه إلى بلاد الروم^{٢٧٤}.

٢- عدم مساواته في العطاء بين المسلمين، فقد ميّز بينهم على أساس غير مشروع من النبى (صلى الله عليه و آله) و لا موجه في القرآن، بل على أساس عصبى^{٢٧٥}، و كان من آثاره أن ظهرت الطبقة في العهود التي تلتها، فنشط النسّابون لتدوين

^{٢٦٨} (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/ 164.

^{٢٦٩} (*) استخلاف عمر بن الخطاب في جمادى الآخرة عام (13) هـ.

^{٢٧٠} (1) تاريخ الطبري: 2/ 617 و 618.

^{٢٧١} (1) اسد الغاية 4/ 22، و تهذيب التهذيب: 7/ 296، و تاريخ دمشق: 3/ 39 حديث 1071، و الرياض النضرة:

2/ 197، و كنز العمال: 5/ 832.

^{٢٧٢} (2) تذكرة الخواص: 87، و كفاية الطالب: 96، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة: 2/ 309.

^{٢٧٣} (3) راجع النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين: 148.

^{٢٧٤} (4) الطبقات الكبرى: 3/ 285، و تاريخ الطبري: 3/ 291، و العقد الفريد: 2/ 56.

الأنساب و تصنيف القبائل بحسب اصولها ممّا أدّى الى حقن الموالى على العرب و كراهيتهم لهم و التفتيش عن مثالبهم، و قد خالف بذلك سيرة الرسول

ص: ١٥٣

الأكرم (صلى الله عليه و آله) و سيرة صاحبه أبى بكر أيضا.

و ندم عمر على تصرفه هذا فى آخر فترة حكمه حينما رأى الثراء الفاحش عند كثير من الصحابة، و لم تطب به نفسه، و إنّما راح يقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء^{٢٧٦}.

٣- عدم الدقّة و الموضوعية فى اختيار العمّال و الولاة على اسس إسلاميّة تخدم مشروع الحكومة الإسلامية و تحافظ على كيان الامة، فإنّه استعمل من عرف بالفساد و عدم الإخلاص للدين، و أصرّ بموقفه هذا على إبعاد كلّ ما يمتّ إلى الخلافة بصلّة، عن الإمام علىّ (عليه السلام) و الصحابة الأجلّاء الذين وقفوا معه^{٢٧٧}.

٤- استثناء معاوية من المحاسبة و المراقبة التى كان يشدّدها على ولاته، و تركه على هواه يعمل ما يشاء لسنين طويلة، ممّا أعان معاوية على طغيانه و استقلاله بالشام فى عهد عثمان، كما اثر عنه قوله فى توجيه تصرفات معاوية : إنه كسرى العرب^{٢٧٨}.

محنة الشورى:

إذا كانت السقيفة و بيعه أبى بكر فلتة و قى الله المسلمين شرها- كما قال عمر-؛ فإنّ الشورى أشدّ فتنة و أكبر انحرافا عن مسير الرسالة الإسلامية، فقد امتحن المسلمون فيها امتحانا عسيرا، و زرعت لهم الفتن و المصاعب و جلبت لهم الويلات و الخطوب، و ألفتهم فى شرّ عظيم، إذ تبين التآمر علنا لإقصاء الإمام علىّ عن الحكم و تسليم زمام الامة الإسلامية بيد المنحرفين من دون واعز من الضمير أو حرص على المصير.

ص: ١٥٤

فلما يئس عمر من حياته و أيقن برحيله عن الدنيا أثر الطعنات التى أصابته قيل له : استخلف علينا، قال: و الله لا أحملكم حيّا و ميتا، ثمّ قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر- و إن ادع فقد ودع من هو خير منى - يعنى النبىّ (صلى الله عليه و آله)-^{٢٧٩}، ثمّ أبدى أسفه و حسرته على بعض من شاركه مسيرته للخلافة فقال : لو كان أبو عبيدة حيّا لاستخلفته لأنّه أمين هذه الامة، و لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيّا لاستخلفته لأنّه شديد الحبّ لله، فقيل له : يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا.

^{٢٧٥} (5) تاريخ الطبري: 3/ 291 و 292.

^{٢٧٦} (1) شرح النهج: 9/ 29.

^{٢٧٧} (2) شيخ المضىة أبو هريرة: 84.

^{٢٧٨} (3) المستدرك على الصحيحين: 4/ 479، و كنز العمال: 6/ 39.

^{٢٧٩} (1) الإمامة و السياسة: 41. قد عرفت سابقا أنّ النبى (صلى الله عليه و آله) لم يدع ... و قد عيّن خليفته مرارا كيوم الإنذار لعشيرته الأقربين و غدير خم و غيرهما.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فاولي رجلا أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى الإمام عليّ (عليه السلام) - و رهنقتي غشيه فرأيت رجلا دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضة و يانعة فيضمه إليه و يصير تحته، فعلمت أن الله غالب أمره، و متوف عمر، فما اريد أن أتحملها حيا و ميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) عنهم: إنهم من أهل الجنة، و هم: عليّ و عثمان و عبد الرحمن و سعد و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلا، فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته و أعينوه ^{٢٨٠}، و أمرهم أن يحبس هؤلاء الستة حتى يولوا أحدهم خلال أيام ثلاثة و أن يضرب عنق المخالف لاتفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف، و أن يصلي صهييب بالناس ثلاثة أيام حتى تجتمع الامة على خليفة، و طلب أن يحضر شيوخ الأنصار و ليس لهم من الأمر شيء ^{٢٨١}.

ص: ١٥٥

و حين اجتمع أعضاء الشورى لدى عمر، وجّه إليهم انتقادات لاذعة لا تدلّ على وضوح توجه صحيح أو ارشاد إلى انتخاب يعين الامة في أزمته، فقال: و الله ما يمنعني أن استخلفك يا سعد إلا شدتك و غلظتك مع أنك رجل حرب، و ما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الامة، و ما يمنعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب . و ما يمنعني من طلحة إلا نخوته و كبره ^{٢٨٢}، و لو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته. و ما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك و حبك قومك و أهلك . و ما يمنعني منك يا عليّ إلا حرصك عليها، و إنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم ^{٢٨٣}.

مؤاخذات على الشورى:

نظام الشورى الذي وضعه عمر كان عاريا عن الصحة و الصواب يحمل التناقض بين خطواته، فإننا نلاحظ فيه امورا يبعده عن الدقة و الموضوعية:

١- إن الأعضاء المقترحين للشورى لم يحصلوا على هذا الامتياز بالأفضلية وفق ضوابط الانتخاب حيث لم تشترك القواعد الشعبية في الترشيح و الانتخاب، و إطلاق كلمة الشورى على هذا النظم ام جزاف، لأنه لم يكن إلا ترشيح فرد لجماعة و فرضهم على الامة و من ثم أمر باجتماعهم تحت التهديد بالقتل و السلاح حتى يختاروا أحدهم.

٢- عناصر الشورى متنافرة في تركيب شخصياتها و أفكارها، و لا يمثل كل فرد فيهم إلا رأيه الشخصي، فكيف يمكن أن يعبر عن رأى الامة؟ و قد نشب

ص: ١٥٦

^{٢٨٠} (2) تأريخ الطبري: 293 /3 ط مؤسسة الأعلمي، الكامل في التاريخ 66 /3.
^{٢٨١} (3) تاريخ الطبري: 294 /3 ط مؤسسة الأعلمي، طبقات ابن سعد: 261 /3، و الإمامة و السياسة: 42، و الكامل في التاريخ 68 /3.
^{٢٨٢} (1) كيف هم يدخلون الجنة حسب نقل عمر عن النبي (صلى الله عليه و آله) مع أن عبد الرحمن فرعون هذه الامة و طلحة صاحب الكبر و النخوة و الزبير مؤمن الرضا كافر الغضب؟
^{٢٨٣} (2) الإمامة و السياسة: 43.

الخلافة فيما بينهم من بعد الشورى ممّا فرق شمل المسلمين^{٢٨٤}.

٣- الاستهانة بالأنصار و دورهم، فقد طلب عمر حضورهم و لا شىء لهم بل و لا رأى، فالأمر منحصر فى الستة فما معنى حضور الأنصار؟ بل إن عمر استهان بالامة كلها حين تمنى حياة سالم و أبى عبيدة.

٤- إن عمر ناقض نفسه فى عملية اختيار العناصر، ففى السقيفة كان يدعى و يصّر على أن الخلافة فى قريش، بينما نجده فى هذا الموقف يتمنى حياة سالم مولى أبى حذيفة ليوليه الأمر، كما أنه استدعى أصحاب الشورى دون غيرهم من الصحابة بدعوى أن الرسول (صلى الله عليه و آله) مات و هو راض عنهم أو أنهم من أهل الجنة، و لكنّه نسب اليهم عيوباً لا تجتمع مع الرضا عنهم و يتنزّه عنها أهل الجنة . ثم إنه أمر صهيباً أن يصلّى بالناس ثلاثة أيام، لأن إمامة المصلّين لا ترتبط بالخلافة و لا تستلزمها، و قد كان يناضل يوم السقيفة من أجل استخلاف أبى بكر، و كانت صلاته المزعومة دليله الأول على أهليّة أبى بكر للخلافة.

٥- إنه أراد أن يستخلف عليّاً (عليه السلام) لأنّه سيحمل الامّة على النهج القويم و المحبّة البيضاء، و لكنّه رأى فى المنام ما رأى، فأعرض عن الإمام (عليه السلام) و كأنّه أراد بذلك التشويش على مكانة الإمام و أهليّته.

٦- إن عمر قال: أكره أن أحمّلها - يقصد الخلافة - حيّاً و ميّتا، و لكنّه عاد فحدّد ستة أشخاص من امّة كبيرة، فأكد بذلك نزعتة فى الاستعلاء على الامّة و قدراتها.

٧- اختيار العناصر الستة يبدو مبيّناً بحوث يصل الأمر إلى عثمان باحتمالية أكبر من وصولها إلى الإمام علىّ (عليه السلام) و هو العنصر المؤهل من الله و رسوله لخلافة الامّة، فترشيح طلحة هو إثارة و تأكيد لأحقاد تميم، لأنّ الإمام نafس و عارض أباً

ص:١٥٧

بكر فى خلافتة و ها هو الآن ينافس مرشّحها ال جديد طلحة، و ترشيحه لعثمان تأكيد منه على أحقاد اميّة و إثارة نزعة السلطان و الوجاهة لديها، و أمّا ترشيحه لعبد الرحمن و سعد فهو فتح جبهة سياسية جديدة منافسة للإمام علىّ (عليه السلام) فهما من بنى زهرة و لهما نسب أيضاً مع بنى اميّة، فسوف يكون ميلهما لصالح عثمان ان لو تنافس مع الإمام (عليه السلام).

٨- إنه أمر بقتل أعضاء الشورى فى حالة عدم التوصل إلى اتفاق أو إبداء معارضة و إصرار، و كيف يمكن التوفيق بين هذا و بين قوله : إنّ النبىّ (صلى الله عليه و آله) مات و هو راض عنهم؟ و هل تكون مخالفة رأى عمر موجبة لقتل الصحابة^{٢٨٥}؟

حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافة:

روى أن حواراً وقع بين عمر و ابن عباس فى شأن الخلافة.

^{٢٨٤} (١) أنساب الأشراف: 5/ 57، و تذكرة الخواص: 57، و النص و الاجتهاد: 168.
^{٢٨٥} (١) تاريخ الطبري: 3/ 293 ط مؤسسة الأعلمي.

قال عمر: أما والله، إن صاحبك لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله، إلّا أننا خفناه على اثنتين، قال ابن عباس: فما هما يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: خفناه على حدائث سنّه، وحبّه بنى عبد المطلب.

و فى بعض مجالس عمر بن الخطاب و قد جلس إليه نفر منهم عبد الله بن عباس، فقال له عمر: أتدرى يا ابن عباس ما منع الناس منك؟ قال ابن عباس: لا يا أمير المؤمنين، قال عمر: لكننى أدرى، قال ابن عباس: فما هو؟ قال عمر:

كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة و الخلافة، فتجحفوا الناس جحفا فنظرت لأنفسها فاختارت، و وقفت فأصابت.

فردّ عليه ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عنى غضبه؟ فأمنه عمر قائلا:

قل ما تشاء.

ص: ١٥٨

فقال ابن عباس: أمّا قولك: إن قريشا كرهت ... فإن الله تعالى قال لقوم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ^{٢٨٦} و أمّا قولك: إنا كنا نجحف ... فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، و لكنّا قوم أخلاقنا من خلق رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذى قال ربّه فيه: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ^{٢٨٧} و قال له: وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^{٢٨٨} و أمّا قولك: إن قريشا اختارت ... فإن الله تعالى يقول: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ^{٢٨٩}، و قد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه من اختار، فل و نظرت قريش حيث نظر الله لوقت و أصابت.

فتفكر عمر هنيهة ثم قال (و قد آذاه من ابن عباس هذا الحديث الصريح):

على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّا غشا فى أمر قريش لا يزول، و حقدا عليها لا يحول.

قال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بنى هاشم إلى الغش، فهى من قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذى طهره و زكاه، و إنهم لأهل البيت الذين قال لهم الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا^{٢٩٠}.

ثم قال ابن عباس: و أمّا الحقد فكيف لا يحقد من غصب شيئه و يراه فى يد غيره؟ فغضب عمر و صاح - و قد حضره فى هذه الآونة أمر كان يكتمه - ما أنت يا ابن عباس! إني قد بلغنى عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندى.

^{٢٨٦} (١) محمد (٤٧): ٩.

^{٢٨٧} (٢) القلم (٦٨): ٤.

^{٢٨٨} (٣) الشعراء (٢٦): ٢١٥.

^{٢٨٩} (٤) القصص (٢٨): ٦٨.

^{٢٩٠} (٥) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

قال ابن عباس : و ما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، و إن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به.

ص: ١٥٩

قال عمر: بلغني أنك لا تزال تقول: اخذ هذا الأمر منا حسدا و ظلما.

فلم ينكص ابن عباس و لم يتزحزح عن مواطئ قدميه، بل قال: نعم حسدا و قد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، و نعم ظلما و إنك لتعلم يا أمير المؤمنين صاحب الحق من هو .. يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله و احتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله؟ فنحن أحق برسول الله من سائر قريش و غيرها.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس، فلما رآه عمر قائما يريد أن يبرح خشي أن يكون قد أساء إليه فأسرع يقول متلطفاً به: أيها المنصرف! إنني على ما كان منك لراع حقك.

فالتفت ابن عباس إليه و هو يقول و لم يزايله جدّه : إن لي عليك يا أمير المؤمنين و على كل المسلمين حقاً برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، و من أضاعه فحق نفسه أضاع^{٢٩١}.

موقف الإمام (عليه السلام) من الشورى:

ألم الحزن و الأسى بقلب الإمام عليّ (عليه السلام)، و ساورته الشكوك و المخاوف من موقف عمر و ترشيحه، فأيقن أن في الأمر مكيدة دبرت لإقصائه عن الخلافة و حرف الحكومة الإسلامية عن مسارها الصحيح، و ما إن خرج الإمام (عليه السلام) من عند عمر؛ حتى تلقاه عمّه العباس فبادره قائلاً:

يا عمّ، لقد عدلت عنا، فقال العباس : من أعلمك بذلك، فقال عليّ (عليه السلام): قرن بي عثمان، و قال عمر : كونوا مع الأكثر، فإن رضی رجلان رجلاً و رجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمّه عبد

ص: ١٦٠

الرحمن و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخرون معي لم ينفعاني^{٢٩٢}.

و صدق تفرّس الإمام (عليه السلام) فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبد الرحمن، فقد روى أن سعداً وهب حقه في الشورى لابن عمّه عبد الرحمن، و مال طلحة لعثمان فوهب له حقه، و لم يبق إلّا الزبير فتنازل عن حقه لصالح الإمام (عليه السلام)، و هنا عرض عبد الرحمن أن يختار الإمام أو عثمان فقال عمار : إن أردت إلّا يختلف المسلمون فبايع عليّاً، فردّ عليه ابن أبي سرح : إن أردت إلّا تختلف قريش فبايع عثمان، فتأكد التوجّه غير السليم للخلافة و بدت أعراض الانحراف واضحة جلية توجّجها نار العصبية.

^{٢٩١} (١) تأريخ الطبري: 289 / 3 و 290 ط مؤسسة الأعلمي

^{٢٩٢} (١) المصدر السابق: 226 / 5.

فعرض عبد الرحمن بيعته بشرط السير على كتاب الله و سنة نبيه (صلى الله عليه و آله) و سيرة الشيخين، فرفض الإمام سيرة الشيخين و قبلها عثمان فتمت له البيعة، فقال عليّ (عليه السلام) لعبد الرحمن:

«حبوته حبو دهره، ليس هذا أوّل يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون»^{٢٩٣}.

«و الله ما فعلتها إلّا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكم عطر منشم»^{٢٩٤}.

ثمّ التفت (عليه السلام) إلى الناس ليوضح لهم خطأهم المتكرّر في الاستخلاف و رأيه في مصير الرسالة الإسلامية فقال:

«أيّها الناس! لقد علمتم أنّي أحقّ بهذا الأمر من غيري، أما و قد انتهى الأمر إلى ما

ص: ١٤١

ترون، فو الله لاسالمنّ ما سلمت امور المسلمين، و لم يكن فيها جور إلّا علىّ خاصة، التماسا لأجر ذلك و فضله، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه»^{٢٩٥}.

إنّ الامام (عليه السلام) دخل مع الباقيين في الشورى و هو يعلم بما ستؤول إليه، محاولة منه لإظهار تناقض عمر و من سار على نهجه عند وفاة النبيّ (صلى الله عليه و آله) حين كان يرى أنّه لا تجتمع الخلافة و النبوة في بيت واحد، أمّا الآن فقد رشّح الإمام (عليه السلام) للخلافة.

روى عن أمير المؤمنين: «و لكنّي أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة، و كان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: إنّ النبوة و الإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته»^{٢٩٦}.

و بايع الإمام (عليه السلام) عثمان بن عفّان سعيًا منه أن يصلح الامّة و يوجّهها، و أن يحافظ على كيائها، فلم ييخل على الامّة بالنصيحة و الهداية و التربية، فإن ابعدت الخلافة عنه (عليه السلام) فإنّه لم يدّخر وسعا إلّا و بذله يوضح الحقّ و يرشد إليه، و يهدى السبيل الصحيح و يدلّ عليه، و يعين الحاكم حين يعجز، و يعلمه إذ جهل، و يردعه إذ يطيش.

لما ذا لم يوافق الإمام (عليه السلام) على شرط عبد الرحمن بن عوف؟

لم يقف الإمام عليّ (عليه السلام) موقف المعارض للخليفين لمصلحة خاصّة أو غاية شخصية، إنّما لصالح الدين و الامّة و العقيدة الإسلامية، مبتعدا عن الأهواء و الرغبات، مستندا على القرآن و السنّة في كلّ مواقفه، حريصا على الموضوعية و الرسالية في كلّ قرار يتّخذه و هو الراعي لشؤون الرسالة و الامّة في غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله)، لئلا يشوب الرسالة الإسلامية شيء يحيد بها عمّا نزلت من أجله.

^{٢٩٣} (2) تاريخ الطبري: 297 / 3 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٢٩٤} (3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 188 / 1.

^{٢٩٥} (1) نهج البلاغة: الخطبة رقم 74، طبعة صبحي الصالح.

^{٢٩٦} (2) شرح النهج لابن أبي الحديد: 186 / 1.

ص: ١٦٢

و موقفه من رفض البيعة بشرط سيرة الشيخين نابع من هذا المنطلق، فلا يوجد في أصل العقيدة شىء يصح أن يسمّى بسيرة الشيخين، وإنما هناك القرآن و السنة النبوية، فلو أن الإمام وافق بهذا الشرط؛ لكان معناه إمضاء سيرة الشيخين كالسنة النبوية، وإن في سيرة الشيخين أنواع التناقض و التفاوت فيما بينهما معا، بل فيما بينهما و بين القرآن و السنة النبوية الشريفة.

ثم إن الإمام (عليه السلام) يرى أن دوره دور المربي بعد النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الامة، فلم يكن من شأنه أن يوافق على أن يسير بسيرة الشيخين ثم يخالفها كما فعل عثمان حيث رضى بهذا الشرط ولكنه لم يف به.

ص: ١٦٣

الفصل الرابع الإمام على (عليه السلام) في عهد عثمان^{٢٩٧}

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) واصفا عهد عثمان:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضييه بين ثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكت عليه فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته»^{٢٩٨}.

لم يكن عثمان كسابقيه سياسيا مأكرا يدير شؤونه بدقّة، فما أن فرضه ابن عوف خليفة للمسلمين و جاءوا به يزفونه إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليعلن سياسة حكومته الجديدة و ما أعدّ من مواقف لمستجدات الامور؛ صعد على المنبر فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و لم يجلس فيه أبو بكر و لا عمر، إذ كان أبو بكر يجلس دونه بمرقاء، و عمر كان يجلس دونه أيضا بمرقاء، و تكلم الناس في ذلك فقال بعضهم : اليوم ولد الشر^{٢٩٩}.

و لم يستطع أن يتكلم، فقال : أمّا بعد، فإن أول مركب صعب، و ما كنا خطباء، و سيعلم الله و إن أمراً ليس بينه و بين آدم إلّا أب ميّت لموعوظ^{٣٠٠}.

ص: ١٦٤

و قال اليعقوبي: فقام ملياً لا يتكلم ثم قال: إن أبا بكر و عمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّ الخطب و إن تعيشوا فسيأتكم الخطب، ثم نزل^{٣٠١}.

^{٢٩٧} (*) استخلاف عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة 23 هـ.

^{٢٩٨} (1) نهج البلاغة: من الخطبة الشقشقية.

^{٢٩٩} (2) تاريخ اليعقوبي: 2/ 163، و البداية و النهاية: 7/ 166، و تأريخ الخلفاء: 162.

^{٣٠٠} (3) راجع الموقوفات: 2/ 2.

^{٣٠١} (1) تاريخ اليعقوبي: 2/ 163.

استهّل عثمان أعماله بامور جعلت عامّة المسلمين ينقمون عليه سوى أفراد عشيرته - بنى اميّة - فقد جاهر بقيبلته و أظهر ميله لقومه معلنا موبيته، فأخذ يسودهم و يرفعهم فوق رقاب الناس، فوزّع مناصب الولاية على بنى اميّة و سلّم إليهم م قاليد الامور يعبثون بلا رادع لهم.

و قد تجاوز عثمان حدود سياسة سلطة العشيرة التي رسمها أبو بكر و عمر، و حصر المناصب و المهام الرسمية ضمن دائرة ضيقة هي بنى اميّة.

و لم يعبأ بنصح و تحذير الصحابة و على رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنّ عثمان وصل إلى الحكم و قد استفحل التوجّه القبلي في مقابل النهج الصحيح للحكومة الإسلامية، و قد ضعف دور العناصر الصالحة في تغيير سياسة الحاكم مباشرة، فقد كان لسياسة أبي بكر و عمر من إبعاد أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحكم و اعتمادهم على آرائهم الأثر الكبير في انحراف خطّ السلطة الحاكمة و ظهور التيار المعادي لخطّ أهل البيت (عليهم السلام)، لذا فليس من السهل أن ينصاع الخليفة الجديد للنصح و حوله تيار المناققين و الطلقاء و ذوو المصالح.

أبو سفيان بعد بيعه عثمان:

بعد أن تمّت بيعه عثمان؛ أقبل أبو سفيان إلى دار عثمان بن عفان و قد غصّت بأهله و أعوانه تسودهم نشوة النصر و الفوز بالحكم، و قد بدت على ملامحه علامات الفرح و السرور، تعلو شذقه بسمه حقود شامت، ففي الاقنق تلوح بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ كبرياءهم الإسلام، فأدار وجهه يمينا و شمالا قائلا للحاضرين

ص: ١٦٥

٣٠٢

المجتمعين في دار عثمان: أفيكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي فقال: يا بنى اميّة! تلقّفوها تلقّف الكره، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة و لا نار، و لا حساب و لا عقاب ... و لقد كنت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه^{٣٠٢}.

ثمّ سار إلى قبر سيّد الشهداء حمزة بن عبد المط لب، فوقف على القبر و ركله برجله و قال : يا أبا عماره! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به^{٣٠٤}.

ملاح سلبية في حكم عثمان:

تعايش الإمام على (عليه السلام) مع أبي بكر و عمر، و لم يظهر معارضته العلنية لهما، فقد كان الانحراف في مسير ة الحكومة الإسلامية مستترا، و كان الإمام (عليه السلام) يتدخل في أحيان كثيرة لإصلاح موقف الخليفة الخاطي فيستجيب

^{٣٠٢} گروه مؤلفان، أعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٣٠٣} (1) مروج الذهب: 1/ 440.

^{٣٠٤} (2) راجع الغدير: 8/ 278، و الاستيعاب: 2/ 690، و تأريخ ابن عساکر: 6/ 407، و الأغاني: 6/ 335.

له، و لم يخش أبو بكر و عمر من الإمام (عليه السلام) إلّا لكونه الممثل الشرعى للامّة و صاحب الحقّ فى الخلافة و قائدا لتيار المعارضة الذى يضمّ أجلّاء الصحابة، و لكنّ الإمام تنازل عن حقّه فى الخلافة فأمنّ القوم من جانبه، و لكنه لم يتنازل عن المبدأ الذى ورثه عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) بكونه المراقب و المحافظ للعقيدة الإسلامية.

أمّا فى فترة حكم عثمان فقد استشرى الفساد و دبّ فى أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، و انتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامى، فوقف الإمام معلنا رفضه و استنكاره على عثمان بصورة علنية، و وقف معه الصحابة الأجلّاء أمثال عمار بن ياسر و أبى ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته و فساد حكومته، و يمكن لنا أن نجمل طبيعة حكم عثمان و ملامحه فيما يلى:

ص: ١٦٦

إن عثمان وصل الى الحكم و قد تجاوز السبعين عاما، و كان وصولا لأرحامه و لوعا بحبهم و إثارةهم، فقد روى عنه قوله : لو أن بيدى مفاتيح الجنّة لأعطيتها بنى اميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم . كما أنّ عثمان عاش غنيّا مترفا قبل الإسلام، و ظلّ على غناه فى الإسلام، فلم يكن ليتحسّس معاناة الفقراء و آلام المحرومين، فكانت شخصيته مزدوجة فى التعامل مع الجماهير المحرومة التى تطالبه بالعدل و السوية، فيعاملها بالشدة و القسوة، كما فى تعامله مع عبد الله بن مسعود و عمار بن ياسر و أبى ذر و غيرهم.

و أمّا من جهة أقربائه فقد أدناهم و قلّدهم الامور، فاستعمل الوليد بن عقبة ابن أبى معيط على الكوفة و هو ممّن أخبر النبیّ (صلّى الله عليه و آله) أنّه من أهل النار، و عبد الله ابن أبى سرح على مصر، و معاوية بن أبى سفيان على الشام، و عبد الله بن عامر على البصرة، و صرف الوليد بن عقبة عن الكوفة و ولّاها سعيد بن العاص^{٣٠٥}.

و كان عثمان ضعيفا أمام مروان بن الحكم، يسمع كلامه و ينفذ رغباته، حتّى أنّه عندما تألّبت الأمصار على عثمان و تأزّمت الأوضاع؛ تدخل الإمام ليهدئ الحالة و يرجع النافرين - الذين جاءوا يطالبون بإصلاح السياسة الإدارية و المالية و تبديل الولاة- الى بلدانهم، و أخذ من عثمان شرطا أن لا يطيع مروان بن الحكم و سعيد بن العاص.

و لكن بمجرد أن هدأت الأوضاع؛ عاد مروان و حرّض عثمان على أن يخرج و ينال من الثوار، فنحرج إليه الإمام علىّ (عليه السلام) مغضبا فقال: «أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرفك عن دينك و عن عقلك مثل جمل الضعينة يقاد

ص: ١٦٧

حيث يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا نفسه»^{٣٠٦}؟

و فى موقف آخر مع الوليد بن عقبة أنّ الخليفة عثمان غضب على الشهود الذين شهدوا على الوليد بشربه الخمر و دفعهم، و هنا تدخل الإمام و هدّد عثمان من عواقب الامور، فأمره الإمام (عليه السلام) باستدعاء الوليد و محاكمته و إقامة الحد

^{٣٠٥} (1) تاريخ اليعقوبى: 2/ 160 و تاريخ الطبرى: 3/ 445 ط مؤسسة الأعلمى، و أنساب الأشراف للبلاذري
49/ 5، و حلية الأولياء: 1/ 156، و شيخ المضيرة أبو هريرة: 166، و الغدير: 8/ 238-286 و النص و الاجتهاد: 399.
^{٣٠٦} (1) الطبرى: 3/ 397 ط مؤسسة الأعلمى.

عليه، و حين احضر الوليد و ثبتت عليه شهادة الشهود؛ أقام الإمام (عليه السلام) عليه الحدّ ممّا أغضب عثمان، فقال للإمام: ليس لك أن تفعل به هذا، فأجابه الإمام بمنطق الحقّ و الشرع قائلاً: «بل و شرّ من هذا إذا فسق و منع حقّ الله أن يؤخذ منه»^{٣٠٧}.

و أمّا سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقيّة و تقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلّا أنّها أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بنى اميّة ثراء فاحشاً، و حين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ و إذا سكتنا عنك فاسكت، فقال: و الله ما أنا لك بخازن و لا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن للمسلمين .. و جاء يوم الجمعة و عثمان يخطب فقال: أيّها الناس! زعم عثمان أنّي خازن له و لأهل بيته، و إنّما كنت خازناً للمسلمين، و هذه مفاتيح بيت مالكم، و رمى بها^{٣٠٨}.

موقف للإمام علي (عليه السلام) مع عثمان:

نقم المسلمون على عثمان، و تصلّب خيار الصحابة في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة و جهازه الحاكم، و في قبال ذلك أمعن عثمان بالتكيد بالمعارضين و المندّدين بسياسته المنحرفة، و بالغ في ذلك دون أن يرعوى لصحابة رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، فمن ذلك أن أبأذر الصحابيّ الجليل أكثر من اعتراضه

ص: ١٤٨

على مساوئ عثمان، فسيّره إلى الشام، و لم يطق معاوية وجوده فأرجعه إلى المدينة، و استمرّ أبو ذر بجهاده و إنكاره السياسة الامويّة، فضاق عثمان به ذرعاً فقرّر نفيه الى الربذة و منع الناس من توديعه.

و لكنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) خفّ لتوديعه و معه الحسان و عقيل و عبد الله بن جعفر، فاعترضهم مروان بن الحكم ليردّهم، فنار الإمام عليّ (عليه السلام) فحمل على مروان، و ضرب اذني دابته و صاح به: تنحّ نحاك الله إلى النار^{٣٠٩}، و وقف الإمام عليّ (عليه السلام) مودّعاً أباً ذر فقال له: «يا أبأذر! إرّك غضبت لله فارّج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، و اهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم! و ما أغناك عمّا منعوك! و ستعلم من الرابع غدا و الأكثر حسداً!»^{٣١٠}.

فلمّا رجع عليّ (عليه السلام) من توديع أبي ذر؛ استقبله الناس فقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان، فقال عليّ (عليه السلام): «غضب الخيل على اللجم».

الآثار السلبية لحكومة عثمان في الامة:

كانت حكومة عثمان استمراراً للخطّ السياسي الحاكم غير الواعي لمحتوى الرسالة سلوكاً و معتقداً، فترك آثارها السيّئة على مسيرة الحكومة الإسلامية و الامة ككل، و أضافت مثالب و مطاعن في وضوح الرسالة الإسلامية لدى الجماهير

^{٣٠٧} (2) مروج الذهب: 2/ 225.
^{٣٠٨} (3) الطبقات لابن سعد: 5/ 388، و تاريخ يعقوبي: 2/ 153، و أنساب الأشراف: 5/ 58، و المعارف لابن قتيبة: ص 84، و شيخ المصيرة أبو هريرة: 169، و الغدير: 8/ 276.
^{٣٠٩} (1) مروج الذهب: 2/ 350.
^{٣١٠} (2) شرح النهج: 3/ 54، و ذكر ذلك أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتابه السقيفة، و أعيان الشيعة 3/ 336.

الإسلامية التي لم تعش مع القائد المعصوم - النبي (صلى الله عليه وآله) - سوى عقد واحد رآته فيها حاكما و مربيا، و اشتعلت نار الفتن في أطراف البلاد الإسلامية و التي جرت على المسلمين الولايات و المملكات، فإننا من خلال سبرنا أغوار التاريخ نستنتج ما يلي:

ص: ١٦٩

١- إن حكومة عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطلت الحدود و أشاعت الفساد و تهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك، و هذا ما فسح المجال لشروع الفوضى في السلوك الاجتماعي و بث روح التمرد على القانون . و كان من مظاهر الفساد شيوع الاستهتار و الاستخفاف بالقيم و الأحكام الإسلامية، فنجد أن بيوت الولاة و الشخصيات المتنفذة تعج بحفلات الغناء و مجالس الخمر^{٣١١}.

٢- ركزت حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي شرعها أبو بكر في نهجه السياسي القبلي، فتوضّح في بروز سلطة بنى أمية كاسرة لها سلطتها على جميع مرافق الدولة لا لشيء سوى أنها ترى لنفسها السيادة المطلقة التي انتزعها الإسلام منها، لأنها ليس لها أساس شرعي، و أصبح بنو أمية جبهة سياسية قوية ل ها توجهها المناوئ للإسلام و خصوصا لخطّ آل البيت (عليهم السلام) فأصبحوا فيما بعد العقبة الرئيسة أمام حكم الإمام عليّ (عليه السلام)، حيث تكتلوا حول معاوية بن أبي سفيان في مواجهة الإمام عليّ (عليه السلام).

٣- اعتبرت حكومة عثمان أن الحكم حق موهوب لهم و لا يحق لأحد انتزاعه، و اتخذوه وسيلة لإرضاء رغباتهم المنحرفة و شهواتهم الشيطانية، و لم تجعل من الحكم وسيلة للإصلاح الاجتماعي و نشر الرسالة الإسلامية في بقاع الأرض^{٣١٢} ممّا شجّع الكثيرين في السعي للتسلّق الى الحكم للتمنّع بالسلطة و الجاه، فعمرو بن العاص و مع اوية و طلحة و الزبير لم يكونوا ينددون من السعي للحكم أى هدف إنساني أو اجتماعي يعود بالنفع و المصلحة على الأمة.

٤- خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء^{٣١٣} تنزّرت مصالحها مع الحكومة القائمة في مواجهة حكومة تطالب بتطبيق الحقّ و الشرع، ممّا أدّى إلى

ص: ١٧٠

تحرك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبة بالقوة في إصلاح النظام المالي و تطوير الحياة الاقتصادية و تنظيم الدخل الفردي . و حركة أبى ذرّ تجاه الفساد المالي للحكومة خير شاهد و دليل على عمق تفشّى الفقر في أوساط الأمة.

٥- إن استعمال العنف و القوة و الشدة و القسوة في التعامل مع المعارضين و إهانتهم و لدّ ردّة فعل معاكسة للثورة على النظام القائم عسكريا، و كان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأمة و أجّجه و زاد فيه تعنت بنى أمية و من والاهم على تحدّي الحقّ و رغبة الأمة في الإصلاح.

^{٣١١} (١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 7/ 179.

^{٣١٢} (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: 3/ 64، و تاريخ الطبري: 5/ 341- 346.

^{٣١٣} (٣) مروج الذهب: 2/ 342.

و هذا ما فسخ المجال أمام النفعيين فى الوصول الى الحكم بقوة السيف بعد أن افترقت الامّة الإسلامية فى توجّهاتها السياسية، كلّ فرقة تريد الحكم لنفسها.

٦- خلف مقتل عثمان فتنة يتأجج أوارها كلّ حين، و شعارا يرفعه النفعيّون و الخارجون على الطاعة و البيعة لإثارة المشاكل و الحروب تجاه حكومة شرعية جماهيرية بزعامة الإمام علىّ (عليه السلام)، و تكامل دور الفتنة و الشقاق على يد معاوية فيما بعد، فحارب الإمام (عليه السلام) و سالت دماء المسلمين كثيرا، ثمّ حرّفوا التوجّه الدينى الصحيح الى ثقافة مشبوهة يحركون بها المجتمع لغرض إدامة سلطانهم الذى تحوّل إلى ملك متوارث، يساعدهم على ذلك سعة الدولة الإسلامية الجديدة و وجود فئات واسعة من المجتمع الإسلامى لم تفهم العقيدة الإلهية بوعى و بصيرة.

٧- من نتائج الثورة على عثمان أن وجدت فئات مسلّحة من مختلف الأقطار الإسلامية لا زالت تحيط بالمدينة تنتظر مصير الحكومة، كما أنّ الأحداث أثبتت و شجّعت على تحرك الجماهير لتغيير الحكم بالقوة، و هذا يعتبر ورقة ضغط قوية تؤثر على الحكم الجديد.

ص: ١٧١

الباب الرابع فيه فصول:

الفصل الأوّل:

الإمام علىّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

الفصل الثانى:

الإمام علىّ (عليه السلام) مع الناكثين

الفصل الثالث:

الإمام علىّ (عليه السلام) مع القاسطين

الفصل الرابع:

الإمام علىّ (عليه السلام) مع المارقين

الفصل الخامس:

الإمام علىّ (عليه السلام) شهيد المحراب

الفصل السادس:

تراث الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ص: ١٧٣

الفصل الأوّل الإمام عليّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

بيعة المسلمين للإمام عليّ (عليه السلام)^{٣١٤}:

سادت الفوضى أرجاء المدينة بعد مقتل عثمان؛ فأتجهت الأنظار والآراء إلى الإمام عليّ (عليه السلام) لينقذ الأمة من محنتها وتخبّطها، ولم يتجرأ أحد أن يدّعي أحقيّته بالخلافة التي تكتنف طريقها المشاكل المستعصية، كما أن الظرف السياسي لم يمهل عثمان أن يتخذ قراراً بشأن الخلافة كما اتّخذ أصحابه من قبل، ولم يكن المتبقّي من أصحاب الشورى يملك مؤهلات الخلافة أصلاً، فكيف وقد تعقّدت الأمور وتدهور وضع الدولة وكيانها، ولا بدّ أن يتزعّم الأمة قائد يملك القدرة للنهوض بالأمة بعد انحطاطها وقيادتها لاجتياز الأزمة وصيانتها عن الضياع، ولم يكن من شخص إلّا الإمام عليّ (عليه السلام) راعيها وسيدها.

تحركت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ (عليه السلام) لتضغط عليه كي يقبل قيادتها، ولكن الإمام (عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردد، فقد حرم منها وهو صاحبها وجاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافاً والأمة تردّياً، وتجدّرت فيها مشاكل تستعصى دون النجاح في المسيرة، فقال لهم: «لا حاجة لي

ص: ١٧٤

في أمركم أنا معكم فمن اخترتم رضيت به فاختاروا»^{٣١٥}. وقال (عليه السلام): «لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً»^{٣١٦}.

وأوضح لهم الإمام (عليه السلام) عمّا سيجرى فقال: «أيّها الناس! أنتم مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم به القلوب، ولا تثبت له العقول...»^{٣١٧} وأمام إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم: «إنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم... وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، ألا وإنّي من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم»^{٣١٨}.. وتكاثرت جموع الناس نحو الإمام وقد وصف (عليه السلام) توجّههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافة بقوله:

«فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع ينثالون عليّ من كلّ جانب حتى لقد وطئ الحسان وشقّ عطفائ مجتمعين حولى كريبضة الغنم»^{٣١٩}.

^{٣١٤} (*) تمتّ بيعة الإمام عليّ (عليه السلام) في ذي الحجة عام (35) هـ

^{٣١٥} (1) تاريخ الطبري: 3/ 450 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٣١٦} (2) المصدر السابق.

^{٣١٧} (3 و 4) نهج البلاغة: الكلمة (92).

^{٣١٨} (3 و 4) نهج البلاغة: الكلمة (92).

^{٣١٩} (5) نهج البلاغة: الخطبة (3) المعروفة بالشقشقية.

لم يكن الإمام حريصا على السلطان، بل كان حرصه أن ينقذ ما بقي من الامة، و أن يحافظ على الشريعة الإسلامية نقيّة من الشوائب و البدع، فقبل أن يتولّى أمر الخلافة و لكنّه أخرّ القبول إلى اليوم الثاني، و أن تكون بيعة الجماهير علنيّة في المسجد، رافضا بذلك اسلوب بيعة السقيفة و التوصية و السورى، و فى الوقت ذاته ليعطى الامة فرصة اخرى كى تمتحن عواطفها و قرارها فى الخضوع له، فقد ضيّعت فيما سبق نصوص النبى (صلى الله عليه و آله) على خلافته فانحرفت. و من هنا قال (عليه السلام): «و الله ما تقدّمت عليها - أى الخلافة - إلّا خوفا من أن ينزو على الامة تيس عليج من بنى امى ة فيلعب بكتاب الله عز و جل»^{٣٢٠}.

لقد كانت خطورة الموقف من نفوذ بنى امية فى مراكز الدولة و طمعهم الشديد للسلطان فى حالة من غياب الوعى الرسمى فى المجتمع.

ص: ١٧٥

و ما أن أقبل الصباح؛ حتى حفّت الجماهير بالإمام (عليه السلام) تسير نحو المسجد، فاعتلى الممرير و خاطب الجماهير: «يا أيّها الناس! إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلّا من أمرتم، و قد افترقنا بالأمس و كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلّا أن أكون عليكم، ألا و إنّّه ليس لى أن آخذ درهما دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، و إلّا فلا آخذ على أحد ...».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس .. و قالوا:

نبايعك على كتاب الله، فقال (عليه السلام): اللهمّ اشهد عليهم^{٣٢١}.

و تدافع الناس كال موج المتلاطم إلى البيعة، فكان أول من بايع طلحة بيده الشّاء و الذى سرعان ما نكت بها عهد الله و ميثاقه، و جاء بعده الزبير فبايع، ثمّ بايعه أهالى الأمصار و عامّة الناس من أهل بدر و المهاجرين و الأنصار عامّة.

كانت بيعة الإمام على (عليه السلام) أول حركة انتخاب جماهيرية، و لم يحض أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة، و بلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه، فقد أطلّت عليهم حكومة الحقّ و العدل ، و تقلّد الخلافة صاحبها الشرعى ناصر المستضعفين و المظلومين، و فرحت الامة بقبول الإمام للخلافة كما وصف الإمام (عليه السلام) ذلك بقوله: «و بلغ سرور الناس ببيعتهم إياى أن ابتهج بها الصغير، و هدى بها الكبير، و تحامل نحوها العليل، و حسرت إليها الكعاب»^{٣٢٢}.

المتخلّفون عن بيعة الإمام (عليه السلام):

إنّه لأمر طبيعيّ أن يقف ضد الحقّ أو يحايد من ساءت سريرته و ضعف يقينه و أضمرت نفسه الحقد و الحسد، فرغم أن الإمام عليا (عليه السلام) هو الخليفة الشرعى كما نصّت على ذلك الأحاديث النبويّة الشريفة، و أكّدها تأريخ الرسالة الإسلامية بأنّ خير من يصون الامة و الرسالة بعد غياب النبى (صلى الله عليه و آله) هو الإمام

ص: ١٧٦

^{٣٢٠} (6) عن أنساب الأشراف 1: ق 1 / 157.

^{٣٢١} (1) أنساب الأشراف: 22 / 5.

^{٣٢٢} (2) نهج البلاغة: الكلمة (229).

علىّ (عليه السلام) لما له من قابليات و مؤهلات لا تتوفر لغيره من المسلمين، كما و أنّ الامّة هي التي فزعت الى الإمام بكل شرائحها و فئاتها تتوجى منه قبول الخلافة، لكننا نجد أنّ فئة قليلة اتّسمت بالانحراف عن الحقّ و الجبن في مواجهته بدأت ترتدّ عن بيعتها.

لقد كان تخلفهم خرقا لإجماع الامّة و تحديا لبيعته، و بذلك فتحوا بابا جديدة في تأجيج الفتنة و استمرار الصراع الداخلي، و من هؤلاء المتخلفين : سعد ابن أبي وقاص، و عبد الله بن عمر، و كعب بن مالك، و مسلمة بن مخلد، و أبو سعيد الخدري، و محمد بن مسلمة، و النعمان بن بشير، و رافع بن خديج، و عبد الله بن سلام، و قدامة بن مظعون، و اسامة بن زيد، و المغيرة بن شعبة، و صهيب بن سنان، و معاوية بن أبي سفيان^{٣٢٣}.

و لكنّ بعضهم ندم على تفريطه في أمر بيعة الإمام، و أما موقف الإمام (عليه السلام) من هؤلاء فإنّه لم يتعرّض لأحد منهم بأىّ سوء، و تركهم و حالهم في الامّة لهم ما للناس و عليهم ما على الناس.

عقبات في طريق حكومة الإمام (عليه السلام):

وصل الإمام علىّ (عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي و قيادة الامّة و الدولة، و هما يسيران في مسارات منحرفة للسلطات التي حكمت طيلة هذه الفترة، فكان هذا عاملا مؤثرا في إضعاف موقف الإمام (عليه السلام) من الأحداث، فطوال الفترة السابقة ألف الناس أن يروا الإمام محكوما لا حاكما، محكوما لاناس أقلّ كفاءة و شأنا منه .. كما أنّ عددا من الشخصيات تنامي لديها الشعور بالمنافسة و بلوغ قمة السلطة لتحقيق أغراضهم الشخصية، فالزبير في السقيفة كان يدافع عن حقّ الإمام (عليه السلام) مقابل الفئات

ص: ١٧٧

المندفعة نحو السلطة، ثمّ نجده اليوم ينازع الإمام على السلطة، و معاوية الطليق ابن الطليق أصبح بعد هذه المدّة مناوئا قويا يهدّد كيان الدولة.

و أيضا ممّا أعاق حركة الإمام أنّ العناصر التي وقفت ضده على الخطّ المنحرف كان أغلبهم ممّن له صحبة مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و هذا ممّا انخدع به أعداد كبيرة من المسلمين، و عقّد الأمر على نجاح حكومته (عليه السلام) و استمراره في الحكم.

إضافة الى أنّ الإمام (عليه السلام) استلم دولة مترامية الأطراف، ففي زمن أبي بكر لم تكن تتجاوز الدولة الإسلامية حدود الجزيرة و العراق، أمّا في عهد الإمام فإنّها تمتد الى شمال أفريقيا و أواسط آسيا إضافة إلى تمام الجزيرة و العراق و الشام، و قد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب، و هؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظلّ حكومة غير معصومة، بل منحرفة عن الخطّ الصحيح للرسالة الإسلامية، و كان على حكومة الإمام القيام بمهامّ رئيسية في أقصر وقت مع وجود الصراع الداخلي فمنها:

١- هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء و ذلك عبر:

^{٣٢٣} (١) تاريخ الطبري: 3/ 452 ط مؤسسة الأعلمي

أ- المساواة في العطاء بين المسلمين جميعا، متبعا في ذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أهملها من كان قبله من الخلفاء، و قد أوضح في خطبته سياسة التوزيع النابعة من حكم الله **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** فقال:

«ألا و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا؛ فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده، فأنتم عباد الله، و المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، و للمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء و أفضل الثواب»^{٣٢٤}.

ب- استرجاع الأموال المنهوبة من بيت المال في عهد عثمان، فقد أعلن الإمام أن الأموال المأخوذة بغير حق - و ما أكثرها في عهد عثمان - لا بد أن ترجع

ص: ١٧٨

إلى بيت المال، حيث كانت الأموال الطائلة عند طبقة محيطة بالخليفة أو أن عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه . فقال (عليه السلام): «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، و لو وجدته قد تزوج به النساء و ملك به الإماء و فرق في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»^{٣٢٥}.

هذه السياسة المالية لم ترق لقريش، فقد كان العديد من أقطابها تنالهم قرارات الإمام و هم في أنفة الطغيان و التكبر و الاستعلاء، مثل: مروان بن الحكم و طلحة و الزبير، فما أن استوثقوا الجد في عمل الإمام حتى بدأوا بإثارة الفتن و الإحن أمام حكومة الإمام، حتى أن طلحة و الزبير جاء إلى الإمام (عليه السلام) يعترضان على ذلك فقالا: إن لنا قرابة من نبي الله و سابقة و جهادا، و إنك أعطيتنا بالسوية و لم يكن عمر و لا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضلونا على غيرنا.

فقال (عليه السلام): فهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه، قالوا : فسأبقتنا! قال (عليه السلام): أنتمأ أسبق مني؟ قالوا: لا، فقرابتنا من النبي (صلى الله عليه وآله)! قال (عليه السلام): أقرب من قرابتي؟ قالوا : لا، فجهادنا، قال (عليه السلام): أعظم من جهادي؟ قالوا: لا، قال (عليه السلام): فو الله ما أنا في هذا المال و أجيري إلّا بمنزلة سواء^{٣٢٦}.

ج- المساواة أمام حكم الله تعالى:

لم يكن الإمام (عليه السلام) غافلا عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم و يفصل بالحق و العدل، إذ يعجز غيره، و ما أن استلم زمام امور الدولة؛ حتى ضرب أروع صنوف العدل و سلك أوضح سبل الحق مظهرها عدل الشريعة الإلهية و قدرة الإسلام على إقامة دولة تنعم بالحرية و الأمان و العدل.

و مواقف الإمام (عليه السلام) كثيرة و ما كان يتحرج أن يجرى القانون على نفسه و أهل

ص: ١٧٩

^{٣٢٤} (1) بحار الأنوار: 17 / 32 و 18.

^{٣٢٥} (1) نهج البلاغة: الخطبة (15).

^{٣٢٦} (2) بحار الأنوار: 116 / 41.

بيته وأصحابه، فقد ترفع مع اليهودى الى شريح القاضى ليفصل بينهم فى درع افتقده (عليه السلام)^{٣٢٧}.

وقد كانت أحكام الإمام فى فصل القضاء نابعة من عمق الشريعة وسعة علم الإمام بأمور الدين و الدنيا، و تدلّ على العصمة فى الفكر و العمل.

٢- التنظيم الإدارى و إعادة السيطرة المركزية للدولة:

فقد قام الإمام (عليه السلام) بإعفاء الولاة الذين عينهم عثمان من مناصبهم، و نصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمة، و هم محلّ ثقة المسلمين، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصارى بدلا عن عبد الله بن عامر الى البصرة، و على الكوفة أرسل عمار بن شهاب بدلا عن أبى موسى الأشعرى، و على اليمن عبيد الله بن عباس بدلا عن يعلى بن منبه، و على مصر قيس بن سعد بن عباد بدلا عن عبد الله بن سعد، و على الشام سهل بن حنيف بدلا من معاوية بن أبى سفيان، كلّ هذا لسوء سيرة الولاة السابقين و فساد إداراتهم حتى آخر لحظة، فقد استولى يعلى بن منبه على بيت مال اليمن و هرب به، و حرّك معاوية قوّة عسكرية لصدّ سهل بن حنيف عن ممارسة مهامّة الجديدة^{٣٢٨}.

و فى عملية اختيار الولاة الجدد كان الإمام (عليه السلام) دقيقا و موضوعيا و حريصا على تطبيق الشريعة الإسلامية بجهازه الإدارى الجديد، و قد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم و رفع معنوياتهم، إذ أشرّكهم فى الحكم، كما أنّ الإمام لم يكن مستعدّا لقبول الحلول المنحرفة أو أنصاف الحلول، فقد كان حازما فى اجتثاث الفساد، فقد رفض (عليه السلام) اقتراح إبقاء معاوية على الشام حتى يستقر حكم

ص: ١٨٠

الإمام ثمّ تنحيته فيما بعد^{٣٢٩}.

حاول الإمام فرض سيطرة الخلافة المركزية على ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية فيها عن البيعة، فدفع الراية الى ولده محمد بن الحنفية، و ولى عبد الله بن عباس على ميمنته و عمر بن أبى سلمة على الميسرة، و دعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح فجعله على مقدّمة الجيش، و خطب فى أهل المدينة و حتّم على القتال، و لكن حال دون التحرك وصول خبر خروج طلحة و الزبير على حكم الإمام الى البصرة بعد أن كانا قد اسأذناه فى الخروج للعمرة فأذن لهم، و كان قد حذرهم من نكث البيعة^{٣٣٠}.

محاور عمل الإمام (عليه السلام) فى الامة:

هناك دور مفروض فى الشريعة الإسلامية لشخصية يعزى شؤون الرسالة الإسلامية و ديمومتها فى الحياة و مقاومتها فى الصراع مع التيارات المختلفة بعد غياب النبى القائد (صلّى الله عليه و آله) و قد نصّت الشريعة على أنّ الإمام عليا (عليه السلام) و من بعده أبناءه هم المعنيون بذلك.

^{٣٢٧} (١) السنن الكبرى: 136 / 10، و تاريخ دمشق: 196 / 3، و قد وردت مواقف الإمام هذه فى عدّة مصادر منها الأغاني: 36 / 16، و البداية و النهاية: 4 / 8، و الكامل فى التاريخ: 399 / 3، و الصواعق المحرقة: 78.

^{٣٢٨} (٢) تاريخ الطبري: 462 / 3 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٣٢٩} (١) تاريخ الطبري: 461 / 3 و 462 ط مؤسسة الأعلمي، و البداية و النهاية: 255 / 7.

^{٣٣٠} (٢) تاريخ الطبري: 469 / 3.

و ممارسة دور الراعى و القائد لشؤون الرسالة تقتضى أن يتولّى الإمام المعصوم أعلى السلطات فى الدولة، و لكن بعد وفاء الرسول تدخلت عناصر غير مؤهلة لذلك فى ظرف معقد فاستولت على السلطة، و لم يكن ذلك ليمنع الإمام (عليه السلام) عن ممارسة دوره، و لكن طبيعة الصراع تقتضى تعدد الدور و تنوعه، فعمل الإمام علىّ (عليه السلام) على محورين فى محاولة منه لإصلاح انحراف الامة و المحافظة على عقائدها و مقدساتها:

المحور الأول: السعى لاستلام مقاليد الحكم و زمام التجربة، و النهوض بالامة

ص: ١٨١

فى الاستمرار بمسيرتها نحو هدفها السماوى الذى فرضه الله سبحانه و تعالى . و قد عمل الإمام على هذا المحور بعد وفاء النبىّ (صلّى الله عليه و آله) مباشرة، كما عبّر عن مسؤوليته تجاه هذا الأمر بقوله (عليه السلام): «لولا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم و لا سغب مظلوم؛ لألقيت حبلها على غاربها»^{٣٣١}.

فحاول الإمام (عليه السلام) تعبئة الامة، و لكنّه لم يتمكّن أن يصل الى حدّ إنجاح هذه المحاولة لأسباب منها :

١- عدم وعى الامة لرزية يوم السقيفة و ما جرى فيها من مؤامرات سياسية و توجّهات خاطئة كانت خافية على شريحة كبيرة من الامة.

٢- عدم فهم دور و مسؤوليّة الإمام و الإمامة، فقد تصوّروه مطلباً شخصياً و هدفاً فردياً، و لكن الحقيقة أن دخول الإمام فى مواجهة الحاكمين كان بوعى رسالى و إرادة صادقة لاستمرار الرسالة الاسلامية نقيه كما شرّعها الله بعيدة عن الزيف و الانحراف، و مضحياً بكلّ شىء من أجل ذلك حتى لو كان ذلك تعدياً على حقّه الشخصى، فالمقياس هو سلامة الرسالة و ديمومتها على اسس الحقّ و العدل الإلهى و هو القائل : «إعرف الحقّ تعرف أهله»^{٣٣٢} و قد قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله):

«علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ»^{٣٣٣}.

كما أن الامام عليا (عليه السلام) عمل بشمولية و على جميع المستويات موقفاً بين النظرية و التطبيق، فربّى أصحابه على أنّهم أصحاب الأهداف الرسالية لا أصحاب الأشخاص يميلون مع هذا الطرف أو ذاك، و نجد أن الإمام رفض أن يستلم الحكم بشرط السير بسيرة من قبله، إذ كانت تسيء الى الرسالة و المجتمع.

٣- الرواسب الجاهلية المتأصلة فى فكر الامة، فالعهد قريب و لم تدرك

ص: ١٨٢

^{٣٣١} (١) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

^{٣٣٢} (٢) بحار الأنوار: 6 / 179 ط الوفاء.

^{٣٣٣} (٣) راجع سنن الترمذي: 2 / 298 و تاريخ بغداد: 14 / 321.

الامة عمق الرسالة و الرسول و دور الإمام، فتصوّروا أنّ عهد النبيّ (صلى الله عليه و آله) بالوصاية للإمام (عليه السلام) مجرد عملية ترشيح لأحد أعضاء أسرته، و إنّّه قد يهدف لإحياء أمجاد اسرة متطلّعة للمجد و السلطان كما هو دأب غالب الحكّام قبل النبيّ (صلى الله عليه و آله) و بعده.

٤- دور المنافقين و أطماعهم فى زعزعة الاستقرار الأمنى و الاجتماعى، و محاولة إثارة النوازع و الأحقاد بين صفوف المسلمين، و تغلغلهم فى صفوف الجهاز الحاكم و الدولة و يزدادون توغّلا إذا كان الحاكم ضعيفا أو منحرفا.

٥- الأمراض النفسية لدى المتصدّين للزعامة، فكان الشعور بالنقص لديهم تجاه الإمام علىّ (عليه السلام) بدرجة عالية، حيث كان الإمام (عليه السلام) يمثّل تحديًا بوجوده، بصدقه، بجهاده، بصراحته، باستبساله و شبابه . (كما ورد فى كتاب معاوية لمحمد ابن أبى بكر)^{٣٣٤}.

المحور الثانى: و حين لم يفلح المحور الأوّل فى بلوغ هدفه عمل الإمام (عليه السلام) بمنهجية اخرى، ألا و هى تحصين الامة ضد الانهيار التامّ و إعطاؤها من المقوّمات القدر الكافى كى تتمكّن من البقاء صامدة فى مواجهة المحنة بعد استيلاء فئة غير كفوءة على السلطة و انحدار الامة عن جادة الحقّ و الصواب بسببها.

فاجتهد الإمام (عليه السلام) فى تعميق الرسالة فكرى و روحى و سياسى فى صفوف الامة، و تقديم الوجه الحقيقى للنظرية الإسلامية عبر أساليب منها:

١- التدخل الإيجابى فى عمل الزعامة المنحرفة بعد أن كانوا لا يحسنون مواجهة و معالجة القضايا الكثيرة البسيطة منها و المعقدة. و توجيههم نحو المسار الصحيح لإنقاذ الامة من مزيد الضياع، فكان دور الإمام (عليه السلام) دور الرقيب الرسمى الذى يتدخل لتقويم الأود.

و نجد الإمام يتدخل للردّ على شبهات المنكرين للرسالة بعد أن عجز

ص: ١٨٣

المتصدّى للزعامة عن ذلك، و نجده أيضا يتدخل ليعطى للخليفة نصائح عسكرية أو اقتصادية، و ما أكثر نصائحه و معالجاته القضائية^{٣٣٥}!

٢- توجيه مسار سياسة الخليفة و منعها من المزيد من الانحراف من خلال الوعظ و النصيحة، و بدا هذا الاسلوب جليًا فى عهد عثمان بن عفان حيث كان لا يقبل التوجيه و النصيحة.

٣- تقديم المثل الأعلى للإسلام و الصورة الحقيقية لطبيعة و شكل الحكم و المجتمع الإسلامى، و قد ظهر هذا واضحا فى فترة حكومة الإمام (عليه السلام)، و على هذا الأساس استند قبول الإمام للحكم بعد أن رفضه، فقد مارس دور القائد السياسى المحنك و الحاكم العادل و نموذج الإنسان الذى صاغته الرسالة الإسلامية و كان مثالا يحتذى به لبلوغ هدف الرسالة، فهو المعصوم عن الخطأ و الزلل و الدنس فى الفكر و العمل و السيرة.

^{٣٣٤} (١) وقعة صفين: 119.
^{٣٣٥} (١) تاريخ اليعقوبى: 2/ 133، 145.

٤- تربية و بناء ثلّة صالحة من المسلمين تعين الإمام (عليه السّلام) في حركته الإصلاحية و التغييرية، و ذلك عبر تحركها في وسط الامّة لإنضاج أفكارها و توسيع قاعدة الفئة الواعية الصالحة، و تستمر في مسيرها عبر التأريخ لتتواصل الأجيال اللاحقة في العمل وفق النهج الإسلامي^{٣٣٦}.

٥- إحياء سنّة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و التنبيه عليها و تدوينها و الاهتمام بالقرآن تلاوة و حفظا و تفسيراً و تدويناً، إذ هما عماد الشريعة، و لا بدّ أن تدرك الامّة حقائق القرآن و السنّة كما شرّعت و كما اريد لها أن تفهمها.

الثقافة الإسلامية في حكم الخلفاء^{٣٣٧}:

من أخطر المشاكل التي تواجهها الرسالات و العقائد هو تصدّي الفئات

ص: ١٨٤

العاجزة و الفارغة فكرياً للدفاع عنها أو تطبيقها، و حين يتعرّض المتصدّون للزعامة للاختبار لمعرفة رأي الرسالة و مدى علمهم بها فإن سكوتهم أو اختلافهم سيزرع شكّاً لدى الجماهير و يزعزع ثقتهم بالرسالة و مقدرتها على مجاراة الحياة، و من ثمّ يتحوّل الشكّ الى حالة مرضية تجعل الامّة تتقاعس عن التفاعل مع الرسالة أو الدفاع عنها في معترك الصراعات و خضمّ الأزمات، و من هنا نجد تصدّي النبيّ (صلى الله عليه و آله) لكلّ قضية غامضة أو مجهولة تبدو هنا أو هناك في حياة الامّة حيث يعطى الموقف الواضح للرسالة منها، كما ترى ذلك جليّاً في سيرة الإمام عليّ (عليه السّلام) من بعده خلال حكم الخلفاء الثلاثة حين كان يظهر للناس عجزهم و قصورهم العلمي و العملي، إذ فسخ (عليه السّلام) المجال إلى أقصاه للبحث و السؤال عندما تسلم زمام الحكم.

و حين أدركت الفئة الحاكمة أنّها ليست المؤهلة للحكم و أنّها قاصرة علمياً؛ اتّخذت عدّة إجراءات لمعالجة هذه المثالب منها:

١- منع نشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما فيها من التوجيه العلمي و البعث نحو الوعي و الفاعلية في الحياة، إضافة إلى أنّ أحاديث الرسول تعلن بوضوح أنّ أهل البيت هم المعنّون بالخلافة و شؤون الرسالة دون من عداهم، و من هنا نعلم السرّ في رفع شعار «حسبنا كتاب الله» الذي تحدّى قائله به رسول الله (صلى الله عليه و آله) في مرضه عندما أراد أن يدوّن كتاباً لن تضلّ الامّة من بعده.

و يبدو أنّ ظاهرة تحديد أو منع نشر أحاديث النبيّ بدّأت قبل هذا التأريخ، و ذلك عندما منعت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص من كتابة الأحاديث^{٣٣٨}، كما قامت السلطة الحاكمة بحرق الكتب التي تضمّنت نصوصاً من أحاديث الرسول^{٣٣٩}.

ص: ١٨٥

^{٣٣٦} (٢) أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف للشهيد السيد محمّد باقر الصدر: 59- 69.

^{٣٣٧} (*) للمزيد من التفصيل راجع معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: 2/ 43.

^{٣٣٨} (١) سنن الدارمي: 1/ 125، و سنن أبي داود: 2/ 262، و مسند أحمد: 2/ 162 و تذكرة الحفاظ: 1/ 2.

^{٣٣٩} (٢) طبقات ابن سعد: 5/ 140 ط. بيروت.

٢- إن ظاهرة النهي عن السؤال عما لا يعلم من معاني الآيات القرآنية تعني تجريد الأمة من سلاح البحث والتحقيق والتعلم للقرآن نفسه بعد عزل السنة عن القرآن، والاهتمام بظواهر القرآن من دون فسخ المجال للتدبر والتفقه في آياته وأحكامه حتى أوصى عمر عماله قائلاً: «جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد وأنا شريككم». بل إنه عاقب كل من يسأل عن تفسير آيات القرآن^{٣٤٠}.

٣- فتح باب الاجتهاد في مقابل النص، فقد اجتهد أبو بكر في جملة من الأحكام من دون أن يستند إلى نص قرآني أو حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ذلك مصادرة تركه النبي ومنع أهل البيت من حقهم في الخمس، وإحراقه الفجاءة السلمي^{٣٤١} وفتواه في مسألة الكلاله^{٣٤٢} وفتواه في إرث الجدة^{٣٤٣}، كما اجتهد عمر بن الخطاب في التمييز في العطاء خلافاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)^{٣٤٤} واجتهد في منع متعتي الحج والنساء وغيرها مما تجده في كتاب (النص والاجتهاد)^{٣٤٥}، وقد اجتهد عثمان بن عفان في إسقاط القود عن عبيد الله بن عمر^{٣٤٦} وتاول في جملة من الأحكام الصريحة خلافاً لما قرره رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ثار عليه المسلمون كما عرفت.

كل هذه الأمور وغيرها أثارت للدولة الإسلامية وللأمة المسلمة الكثير من المصاعب والمصائب التي كانت السبب الرئيس في انحراف المسيرة المقررة للرسالة الإسلامية ووقوع الكثيرين في شباك الفتن والضلالة حتى قال الإمام

ص: ١٨٦

علي (عليه السلام) عن ذلك:

«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله، فلو أن الباطل خلع من مزاج الحق؛ لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلع من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فهناك يستولى الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»^{٣٤٧}.

جهود الإمام (عليه السلام) في إحياء الشريعة الإسلامية:

كان الإمام علي (عليه السلام) يرى أن من أوليات مهامه بعد غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو صيانة الشريعة المقدسة من الزيغ والانحراف ورعاية شؤون الدولة الإسلامية حتى تستمر من دون تلكؤ أو توقف، وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء متغاضياً بمرارة وألم عن حقه في إدارة شؤون الأمة مباشرة، وما أن أمسك زمام الحكم؛ حتى خطا خطوات عظيمة في إحياء سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي الدعوة إلى الحياة في ظلها، و

^{٣٤٠} (1) تاريخ ابن كثير: 107/8، و سنن الدارمي: 54/1، و تفسير الطبري: 38/3 و الإتيان للسيوطي: 115/1.

^{٣٤١} (2) تاريخ الطبري: 2/448 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٣٤٢} (3) سنن الدارمي: 2/365، و السنن الكبرى للبيهقي: 6/223.

^{٣٤٣} (4) سنن الدارمي: 2/359، و اسد الغابة: 3/299.

^{٣٤٤} (5) فتوح البلدان: ص 55، و تاريخ الخلفاء للسيوطي: 136.

^{٣٤٥} (6) كنز العمال: 16/519 الحديث 45715، و زاد المعاد لابن القيم: 2/205.

^{٣٤٦} (7) راجع منهاج السنة لابن تيمية: 3/193، و هناك اجتهادات كثيرة للخلفاء تذكرها كتب التاريخ.

^{٣٤٧} (1) نهج البلاغة: الخطبة (50).

اهتم اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم و تفسيره و تربيّة الامّة و إصلاح الفساد أينما وجد، و يمكننا أن نلاحظ الخطوات التي قام بها الإمام عليّ (عليه السّلام) كما يلي:

١- فتح باب الحوار و السؤال عن القرآن و السنّة و كلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة و بصورة علنية و عامّة من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفيه و أعدائه الحاقدين عليه .

٢- الاهتمام بالقرّاء مراعيًا لشؤونهم و متّبعًا فيهم سنّة الرسول (صلّى الله عليه و آله) في التعليم، فكان تعليم قراءة القرآن مقرونا بتعلّم و معرفة ما فيه من العلم و العمل و التفقّه في أحكام الدين.

ص: ١٨٧

٣- الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لا يحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام^{٣٤٨}.

٤- دعا الإمام (عليه السّلام) الى رواية السنّة النبوية و تدوينها و مدارسها، فكان يقول : «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ»^{٣٤٩} و أمر (عليه السّلام) بالبحث في علوم السنّة فيقول: «تزاوروا و تدارسوا الحديث و لا تتركوه يدرس»^{٣٥٠}.

٥- ركّز الإمام على مصدرية القرآن و السنّة في التشريع و الأحكام، و أدان المصادر الاخرى كالاستحسان و القياس و غيرهما ممّا لا يكون مصدرا شرعيا للأحكام الإلهية^{٣٥١}.

كما أنّ الإمام (عليه السّلام) أحيى سنّة رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في سيرته العبادية و الأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهداد و إبداع من سبقه من الخلفاء^{٣٥٢}.

٦- استطاع الإمام أن يبني ثلّة صالحة من المؤمنين تتحرّك في المجتمع الإسلامي للمساهمة في قيادة التجربة الإسلامية و المحافظة على المجتمع الاسلامي.

و يبدو أنّ الإمام عليّا (عليه السّلام) بدأ عمليا في هذا المسار منذ حياة الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و آله) و بأمر منه، فنجد أنّ النبيّ كان يوكل مهمّة تعهّد و رعاية من يجد فيهم الرغبة و الوعي في التحرك الإسلامي الى الإمام عليّ (عليه السّلام)، و كان (صلّى الله عليه و آله) يحثّ على

ص: ١٨٨

^{٣٤٨} (١) الأغاني: 13/ 12، الفهرست لابن النديم: 59، وفيات الأعيان: 2/ 216، و البداية و النهاية: 8/ 312.

^{٣٤٩} (٢) الطبقات الكبرى: 6/ 186، و تدوين السنّة الشريفة للسيد الجلال: 137.

^{٣٥٠} (٣) كنز العمال: 10 حديث 29522.

^{٣٥١} (٤) نهج البلاغة: الخطبة (125).

^{٣٥٢} (٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة التراويح، و مسند أحمد: 5/ 406، و صحيح البخاري: كتاب الخمس:

باب 5/ حديث 2944، و سنن أبي داود: 2/ حديث 1622.

التمسك في العمل بخط عليّ حتى تكوّنت جماعة عرفت بشيعة عليّ في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) مثل: عمار بن ياسر، و سلمان الفارسي، و أبي ذر، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و المقداد بن الأسود، و عبد الله بن عباس، ممن ثبتوا على هذا الخط رغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها التجربة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

و حين استلم أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة؛ احتفت به جماعة من المؤمنين الأوفياء الأشداء، فازداد الإمام (عليه السلام) اعتناء بهم و أعدّهم إعدادا رساليا خاصا، و أودعهم علوما شتى في مختلف نواحي الحياة، و قام هؤلاء الصحابة الأجلّاء بدورهم في دعم الرسالة الإسلامية و مساندة الإمامة و المحافظة على الشريعة من الزيغ و الانحراف و الاندثار، فكانت مواقفهم رائعة و بطولية مقابل الحكّام الطواغيت و المتسلّطين بغير حقّ على أمور المسلمين، و من هؤلاء : مالك الأشتر، كميل بن زياد النخعي، محمد بن أبي بكر، حجر بن عدى، عمرو بن الحمق الخزاعي، صعصعة بن صوحان العبدي، رشيد الهجري، هاشم المرقال، قنبر، سهل ابن حنيف و غيرهم.

ص: ١٨٩

الفصل الثاني الإمام على (عليه السلام) مع الناكثين^{٣٥٣}

مشيروا الفتن:

كانت بيعة الناس لأمر المؤمنين (عليه السلام) بمنزلة صاعقة حلّت بقريش و كلّ من يكنّ العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أذلت الظلم و العدوان و البغي، و جاءت بالعدل و المساواة و الحقّ و الفضيلة، و حطّمت المصالح الاقتصادية القائمة على الربا و الاحتكار و الاستغلال، فعزّ على كثير من كبار قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مواطن آخر من أيّ فئة كانت في حكومة الإمام علىّ (عليه السلام) الذي طالت إصلاحاته ولاة عثمان.

و قد كان كلّ من طلحة و الزبير يرى نفسه قرينا لأمر المؤمنين (عليه السلام)، بعد ما رشّحهما عمر للخلافة فكان يتوقّع كلّ منهما أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية على أقلّ تقدير، و كان لعائشة المقام المرموق لدى الخلفاء السابقين حيث كانت تتحدّث كما تشاء، و هي الآن تعلم أن لا مجال لها في حكومة تعتمد القرآن و السنّة مصدرا و دستورا للتشريع و التنفيذ.

و كان معاوية يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرد و الطامع في السيادة الإسلامية العظمى جادا في تولّي أمور الامة الإسلامية بصورة تامّة، فكانت المفاجأة لجميع هؤلاء بقرارات الإمام و تخطيطه للإصلاح الشامل إضافة الى

ص: ١٩٠

تضرّر مجموعة أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان و هي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها، فإنّ وجود الإمام في قمة السلطة كان يعدّ تهديدا صارخا للخطّ القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش، لأنّ الإمام عليّا (عليه السلام) قد

^{٣٥٣} (*) وقعت معركة الجمل في جمادى الآخرة عام (36) هـ.

عرف بأنّه القادر على رفع راية الإسلام الحق من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ولهذا فهو سيكشف زيف الخط المنحرف دون تردد.

من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، ولم يكن تقلب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للاتجاه الصحيح لمسيرة الحكومة الإسلامية غريبا على الإمام عليّ (عليه السلام)؛ فقد أخبره النبي (صلى الله عليه وآله) بتمرد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم كما أنّه قد سمّاهم له بالناكثين والقاسطين والمارقين^{٣٥٤}.

عائشة تعلن التمرد:

كان موقف السيدة عائشة من عثمان غريبا متناقضا لا يليق بمقام امرأة تعدّ من نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، فكانت تردد قولها: «اقتلوا نعثلا»، وتحرّض الناس على التمرد عليه وعلى قتله^{٣٥٥}، وقد خرجت من المدينة الى مكة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوار وهي تتوقع النهاية السريعة لعثمان، ومن ثمّ فوز قريبتها طلحة بالخلافة، والاستيلاء على الحكم.

و حين فوجئت بأن الأمر قد استقرّ - بعد بيعته الناس الى الإمام عليّ (عليه السلام)، كرّرت راجعة نحو مكة بعد أن كانت قد عزمّت على الرجوع الى المدينة^{٣٥٦}، وأعلنت حزنها وتظلمها على عثمان، فقيل لها: أنت التي حرّضت على قتله

ص: ١٩١

فاختلفت عذرا واهيا، فقالت: إنهم استتابوه ثمّ قتلوه^{٣٥٧}. وكأنّها كانت حاضرة تشهد مقتله.

و أعلنت السيدة عائشة حربها ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) في خطابها الذي ألقته في مكة محرّضة أتباعها على الحرب^{٣٥٨}.

و طمعت السيدة عائشة في توسيع جبهته ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) فحاولت مخادعة أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) للخروج معهنّ ضدّ الإمام، فامتنعن من ذلك، و حاولت أمّ سلمة أن تنصحبها عسى أن ترجع عن غيها، و تجنّب الامة البلاء و الدماء، فقالت لها: إنك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عندك إلا نعثلا، و إنك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أفأذكرك؟ قالت أمّ سلمة: أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) و نحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه، فأطال فأردت أن عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكبة، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنني هجمت عليهما و هما يتناجيان، فقلت لعلّي: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب و يومي؟ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ و هو غضبان محمرّ الوجه، فقال: «ارجعي وراءك و الله لا يبيغضه

^{٣٥٤} (1) مستدرك الحاكم: 3/ 139، و تاريخ بغداد: 8/ 340، و مجمع الزوائد: 9/ 235، و كنز العمال: 6/ 82.

^{٣٥٥} (2) شرح ابن أبي الحديد: 6/ 215، و كشف الغمة: 3/ 323.

^{٣٥٦} (3) الكامل في التاريخ: 3/ 206.

^{٣٥٧} (1) الكامل في التاريخ: 3/ 206.

^{٣٥٨} (2) تاريخ الطبري: 3/ 474.

أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلّا و هو خارج من الإيمان »، فرجعت نادمة ساخطة، قالت عائشة: نعم أذكر ذلك، قالت أم سلمة: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس، و أرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت أم سلمة: أنت و رأيك، فانصرفت عائشة عنها^{٣٥٩}.

و روى: أنّ نساء النبيّ (صلى الله عليه و آله) خرجن مع عائشة الى منطقة «ذات عرق»

ص: ١٩٢

و يبدو أنّهنّ حاولن إرجاع عائشة الى المدينة و الحيلولة دون وقوع الفتنة، فلم يتوصّلن إلى حلّ فبكين على الإسلام و بكى الناس معهنّ، و سمى ذلك اليوم ب «يوم النحيب»^{٣٦٠}.

مكر معاوية و نكت الزبير و طلحة للبيعة:

كان معاوية يتمتّع بسيطرة إدارية على شؤون الشام، و لديه أجهزة يستطيع بها أن يحركها وفق رغباته و أهوائه، و ما كانت لديه مشكلة مع جماهير الشام لأنّ بلاد الشام منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان ولاة عليها من قبل الخليفة، فقبله كان أخوه يزيد واليا عليها، كما أنّ بلاد الشام بعيدة عن عاصمة الخلافة ممّا أعطاه قدرا كافيا من الاستقرار و القوة . و بدأ معاوية تحرّكه السياسى لتأجيج الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان، و من ثمّ ليستثمرها لصالحه، فخاطب الزبير و طلحة بصيغة تحرّك فيهما الأطماع و الرغبات للدخول فى الصراع الجدىّ ضدّ الإمام (عليه السّلام) فتزداد الفتنة فى العاصمة المركزية. فكتب رسالة الى الزبير جاء فيها:

لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان .. سلام عليك، أمّا بعد، فإنّى قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا و استوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة و البصرة لا يسبقك إليها ابن أبى طالب، فإنّه لا شىء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان و ادعوا الناس الى ذلك، و ليكن منكما الجدّ و التشمير، أظفركما الله و خذل منائكما^{٣٦١}.

و لمّا وصلت رسالة معاوية إلى الزبير؛ خفّ لها طربا و اطمأنّ الى صدق نيّة معاوية، و اتفق هو و طلحة على نكت بيعة الإمام و الخروج عليه، فأظهرا الحسرة

ص: ١٩٣

و التأسّف على بيعتهما للإمام مردّدين : بايعنا مكرهين، و ما أن وصلت الى أسماعهما صيحة السيدة عائشة محرّضة على الإمام؛ حتى اجتهدا فى إيجاد الحيلة للخروج إليها . و روى أنّهما جاءا يطلبان من الإمام المشاركة فى الحكم فلم يتوصّلا إلى شىء، فقرّرا الالتحاق بعائشة ثمّ عادا ثانية إلى الإمام (عليه السّلام) ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما الإمام (عليه

^{٣٥٩} (3) شرح النهج لابن أبي الحديد: 6/ 217، و بحار الأنوار: 32/ 149.

^{٣٦٠} (1) الكامل فى التاريخ: 3/ 209.

^{٣٦١} (2) شرح النهج لابن أبي الحديد: 1/ 231.

السَّلام): نعم و الله ما العمره تريدان و إنما تريدان أن تمضيا لشأنكما ^{٣٦٢}. و روى أنه (عليه السَّلام) قال لهما: بل تريدان الغدرة ^{٣٦٣}.

لقد أجمع رأى الخارجين على بيعه الإمام (عليه السَّلام) فى بيت عائشة فى مكّة بعد أن كانوا متنافرين متحاربين فى عهد عثمان، فضمّ الاجتماع الزبير و طلحة و مروان بن الحكم على أن يتخذوا من دم عثمان شعارا لتعبئة الناس لمحاربة الإمام علىّ (عليه السَّلام)، فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمردّ و العصيان، و أنّ الإمام عليّا (عليه السَّلام) هو المسؤول عن إراقة دم عثمان، لأنّه آوى قتلته و لم يقتصّ منهم، و قرّروا أن يكون زحفهم نحو البصرة و احتلالها و اتّخاذها مركزا للتحركّ و منطلقا للحرب، حيث أنّ معاوية يسيطر على الشام، و المدينة لا زالت تعيش حالة الاضطراب ^{٣٦٤}.

حركة عائشة و مسيرها نحو البصرة:

مضت عائشة فى خطّتها لإثارة الفتنة و الدخول فى المواجهة المسلّحة مع الإمام علىّ (عليه السَّلام) الخليفة الشرعى، فحشدت أعدادا من الناس يدفعهم الحقد و الكراهية للإسلام و للإمام علىّ (عليه السَّلام) و يحذوهم الطمع بالدنيا و نيل السلطان، و جهّزهم يعلى بن منية بمستلزمات الحرب من السيوف و الإبل التى سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها، و قدم عليهم عبد الله بن عامر بمال كثير من البصرة

ص: ١٩٤

سرقه أيضا ^{٣٦٥}. و جهّزوا لعائشة جملها المسمّى (عسكر) و قد احتفّ بها بنو اميّة و هى تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجّهين نحو البصرة، تسبقهم كتبهم التى أرسلوها الى عدد من وجوه البصرة، يدعونهم فيها للخروج على بيعه الإمام (عليه السَّلام) بدعوى المطالبة بدم عثمان ^{٣٦٦}.

و بدرت سمّة المكر و الخداع - التى تكاد تكون ملازمة لكلّ من ناوأ الإمام عليّا (عليه السَّلام) - من زعماء الفتنة، فلمّا خرجوا من مكّة أذن مروان بن الحكم للصلاة، ثمّ جاء حتّى وقف على طلحة و الزبير محاولا إثارة الواقعة بين الرجلين و غرس فتنة ليستغلّها إن تمكّن من الأمر، فقال : على أيّكما اسلم بالإمرة و أؤدّن بالصلاة، فتنافس أتباع الرجلين كلّ يريد تقديم صاحبه، فأحسّت عائشة بوقوع التفرقة فأرسلت أن يصلّى بالناس ابن اختها عبد الله بن الزبير.

و حين وصل جيش عائشة الى منطقة «أوطاس»؛ لقيهم سعيد بن العاص و المغيرة بن شعبة، و حين علم سعيد بدعوى عائشة «الطلب بدم عثمان» استهزأ ضاحكا و قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أمّ المؤمنين ^{٣٦٧}!.

و روى: أنّ سعيدا قال: أين تذهبون و تتركون ثأركم وراءكم على أعجاز الإبل ^{٣٦٨}؟!، يقصد بذلك طلحة و الزبير و عائشة، و وصل الجيش الى مكان يقال له:

^{٣٦٢} (1) الإمامة و السياسة لابن قتيبة 70.

^{٣٦٣} (2) شرح النهج: 1/ 232.

^{٣٦٤} (3) تاريخ الطبري: 3/ 471 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٣٦٥} (1) الإمامة و السياسة: 79، و الكامل فى التاريخ 3/ 207.

^{٣٦٦} (2) الإمامة و السياسة: 80، الكامل فى التاريخ 3/ 210.

^{٣٦٧} (3) الإمامة و السياسة: 82.

«الحوأب» فتلقّتهم كلاب الحىّ بنباح و عواء، فذعرت عائشة و سألت محمد بن طلحة عن المكان فقالت : أى ماء هذا؟ فأجابها: ماء الحوأب يا أمّ المؤمنين ..

فهلعت و صرخت : ما أرانى إلّا راجعة، قال : لم، قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول لنسائه : كائى بإحداكنّ قد نبهها كلاب الحوأب و إياك أن تكونى يا

ص:١٩٥

حميراء^{٣٦٩}. ثمّ ضربت عضد بغيرها فأناخته و قالت : ردّونى، أنا و الله صاحبة ماء الحوأب، فأنأخوا حولها يوما و ليلة، و جاءها عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله أنّه ليس ماء الحوأب، و أتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك^{٣٧٠}. فكانت أول شهادة زور فى الإسلام.

مناوشات على مشارف البصرة:

حين شارف جيش عائشة مدينة البصرة؛ قام عثمان بن حنيف والى الإمام (عليه السلام) على البصرة موضّحاً أمر الجيش المتقدم إليهم، و محذّراً الناس من الفتنة و بطلان و ضلالة موقف زعماء الجيش، و أعلن المخلصون للإسلام و للإمام (عليه السلام) استعدادهم للدفاع عن الحقّ و الشريعة المقدّسة و صدّ الناكثين عن الاستيلاء على البصرة^{٣٧١}.

و فى محاولة من عثمان بن حنيف - الذى يتأسّى بأخلاق الإسلام و يطيع إمامه (عليه السلام) - سعى أن يثنى عائشة و من معها من غيهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين و أبا الأسود الدؤلى ليحاجبوا عائشة و من معها ببطلان موقفهم، و لكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة و معها طلحة و الزبير مصرّين على نيتهم فى إثارة الفتنة و إعلان الحرب^{٣٧٢}.

و أقبلت عائشة و من معها حتى انتهوا إلى «المربد» فدخلوا من أعلاه و خرج إليهم عثمان بن حنيف و من معه من أهل البصرة، فتكلّم طلحة و الزبير و عائشة يحرضون الناس على الخروج على بيعة الإمام (عليه السلام) بدعوى الثأر لعثمان، فاختلف

ص:١٩٦

الناس بين معارض و مؤيد.

و أقبل جارية بن قدامة السعدى لينصح عائشة عسى أن يردّها عن تأجيج الفتنة، فقال : يا أمّ المؤمنين! و الله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر و حرمة

^{٣٦٨} (4) الكامل فى التاريخ 3/ 209.

^{٣٦٩} (1) الإمامة و السياسة: 82، و أخرج الحديث أحمد فى مسنده 6/ 521، و شرح النهج لابن أبى الحديد: 497/2.

^{٣٧٠} (2) الإمامة و السياسة: 82، مروج الذهب: 2/ 395.

^{٣٧١} (3) الإمامة و السياسة: 83.

^{٣٧٢} (4) تاريخ الطبري: 3/ 479 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل فى التاريخ 3/ 211.

فهتكت سترك و أبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك؛ فإنه يرى قتلك، لئن كنت أتيتنا طائعةً فارجعي الى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهه فاستعيني بالناس^{٣٧٣}.

الاقتال - الهدنة - الغدر:

افتتن الناس بقدوم عائشة على البصرة، فبين منكر و مؤيد و مصدق و مكذب افتترقت جماهير البصرة، و تأزّم الموقف، فاصطدم الناس و اقتتلوا على فم السكة، و لم يحجز بينهم إلّا الليل، و كان عثمان بن حنيف لا يريد إراقة الدماء و يجنح للسلم و ينتظر قدوم الإمام علىّ (عليه السلام) الى البصرة، فلمّا عضّت الحرب الطرفين؛ تنادوا للصالح، فكتبوا كتابا لعقد هدنة مؤقتة على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة و الزبير اكرها على البيعة؛ خرج ابن حنيف عن البصرة، و إلّا خرج عنها طلحة و الزبير^{٣٧٤}.

و عاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء اسامة بن زيد أن طلحة و الزبير بايعا مكرهين و مخالفة أهل المدينة لرأى اسامة فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلة ذات رياح و مطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه و أسرّوا و تنفوا لحيته و رأسه و حاجبيه، و لكنهم خافوا من قتله لأنّ أخاه سهل بن حنيف والي الإمام على المدينة^{٣٧٥}.

ص: ١٩٧

حركة الإمام (عليه السلام) للقضاء على التمرّد^{٣٧٦}:

حين استلم الإمام علىّ (عليه السلام) زمام الحكم كانت هناك عقبة أمام استقرار الأمن و سيطرة الحكومة الشرعية المركزية، و هي إعلان معاوية بن أبي سفيان تمرّده على خلافة الإمام، فشرع (عليه السلام) بالاستعداد العسكري و السياسي لإيقاف التمزّق في كيان الامّة و منع سفك الدماء.

و ما أن احيط الإمام (عليه السلام) علما بحركة عائشة و طلحة و الزبير نحو البص رة و إعلانهم العصيان عدل عمّا كان يخطّط لمعالجة موقف معاوية و الشام، فاتّجه (عليه السلام) نحو البصرة بجيش يضمّ وجوه المهاجرين و الأنصار.

وصل الإمام (عليه السلام) الى منطقة «الربذة» فكتب الى الأمصار يستمدّ العون و يوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة و حصرها في أضيق نطاق، فأرسل الى الكوفة محمد بن أبي بكر و محمد بن جعفر، فأبى أبو موسى الأشعري الاستجابة للإمام و مارس دور المثبّط عن مناصرة الإمام (عليه السلام) في موقفه، ثمّ أرسل عبد الله بن عباس و لم يتمكّن من إقناع أبي موسى بالانصياع و الكفّ عن تشبّط الناس عن نصره الإمام، فأرسل (عليه السلام) ولده الحسن و عمار بن ياسر ثمّ تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أبا موسى، و تحرّكت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلحقّت به في «ذى قار».

^{٣٧٣} (1) تاريخ الطبري: 482 / 3 ط مؤسسة الأعلمي، و الكامل في التاريخ 3 / 213.

^{٣٧٤} (2) الإمامة و السياسة: 87، و الطبري: 483 / 3 و 484 ط مؤسسة الأعلمي، و راجع اللّهمل في التاريخ: 3 / 215.

^{٣٧٥} (3) الإمامة و السياسة: 89، و تاريخ الطبري: 484 / 3 ط مؤسسة الأعلمي، و مروج الذهب للمسعودي

367 / 2.

^{٣٧٦} (1) الإمامة و السياسة: 74، و تاريخ الطبري: 507 / 5.

و فى هذا الأثناء لم يتوقف الإمام (عليه السلام) فى مراسلة طلحة و الزبير و إيفاد الرسل إليهم، عسى أن يعودوا لرشدهم و يدركوا خطورة فتنهم فيجئوا الامة المصائب و البلايا و سفك الدماء، فأوفد الى عائشة زيد بن صوحان و عبد الله بن عباس و غيرهما، فحاوروهم بالحجة و الدليل و العقل حتى أن عائشة قالت لابن

ص: ١٩٨

عباس: لا طاقة لى بحجج على، فقال ابن عباس: لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق^{٣٧٧}؟!

آخر النصائح:

أكثر الإمام (عليه السلام) من مراسلة طلحة و الزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة و من معها من اقتناع قادتها و جموع الناس معها بحجج الإمام (عليه السلام)؛ فخرجوا لملاقاته، فلما توقفوا للقتال أمر الإمام (عليه السلام) مناديا ينادى فى أصحابه: لا يرمين أحد سهما و لا حجرا و لا يطعن برمح حتى اعذر القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة^{٣٧٨}.

فلم يجد الإمام (عليه السلام) منهم إلّا الإصرار على الحرب، ثم خرج الإمام (عليه السلام) الى الزبير و طلحة فوقفوا ما بين الصفيين، فقال الإمام (عليه السلام) لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله و لا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكم ا فى دينكما؟ تحرمانى دمي و احرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟

ثم قال (عليه السلام) لطلحة: أجنث بعرس رسول الله (صلى الله عليه و آله) تقاتل بها و خبأت عرسك فى البيت؟ ! أما بايعتنى؟ ثم قال (عليه السلام) للزبير: قد كنا نعدك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبد الله ففرق بيننا، ثم قال (عليه السلام): أتذكر يا زبير يوم مرت مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى بنى غنم، فنظر إلى فضحك و ضحكك إليه فقلت له: لا يدع ابن أبى طالب زهوه، فقال لك رسول الله (صلى الله عليه و آله): ليس بمزه - أى: ليس به زهو - لتقاتله و أنت له ظالم؟! قال الزبير:

اللهم نعم.

و روى: أن الزبير اعتزل الحرب و قتل بعيدا عن ساحة الحرب بعد أن

ص: ١٩٩

استعرت الفتنة^{٣٧٩}. كما أن طلحة قتله مروان بن الحكم فى ساحة المعركة^{٣٨٠}.

نشوب المعركة:

^{٣٧٧} (1) الإمامة و السياسة: 90، و بحار الانوار: 32 / 122.
^{٣٧٨} (2) الإمامة و السياسة: 91، و مروج الذهب: 2 / 270.
^{٣٧٩} (1) الإمامة و السياسة: 91، و مروج الذهب: 2 / 270.
^{٣٨٠} (2) الطبقات الكبرى: 3 / 158، و الإمامة و السياسة: 97.

كان الإمام (عليه السلام) طامحا حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يردع الناكثون عن غيهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال (عليه السلام) لأصحابه: «لا يرمين رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحداكم فيهم برمح حتى يحدث إليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال و القتل»^{٣٨١}.

و شرع أصحاب الجمل بالرمي فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثم قتل ثان و ثالث، عندها أذن (عليه السلام)^{٣٨٢} بالرد عليهم و الدفاع عن الحق و العدل.

النجم الجيشان يقتتلان قتالا رهيبا، فتساقطت الرؤوس و تقطعت الأيادي و انثخت الجراحات في الفريقين، و وقف أمير المؤمنين ليشرف على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادى بأعلى صوته : «ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان ...».

فهجم الإمام (عليه السلام) و أصحابه حتى وصلوا الجمل فعقروه، ففر من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر (عليه السلام) بعد ذلك بحرق الجمل و تذرية رماده في الهواء لئلا تبقى منه بقية يفتتن بها السذج و البسطاء، ثم قال الإمام (عليه السلام):

لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بنى اسرائيل.

و مدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى : .. وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا^{٣٨٣}.

ص: ٢٠٠

مواقف الإمام بعد المعركة:

كتب الله النصر لأمير المؤمنين (عليه السلام) على مخالفيه، و وضعت الحرب أوزارها، و انقشع غبار المعركة، و نادى منادى الإمام (عليه السلام) يعلن العفو العام: ألا لا يجهز على جريح و لا يتبع مول و لا يطعن في وجه مدبر، و من ألقى السلاح فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و أن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلا ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره مما استخدم في القتال، و ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم^{٣٨٤}.

و أمر الإمام عليّ (عليه السلام) محمد بن أبي بكر و عمار بن ياسر أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى وسط ساحة المعركة و ينحوه جانبا، و أن يتعهد محمد أمر اخته عائشة، فلما كان من آخر الليل أدخلها محمد البصرة فأنزلها في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي.

^{٣٨١} (3) شرح النهج: 111 / 9.

^{٣٨٢} (4) الإمامة و السياسة: 95.

^{٣٨٣} (5) طه (20): 97.

^{٣٨٤} (1) تاريخ اليعقوبي: 172 / 2، و مروج الذهب: 371 / 2.

و طاف الإمام (عليه السلام) في القتلَى من أصحاب الجمل، و كان يخاطب كلّاً منهم و يكرّر القول : قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً.

و قال أيضاً: ما ألوم اليوم من كفّ عنّا و عن غيرنا و لكنّ المليم الذي يقاتلنا^{٣٨٥}.

و أقام الإمام (عليه السلام) في ظاهر البصرة و لم يدخلها، و أذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوا^{٣٨٦}، ثمّ دخل (عليه السلام) مدينة البصرة معقل الناكثين، فانتهى الى المسجد فصلّى فيه ثمّ خطب في الناس و ذكرهم بمواقفهم و مواقف الناكثين لبيعتهم، فناشدوه الصفح و العفو عنهم، فقال (عليه السلام): «قد عفوت عنكم، فإياكم و الفتنة، فإنكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، و شقّ عصا هذه الأمّة». ثمّ أقبلت الجماهير

ص: ٢٠١

و وجوه الناس لمبايعة الإمام (عليه السلام)^{٣٨٧}.

و بعد ذلك دخل أمير المؤمنين بيت المال في البصرة، فلمّا رأى كثرة المال قال: «غرّى غيرى...» و كرّرها مراراً، و أمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلّ فرد منهم خمسمائة درهم، و أخذ هو كأحدهم، و لم يبق شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الوقعة يطالب بحصّته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه و لم يصب شيئاً^{٣٨٨}.

ثمّ أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشة و تسريحها الى المدينة، و أرسل معها أخاها و عدداً من النساء ألبسهنّ العمام و قلّدهن السيوف لرعاية شؤونها و أوصلنها الى المدينة، و لكنّ عائشة لم تحسن الظنّ بأمر المؤمنين و تصوّرت أنّ الإمام لم يرع حرمتها، و ما أن علمت أنّ الإمام (عليه السلام) بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها و فشلها و إثارتها للفتنة، فكانت تكثر من البكاء^{٣٨٩}.

نتائج حرب الجمل:

خلّفت حرب الجمل نتائج سلبية على واقع المجتمع الاسلامي منها:

١- توسّعت مسألة قتل عثمان بن عفّان حتى أصبحت قضية سياسية كبيرة جرّت من ورائها ظهور تيارات مناوئة فعلاً و قولاً لمسيرة الرسالة الإسلامية، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الإنحراف الدموي في الجمل.

٢- شاعت الأحقاد بين المسلمين، و فتحت باب الحرب و الاقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقة بين أهل البصرة أنفسهم و بين باقي الأمصار الإسلامية، فكانت العداوة لمطالئة بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون

ص: ٢٠٢

^{٣٨٥} (٢) الإرشاد للمفيد: 1/ 256 ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام

^{٣٨٦} (٣) الكامل في التاريخ: 3/ 255.

^{٣٨٧} (١) تاريخ الطبري: 3/ 544، و الإرشاد للشيخ المفيد: 137.

^{٣٨٨} (٢) شرح النهج: 1/ 250.

^{٣٨٩} (٣) الإمامة و السياسة: 98، و مروج الذهب للمسعودي: 2/ 379، و المناقب للخوارزمي: 115، و التذكرة للسبط ابن الجوزي: 80.

يتحرّجون من إراقة دماءهم.

٣- توسّعت جبهة الانحراف الداخلي في المجتمع الإسلامي، وازدادت العراقيل أمام حكومة الإمام عليّ (عليه السّلام) فبعد أن كان تمرّد معاوية في الشام فقط انفتحت جبهة أخرى ممّا أدّى إلى انحسار التوسّع الخارجي، وكذلك انحسار الأعمال الإصلاحية و الحضارية التي كان يمكن أن تنمو في المجتمع الإسلامي.

٤- إنّ الأحقاد و الانحراف فتحا الطريق على المخالفين في المعتقد السياسي للجوء فورا إلى حمل السلاح و القتال.

الكوفة عاصمة الخلافة:

بعد أن هدأت الأمور تماما تحرّك الإمام عليّ (عليه السّلام) نحو الكوفة ليأخذها مقرّاً بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث^{٣٩٠}، كما أنّ الإمام أمّر عبد الله بن عباس على البصرة و شرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم^{٣٩١}.

و كان لاختيار الإمام (عليه السّلام) الكوفة عاصمة جديدة للدولة الإسلامية أسباب عديدة منها:

١- توسّع رقعة العالم الإسلامي، و لا بدّ أن تكون العاصمة الإدارية و السياسية للدولة في موقع يعين الحكومة في التحرك نحو جميع نقاط الدولة.

٢- إنّ الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام (عليه السّلام) في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيات العراق و وجهاء الكوفة و جماهيرها.

٣- الظروف السياسية و التوترات الناجمة عن مقتل عثمان و حرب أصحاب الجمل كلّ ذلك جعل الإمام (عليه السّلام) أن يستقرّ في الكوفة، ليعيد الأمن و الاستقرار للمنطقة.

ص: ٢٠٣

الفصل الثالث الإمام علي (عليه السّلام) مع القاسطين^{٣٩٢}

استعدادات معاوية لمحاربة الإمام (عليه السّلام):

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة و مضيّه (عليه السّلام) في خطّته لتوحيد الدولة و بناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن و السنّة النبويّة، فسارع معاوية إلى الاستعانة بعمر بن العاص لما يتمتع به من حيلة و غدر، و

^{٣٩٠} (1) تأريخ الطبري: 3/ 545 و 546.

^{٣٩١} (2) تأريخ الطبري: 3/ 546 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٣٩٢} (*) وقعت معركة صفّين في صفر من عام (37) هـ، و كانت المناوشات بين الطرفين بدأت في ذي الحجة عام (36) هـ.

توافق معه في العداة للإسلام وللإمام (عليه السلام)، ولم يتردد عمرو طويلاً أمام رسالة معاوية، ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لو كان دينه الذي يدخله الجنة^{٣٩٣}.

وما أن وصل عمرو إلى الشام حتى جعل يبكي ويولول كالنساء^{٣٩٤} مبتدئاً خطته في التضليل وخداع الجماهير، وبعد مراوغة ومكايدة بين معاوية وعمرو تمت المساومة على أن تكون حصّة عمرو ولاية مصر مقابل مواجهة الإمام (عليه السلام) ومحاربته، وكتب معاوية كتاباً بذلك^{٣٩٥}.

وشرعاً يخططان لمواجهة الإمام والوضع القائم، فكان الاتفاق على المضيّ

ص: ٢٠٤

في هذا المسار العدائي المشوب بالظلم والغدر والبغى، إذ لا سبيل للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم إلّا مواجهة الإمام (عليه السلام) وهو الوريث الشرعي للنبي (صلى الله عليه وآله) وحامل راية الحق والعدل، واصطدم الرجلان إذ كلاهما خذلاً عثمان فكانت خطتهم تتطلب التشبث بقميص عثمان كشعار لتحريك مشاعر وعقول الجماهير غير الواعية، فرفعه على المنبر بعد أن قدم به عليهما النعمان بن بشير، فكان الناس يضحون بالبكاء حتى سرت فيهم روح الحقد والكراهية والعمى عن هدى الحق^{٣٩٦}.

ولتحريك جماهير الشام لموازرة معاوية وحشدهم للحرب اقترح عمرو أن يكون شرحبيل بن السمط الكندي المحرك الأول، لما عرف عنه من عبادة وجاهة في قبائل الشام وكراهية لجرير مبعوث الإمام (عليه السلام) إلى معاوية، كما أن شرحبيل ممن لا يتقصى الحقائق من مصادرها، و تمت مخادعة شرحبيل الذي انطلق مطالباً معاوية بالأخذ بثار عثمان بن عفان، و يتحرك بنفسه لحشد الناس للحرب^{٣٩٧}.

السيطرة على الفرات:

بعد تعبئة الشام للحرب؛ أخذ معاوية منهم البيعة وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير^{٣٩٨} الذي أبطأ كثيراً على الإمام (عليه السلام)، ثم سارع معاوية بتحريك قواته نحو أعالي الفرات في وادي صفين لاحتلالها ومنع تقدم قوات الإمام (عليه السلام) وحبس الماء عنهم، وتصور معاوية أن هذا أول نصر يحققه على الإمام (عليه السلام). و طلب الإمام (عليه السلام) من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين إلى

ص: ٢٠٥

صفين، وأبى معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الظمأ كثيراً بأهل العراق وازداد الضغط على الإمام (عليه السلام) لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم على شاطئ الفرات، وتمّ إزاحة قوات معاوية عن ضفة النهر.

^{٣٩٣} (1) وقعة صفين: 34، والإمامة والسياسة: 116، والكامل في التاريخ 3/ 275.

^{٣٩٤} (2) الكامل في التاريخ 3/ 274.

^{٣٩٥} (3) وقعة صفين: 40، والإمامة والسياسة: 117.

^{٣٩٦} (1) وقعة صفين: 37، الكامل في التاريخ 3/ 277.

^{٣٩٧} (2) المصدر السابق: 46.

^{٣٩٨} (3) المصدر السابق: 56.

و لكن الإمام (عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة^{٣٩٩}.

محاولة سلمية:

رغم أن الإمام (عليه السلام) أكثر من مراسلة معاوية وفتح عدّة قنوات للحوار محاولاً كسبه و إدخاله في بيعته لكن ردّ معاوية كان هو الحرب و السعى للقضاء على الإمام و جيشه بكلّ وسيلة، بيد أن الإمام (عليه السلام) كان يأمل في محاولة سلمية أخرى بعد أن استقرّ و جيشه ضفّة الفرات، فسادت هدنة مؤقتة بعث خلالها الإمام (عليه السلام) مندوبين عنه إلى معاوية و هم بشير بن محصن الأنصاري و سعيد بن قيس الهمداني و شبت بن ربيع التميمي، فقال (عليه السلام) لهم: «إئتوا هذا الرجل - أي معاوية - و ادعوه إلى الله و إلى الطاعة و الجماعة».

و ما كان جواب معاوية إلّا السيف و الحرب، فقال للمندوبين: انصرفوا من عندي فليس بيني و بينكم إلّا السيف^{٤٠٠}.

الحرب بعد الهدنة:

جرت مناوشات بين الجيشين و لم تستعر الحرب بعد، فكانت تخرج فرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، و ما أن حلّ شهر محرّم من عام (٣٧ هـ) حتى حصلت مبادعة بين الطرفين، حاول من خلالها الإمام (عليه السلام) التوصل إلى الصلح، و كانت طروحاته (عليه السلام) هي الدعوة إلى السلم و جمع الكلمة و حقن الدماء، و دعوات

ص: ٢٠٦

معاوية و أهل الشام رفض بيعه الإمام (عليه السلام) و الطلب بدم عثمان بن عفان^{٤٠١}.

و استمرت الهدنة مدّة شهر واحد، و لمّا طالت فترة المناوشات؛ سئم الفريقان من ذلك فعبأ الإمام (عليه السلام) جيشه تعبئة عامة، و كذلك فعل معاوية، و التحم الجيشان في معركة رهيبة، و كان الإمام يوصي جنوده دائماً فيقول : «لا تقتاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ و جلّ على حجة» ثمّ قال : «فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً و لا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل»^{٤٠٢}.

و استمرت الحرب بين كرّ و فرّ حتى سقط خلالها أعداد كبيرة من المسلمين صرعى و جرحى بلغت عشرات الألوف.

مقتل عمار بن ياسر:

روى: أن عمار بن ياسر خرج بين الصفوف فقال : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، و الله ل و هزمونا حتى يبلغوا بنا سفات هجر؛ لكنّا على الحقّ و كانوا على الباطل. ثمّ تقدّم نحو جيش معاوية و هو يرتجز:

^{٣٩٩} (1) مروج الذهب: 2/ 384، و شرح النهج لابن أبي الحديد: 3/ 320، و الكامل في التاريخ 3/ 283.

^{٤٠٠} (2) تاريخ الطبري: 3/ 569، و الكامل في التاريخ 3/ 284.

^{٤٠١} (1) وقعة صفين: 195، و تاريخ الطبري: 3/ 570.

^{٤٠٢} (2) وقعة صفين: 202، و تاريخ الطبري: 4/ 6.

و اليوم نضربكم على تأويله

نحن ضربناكم على تنزيله

و يذهل الخليل عن خليله

ضربا يزيل الهام عن مقيله

أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) صادقا مخلصا، فاشتبكت عليه الرماح فطعنه أبو العاديّة و ابن جون السكسكى، و روى أنّهما اختصما في رأس عمار الى معاوية و عبد الله بن عمرو بن العاص جالس فقال لهم: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له:

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية»^{٤٠٣}.

ص: ٢٠٧

و كان الإمام قلقا لا يقرّ له قرار حين برز عمار للقتال في ذلك اليوم، و أكثر من السؤال عليه حتى جاءه خبر استشهاد، فأسرع الى مصرعه كئيبا حزينا تفيض عيناه دمعا، فقد غاب عنه الناصر الناصح و الأخ الأمين، ثمّ صلى عليه الامام (عليه السلام) و دفنه.

و سرى خبر استشهاد عمار بين الجيشين ف وقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمون من مكانة عمار و حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) له ... و لكنّ المكر و الحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أنّ الذي قتل عمارا من جاء به. و أذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلالة^{٤٠٤}.

و روى: أنّ ذلك بلغ الإمام عليا (عليه السلام) فقال: و نحن قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه الى احد^{٤٠٥}؟

خدعة رفع المصاحف:

استمرّ القتال أياما أظهر خلالها أصحاب الإمام صبر هم و تفانيهم من أجل انتصار الحق، ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) قام خطيبا يحثّ على الجهاد فقال: «أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر و بعدوكم ما قد رأيتم، و لم يبق منهم إلّا آخر نفس، و إنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ... و قد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا، منهم ما بلغنا و أنا غاد عليهم بالغداة احاكمهم إلى الله عزّ و جلّ»^{٤٠٦}.

فبلغ ذلك معاوية و قد بدت الهزيمة على أهل الشام فاستدعى عمرو بن العاص يستشير، و قال له : إنّما هي الليلة حتى يغدو علىّ علينا بالفصل فما ترى؟

^{٤٠٣} (3) وقعة صفين: 340، و تاريخ الطبري: 4/ 27 ط مؤسسة الأعلمي، و العقد الفريد: 4/ 341.

^{٤٠٤} (1) تاريخ الطبري: 5/ 653.

^{٤٠٥} (2) العقد الفريد: 4/ 343، و تذكرة الخواص: 90.

^{٤٠٦} (3) كتاب سليم بن قيس: 176، و الكامل في التاريخ 3/ 310.

قال عمرو: أرى أن رجالك لا يقومون لرجاله و لست مثله، و هو يقاتلك على أمر و أنت تقتله على غيره، أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق

ص: ٢٠٨

يخافون منك إن ظفرت بهم و أهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، و لكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا و إن ردّوه اختلفوا، ادعهم إلى كلب الله حكماً فيما بينك و بينهم^{٤٠٧}.

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، و نادى أهل الشام:

يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا و بينكم من فاتحته إلى خاتمته من لتغور أهل الشام من بعد أهل الشام و من لتغور أهل العراق بعد أهل العراق؟

و كانت هذه الدعوى المضلّة كالصاعقة على رؤوس جيش الإمام، فهاج الناس و كثر اللغظ بينهم، و قالوا : نجيب إلى كتاب الله و نتيب إليه، و كان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام على الأشعث بن قيس.

فقال لهم الإمام (عليه السلام): «عباد الله! امضوا على حقكم و صدقكم و قتال عدوكم، فإنّ معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و حبيب بن أبي مسلمة و ابن أبي سرح و الضحّاك ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجلاً فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، و يحكم ! و الله ما رفعوها إلّا خديعة و وهنا و مكيدة، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل».

فخطبوا أمير المؤمنين باسمه الصريح قائلين : يا على، أجب إلى كتاب الله عزّ و جل إذ دعيت إليه و إلّا ندفعك برمتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بآبن عفّان.

و لم يجد الإمام (عليه السلام) مع المخدوعين سبيلاً فقال: فإن تطيعوني فقاتلوا و إن تعصوني فاصنعوا ما شئتم^{٤٠٨}.

و كان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة و يقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية فقالوا للأمير المؤمنين : ابعث إلى الأشتر ليأتيّك .. و لكنّ الأشتر لم ينش عن عزمه في القتال، لأنّه يعلم أنّ الأمر خدعة فهدّوه بقتل الإمام (عليه السلام)، فعاد

ص: ٢٠٩

الأشتر يؤتّبهم فقال لهم : خدعتم و الله فانخدعتم و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود كنّا نظنّ أنّ صلاتكم زهادة إلى الدنيا و شوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت.

^{٤٠٧} (1) وقعة صفّين: 347، و تاريخ الطبري: 34 / 4.
^{٤٠٨} (2) وقعة صفّين: 481، و تاريخ الطبري: 34 / 4 و 35 ط مؤسسة الأعلمي

و أقبل الناس يقولون قد رضى أمير المؤمنين، و الإمام (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة مطرق الرأس حزينا، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه، و لم يعد باستطاعته أن يفعل شيئا، و قد أدلى (عليه السلام) بما منى به بقوله: «لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت بالأمس ناهلي فأصبحت اليوم منهيا»^{٤٠٩}.

التحكيم و صحيفة المودعة:

لم تتوقّف محنة الإمام (عليه السلام) بتخاذل الجيش، و كان بالإمكان أن يحقّق مكسبا سياسيا عن طريق المفاوضات التي دعى إليها لو أطاعه المتمردون في اختيار الممثلين عنه الى التحكيم، فأراد الإمام (عليه السلام) ترشيح عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر لما يعلم عنهما من اخلاص و وعى، و أصرّ المخدوعون على ترشيح أبي موسى الأشعري، فقال الامام (عليه السلام): «إنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إنني لا أرى أن أولى أبا موسى فإنه ليس بثقة، قد فارقتي و خذل الناس عني - بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل - ثم هرب مني حتى أمنتته بعد أشهر»^{٤١٠}.

و تمكّن معاوية و ابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام (عليه السلام)، يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوآت الإمام.

حضر عمرو بن العاص ممثلا عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتفاق مع أبي موسى الأشعري، و لم يقبل عمرو كتابة اسم «أمير المؤمنين» في الصحيفة، فقال الإمام (عليه السلام): إن هذا اليوم كيوم الحديبية إذ قال سهيل ابن عمر للنبي: لست رسول الله، ثم قال (عليه السلام): فقال لي رسول الله (صلّى الله عليه و آله): أما

ص: ٢١٠

إن لك مثلها ستعطيها و أنت مضطهد^{٤١١}.

و أهمّ ما جاء في الصحيفة هو إعلان الهدنة و وقف القتال، و أن يلجأ الطرفان الى كتاب الله و سنّة نبيّه لحلّ قضاياهم، و أجلّ البتّ في قرار الحكّمين الى رمضان (٣٧ هـ)، حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه. و الغريب أن مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد و لو بإشارة بسيطة في كتاب المودعة مع أنّها اسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية و حزبه من أبناء الطلقاء^{٤١٢}، و اتفقوا على أن يكون موضع اجتماع الحكّمين في «دومة الجندل».

موقف واع و تقييم:

روى: أنّه طلب من الأشتر أن يشهد في الصحيفة، فقال : لا صبّحتني يميني و لا نفعتنى بعدها شمالي إن خطّ لي في هذه الصحيفة اسم أولست على بيّنة من ربّي من خلال عدوّي؟ أو لستم قد رأيتم الظفر^{٤١٣}؟

و قيل لأمير المؤمنين: إنّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة و لا يرى إلّا قتال القوم.

^{٤٠٩} (1) نهج البلاغة الخطبة 208 ط مؤسسة النشر الإسلامي

^{٤١٠} (2) وقعة صفين: 499، و تاريخ الطبري: 36 / 4، و الكامل في التاريخ 3 / 319.

^{٤١١} (1) وقعة صفين: 508، و شرح نهج البلاغة: 2 / 232.

^{٤١٢} (2) تاريخ الطبري: 4 / 40.

^{٤١٣} (3) وقعة صفين: 511، و الكامل في التاريخ 3 / 321.

فقال (عليه السلام): «و أنا و الله ما رضيت و لا أحببت أن ترضوا .. ثم قال (عليه السلام): «يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوى ما أرى، إذا لخصت على مؤنتكم، و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم و قد نهيتكم فعصيتمنى، و الله لقد فعلتم فعلة ضععت قوة و أسقطت منه و أورثت و هنا و ذلة»^{٤١٤}.

رجوع الإمام (عليه السلام) و اعتزال الخوارج:

قفل أمير المؤمنين راجعا الى الكوفة مثقلا بالهموم و الآلام، يرى باطل

ص: ٢١١

معاوية قد استحکم، و أمره أوشك أن يتم، و ينظر الى جيشه و قد فتته التمرد لا يستجيب لأمره.

و دخل الإمام (عليه السلام) الكوفة فرأى لوعة و بكاء، قد سادت جميع أرجائها حزنا على من قتل فى صفين، و اعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام، و لم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، و جعلوا أميرهم على القتال شبت بن ربعي، و على الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، و خلعوا ببيعة الإمام (عليه السلام) يدعون الى جعل الأمر شورى بين المسلمين .. و كان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة المودعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا و قالوا : لا نرضى لا حكم إلا لله، و اتخذوه شعارا لهم رغم أنهم هم الذين أصرّوا على الإمام (عليه السلام) لقبول التحكيم.

و سعى أمير المؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة و النصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس و أمره أن لا يجعل فى الخوض معهم فى جدال و خصومة، و لحقه الإمام (عليه السلام) فكلّمهم و حاججهم و فدّ كل دعاويهم، فاستجابوا له و دخلوا معه الى الكوفة^{٤١٥}.

اجتماع الحكّمين:

حان الأجل الذى ضرب لاجتماع الحكّمين، فأرسل الإمام (عليه السلام) أربعمئة رجل عليهم شريح بن هانى، و بعث معهم عبد الله بن عباس ليصلّى بهم و يلى امورهم و أبو موسى الأشعري معهم، و بعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمئة رجل من أهل الشام حتى توافوا فى دومة الجندل.

و قد سارع عدد من أهل الرأى و الحكمة ممّن أخلصوا للإمام (عليه السلام) بتقديم النصح و التحذير لأبى موسى، باذلين جهدهم فى حمله على التبصرة و الروية فى

ص: ٢١٢

اتّخاذ القرار، و خشية منهم من مكر عمرو و خداعه^{٤١٦}.

قرار التحكيم:

^{٤١٤} (4) وقعة صفين: 521، و تأريخ الطبري: 4/ 42 و 43، و الكامل فى التأريخ 3/ 322.

^{٤١٥} (1) تأريخ الطبري: 4/ 54، و الكامل فى التأريخ 3/ 426.

^{٤١٦} (1) وقعة صفين: 534، و شرح نهج البلاغة: 2/ 246. ط دار إحياء التراث العربى

اجتمع الحكماء: أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص، والأول يحمل الغباء السياسي و ضعف الانتماء العقائدي و قلّة الولاء لإمامه عليّ (عليه السّلام) و الثاني هو الماكر المخادع ذو السجّية الغادرة و الطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت (عليهم السّلام) تماما عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك و شركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

و لم يطل الاجتماع طويلا حتى تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري و السيطرة عليه و توجيهه نحو ما يريد، و اتفق الإثنين في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ (عليه السّلام) و معاوية عن ولاية أمر المسلمين، و اختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

و بادر ابن عباس محذرا الأشعري من أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له : ويحك، و الله إنني لأظنه قد خدعك إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلم أنت بعده، فإنّ عمرا رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك و بينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب و خلع الإمام عليّا (عليه السّلام)، ثمّ انبرى عمرو فخطب و أكّد خلع الإمام و ثبتّ معاوية لولاية الأمر^{٤١٧}.

و بتلك الغدرة ظفوا معاوية بالنصر، و عاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، و أمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنة و أيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، و هرب أبو موسى إلى مكّة، و رجع ابن عباس و شريح إلى الإمام عليّ (عليه السّلام).

ص: ٢١٣

الفصل الرابع الإمام علي (عليه السّلام) مع المارقين

يمكن أن نقول: إن ظهور الخوارج إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل و صفّين، كما أنّنا لا يمكننا أن نعزل انحرافهم بمعزل عن انحراف الخلافة عن خطّ أهل البيت (عليهم السّلام)، لقد كان من أهمّ صفات الخوارج هو التحجّر و التمسك بالظواهر و العصّب و الخشونة و عدم التمييز بين الحقّ و الباطل، و أنّهم سريعو التأثر بالشائعات، فيتردّدون عند أدنى شكّ.

و نجد أنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) أخبر عن صفّتهم، إذ روى عنه (صلى الله عليه و آله): «يخرج في هذه الامة - و لم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن و لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»^{٤١٨}.

و لم يتمكن الامام (عليه السّلام) من معالجة أمراضهم و انحرافاتهم، فقد عاجلته الحروب و التمردات في الجمل و صفّين في فترة قصيرة جدّا، و يمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى:

١- الإحباط النفسي و الفشل في تحقيق النصر، و خصوصا أنّ معارك الإمام (عليه السّلام) ضدّ متمرّدين هم مسلمون في الظاهر، فلم يتمكن الخوارج من فهم

^{٤١٧} (٢) تأريخ الطبري: 52 / 4، و مروج الذهب: 411 / 2، و الكامل في التاريخ 322 / 3.
^{٤١٨} (١) انظر البداية و النهاية: 321 / 7 - 337 و صحيح البخاري: 21 / 9 - 22 باب ترك قتال الخوارج، و صحيح مسلم: 2 / 744 الحديث 1064، و مسند أحمد: 3 / 56 دار صادر.

معالجة الإمام للمتمردين، و لم يتمكّنوا من تحمّل نتيجة التحكيم، فى حين هم الذين أجبروه على قبول التحكيم، و لم يواجهوا أنفسهم بمواقفهم المنحرفة، فسعوا الى تعليق أخطائهم و تحميل أوزارها الى طرف آخر غيرهم و لم يكن إلّا الإمام على (عليه السّلام)^{٤١٩}.

٢- استغلالهم الحرية الفكرية التى فتحها الإمام (عليه السّلام) لكى تمارس الامة وعيها الرسالى، فقد روى أنّهم كانوا يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته بدعوى لا حكم إلّا الله، و ما كان الإمام يجيبهم إلّا ب «كلمة حقّ يراد بها باطل». و قال الإمام (عليه السّلام) لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال : لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، و لا نمنعكم الفى ء ما كانت أيديكم فى أيدينا، و لا نبدؤكم للحرب حتى تبدؤونا»^{٤٢٠} فتحوّلت حركتهم من حالة فردية الى حالة جماعية.

ردّ الإمام (عليه السّلام) على قرار الحكّمين:

و لما بلغ خبر التحكيم إلى الإمام (عليه السّلام) تألّم كثيرا، و خطب فى الناس يحثّهم و يدلّهم على إصلاح الخطأ الذى تورّطوا فيه و ذكرّهم بنصحه لهم، فقال (عليه السّلام): «إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجربّ تورث الحسرة و تعقب الندامة، و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى، و نخلت لكم مخزون رأيى لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم على إباء المخالفين الجفاء المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه و ضنّ الزند بقده، فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلّا ضحى الغد

ألا إنّ هذين الرجلين - أبا موسى الأشعري و ابن العاص - اللذين اخترتموهما حكّمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، و أحببنا ما أمات القرآن، و اتّبع كلّ واحد منهما

هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجّة بينة و لا سنّة ماضية، و اختلفا فى حكمهما و كلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما و رسوله و صالح المؤمنين، استعدوا و تأهبوا للمسير إلى الشام، و أصبحوا فى معسكرهم إن شاء الله^{٤٢١}.

و كتب الإمام الى عبد الله بن عباس أن يعبّئ أهل البصرة للالتحاق بالإمام (عليه السّلام) لقتال معاوية، فالتحقت جموع البصرة بالكوفة، و لكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة و الكوفة متجهين نحو النهروان و فسادهم فى الأرض أقلق أصحاب الإمام (عليه السّلام) من تركهم خلفهم لو توجّهوا إلى الشام فطلبوا من الإمام أن يقضى على الخوارج أولا^{٤٢٢}.

^{٤١٩} (1) تأريخ الطبري: 4 / 53 - 58.

^{٤٢٠} (2) تأريخ الطبري: 4 / 54، و الكامل فى التّاريخ 3 / 334، و مستدرك وسائل الشيعة: 2 / 254.

^{٤٢١} (1) تأريخ الطبري: 4 / 57.

^{٤٢٢} (2) تأريخ الطبري: 4 / 57 و 58، و البداية و النهاية: 7 / 286.

وكان من عبث الخوارج أنهم قبضوا على عبد الله بن خباب و زوجته فقتلوه، و بقروا بطن امرأته، و ألقوا ما فيها من دون مبرر، و كذلك قتلوا الحارث بن مرة العبدي رسول الإمام (عليه السلام) إليهم^{٢٢٣}.

المواجهة مع الخوارج:

تجمعت قوات المارقين عن الدين قرب النهروان بعد أن التحقت بهم مجاميع من البصرة و غيرها، و حاول الإمام (عليه السلام) مراراً أن يقنعهم بالتخلي عن فكرتهم و تمردهم و سعيهم للحرب، و لم يجد فيهم إلّا الفساد و الجهل و الإصرار، فعباً جيشه و نصحهم بأخلاق الإسلام في كيفية التعامل في مثل هذه الظروف كما هو شأنه في كل معركة و لما انتهى الإمام (عليه السلام)؛ إليهم بعث لهم رسولا يطلب منهم قتل عبد الله بن خباب و قتل رسول الحارث بن مرة، فردوا عليه مجمعين: كلنا قتلناهم و كلنا مستحلّ لدمائكم و دمائهم.

ص: ٢١٦

و بعث الإمام (عليه السلام) قيس بن سعد و أبا أيوب الأنصاري لينصحا القوم عساهم أن يفهموا واقع الأحداث، و يجنبوا الامة مزيداً من الدماء، ثم اتاهم الإمام (عليه السلام) فقال لهم:

«أيتهنا العصابة التي أخرجها عداوة المراء و اللجاجة، و صدّها عن الحق الهوى، و طمع بها التزق، و أصبحت في الخطب العظيم! إنني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى بأثناء هذا الوادي، و بأهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم و لا برهان مبين» ثم بين لهم (عليه السلام) أنه كره التحكيم و عارضه، و شرح سبب معارضته بوضوح لهم، و لكنهم أنفسهم أجبروا الإمام على قبول التحكيم، و أن الحكّمين لم يحكما بالقرآن و السنة، و ها هو الإمام يعدّ العدة لملاقاة معاوية ثانية، فلا معنى لخروج المارقين، و لم يرعو المارقون لقول الإمام و طالبوه بتكفير نفسه و إعلان توبته، فقال (عليه السلام):

«أصابكم حاصب و لا بقي منكم أثر أبعد إيماني برسول الله (صلى الله عليه و آله) و هجرتي معه و جهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين» ثم انصرف عنهم، و تقدّم الخوارج فاصطفوا للقتال ... و عباً الإمام (عليه السلام) جيشه لملاقاتهم، و في محاولة أخيرة أمر الإمام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، و يقول لهم: «من جاء إلى هذه الارية فهو آمن و من انصرف إلى الكوفة و المدائن فهو آمن إنه لا حاجة لنا فيكم إلّا فيمن قتل إخواننا».

فانصرفت منهم مجاميع كثيرة، و قال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

و هجم الخوارج و هم يتصايحون: لا حكم إلّا لله ... الروح الروح إلى الجنة، و لم تمض إلّا ساعة حتى ابعد أكثرهم، و لم ينج منهم إلّا أقل من عشرة، و لم يقتل من أصحاب الإمام إلّا أقل من عشرة أشخاص^{٢٢٤}.

ص: ٢١٧

^{٢٢٣} (3) تأريخ الطبري: 61/4، و البداية و النهاية: 286/7، و الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 108.
^{٢٢٤} (1) نهج البلاغة الخطبة 59 ط مؤسسة النشر الإسلامي، و مروج الذهب: 385/2، و البداية و النهاية: 319/7.

و بعد أن سكنت أوار المعركة؛ أمر الإمام (عليه السلام) بطلب «ذی التّديّة» - أحد قادة الخوارج - و ألحّ في ذلك لأنّ في ذلك مصداقا لوصايا الرسول (صلّى الله عليه و آله) بمقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو التّديّة ^{٤٢٥}. و لمّا وجدوه أخبروا الإمام (عليه السلام) فقال: «الله أكبر ما كذبت و لا كذّبت، لولا أن تنكلوا عن العمل؛ لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه (صلّى الله عليه و آله) لمن قاتلهم مستبصرًا في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه » و سجد (عليه السلام) شكرًا لله ^{٤٢٦}.

احتلال مصر:

بعد مقتل عثمان بن ع فان وليّ أمير المؤمنين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ولاية مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأى رآه (عليه السلام)، و بقيت مصر الجناح الآخر الذي يقلق معاوية، فما أن ساد الاضطراب و التخاذل في المجتمع الاسلامي بعد المعارك و نتائجها؛ تحرّك معاوية و عمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ثمنًا لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام و تهديم الدين، و حاول (عليه السلام) أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعدّة و العدة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلّا قليلا حتى أتت الأخبار باحتلال مصر و استشهاد محمد بن أبي بكر، و حزن الإمام (عليه السلام) على محمد ^{٤٢٧}، ثمّ كان قد كلّف (عليه السلام) مالك الأشر بولاية مصر و كتب إليه عهده المشهور في إدارة الحكم و سياسة الناس، و لكن معاوية و ما يملك من وسائل الشيطان و الخداع تمكّن من دسّ السم لمالك ^{٤٢٨}.

ص: ٢١٨

انهيار الامّة و تفكّكها:

بدأت بوضوح ملموس ملامح و آثار الانحراف الذي حصل يوم السقيفة في نهاية أيّام حكم الإمام (عليه السلام) حيث بدأ معاوية و من اقتفى أثره في محاربة الإسلام من داخل الإسلام بتفكيك ما بقي من أواصر تماسك المجتمع الإسلامي و تخريبه و بناء مجتمع ينسجم وفق رغباتهم و أهوائهم، و يمكننا أن نلاحظ حال الامّة بعد خوض الإمام (عليه السلام) ثلاث معارك فيصليّة لاجتثاث الفساد فيما يلي:

١- منى الإمام (عليه السلام) و الامّة بفقد خيار الصحابة الواعين و المؤثرين في المجتمع و حركة الرسالة الإسلامية الذين كان يمكن من خلالهم بناء الامّة الصالحة وفق نهج القرآن و السنّة بإشراف الإمام (عليه السلام)، و قد بلغ الحزن في نفس الإمام مبلغا عظيما نجده في نعيه لهم بقوله:

«ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيعون الغصص و يشربون الرنق، قد و اللّ لقوا الله فوقاهم اجورهم و أحلّهم دار الأمن بعد خوفهم ..

^{٤٢٥} (1) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج و صفاتهم و التحريض على قتالهم

^{٤٢٦} (2) تأريخ الطبري: 4/ 66، و شرح نهج البلاغة: 2/ 266، و البداية و النهاية: 297.

^{٤٢٧} (3) شرح النهج لابن أبي الحديد: 6/ 88.

^{٤٢٨} (4) تأريخ الطبري: 4/ 72.

أين إخواني الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟ أين عمار؟ و أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتين؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاهدوا على النية و ابرد برؤوسهم الى الفجرة؟»

ثم وضع يده على كريمته فأطال البكاء ثم قال : «أوه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه و تدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة و أمانوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، و تقوا بالقائد فاتبعوه»^{٤٢٩}.

٢- تمرّد الجيش و تفكّكه و ظهور الضعف و السأم من الحرب لكثرة من قتل من أهل العراق الذين يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام (عليه السلام)، و لم

ص: ٢١٩

يتمكن (عليه السلام) بما يملك من قدرة خطابية رائعة و حجة بالغة أن يبعث الإندفاع و الحزم في قاعدته الشعبية لمواصلة الحرب، و ممّا زاد من تفتيت الجيش عدم توقّف معاوية من مخاطبة زعماء القبائل و العناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا، فمناهم بالأموال و الهبات و المناصب إذا قاموا بكلّ ما يؤدي إلى إضعاف قوّة الإمام (عليه السلام) و جماهيره المؤيدة، حتى أنّ الإمام (عليه السلام) لم يستطع أن يعبئ في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان استعداد القتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش الى داخل الكوفة ممّا أدّى بالإمام (عليه السلام) أن يلغى المعسكر و يؤجّل الحرب^{٤٣٠}.

٣- لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام (عليه السلام) و الامّة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشنّ غارات على أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل و السبي و الإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري للإغارة على منطقة «عين التمر»، و وجّه سفيان بن عوف للإغارة على منطقة «هيت» ثم على «الأنبار و المدائن»، و الى «واقصة» و وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري ... و في كلّ مرّة يحاول الإمام (عليه السلام) دعوة الجماهير لمقاومة غارات معاوية فلم يلق الاستجابة السريعة، و أدرك معاوية ضعف قوّة حكومة الإمام (عليه السلام) و تزايد قوّته^{٤٣١}.

و بعث معاوية بسر بن ارطاة للغارة على الحجاز و اليمن، فعاث في الأرض فسادا و قتلا للأبرياء^{٤٣٢} و بلغ الأسى و الأسف في نفس الإمام (عليه السلام) مبلغا عظيما ممّا يفعل المجرمون و من تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بضجره من تخاذلهم و تقاعسهم فقال: «اللهمّ إني قد مللتهم و ملّوني و سئمتهم و سئمونني فأبدلني بهم خيرا منهم

ص: ٢٢٠

و أبدلهم بي شرا مني»^{٤٣٣}.

و قد أنذر الإمام (عليه السلام) الامّة الإسلامية بمستقبل مظلم و آلام كثيرة تحلّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس و تخاذل عن نصره الحقّ، فقال (عليه السلام): «أما إنكم ستلقون بعدي ذلّا شاملا، و سيفا قاطعا، و أثره يتخذها الظالمون

^{٤٢٩} (1) شرح النهج لابن أبي الحديد: 99 / 10.

^{٤٣٠} (1) تاريخ الطبري: 67 / 4.

^{٤٣١} (2) الغارات للثقفى: 476، و تاريخ الطبري: 102 / 4 و 103.

^{٤٣٢} (3) الغارات للثقفى: 476، و تاريخ الطبري: 106 / 4 ط مؤسسة الأعلمي.

^{٤٣٣} (1) نهج البلاغة: الخطبة (25).

فيكم سنّة، فيفرّق جماعتكم، و يبيكى عيونكم، و يدخل الفقر بيوتكم، و تتمنون عن قليل أنكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ما أقول لكم»^{٢٢٢}.

آخر محاولات الإمام (عليه السّلام):

بعد الاضطرابات المتعدّدة و تمكّن معاوية من فساد و نشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية؛ عزم الإمام (عليه السّلام) أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الامة، فخطب الجماهير و هدّدهم فقال :

«أما إنّي قد سمّيت من عتابكم و خطابكم، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب و ما أحبّ، و إن كنتم غير فاعلين فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا و بينه و هو خير الحاكمين لأدعون الله عليكم ثمّ لأسيرن إلى عدوّكم و لو لم يكن معي إلّا عشرة»^{٢٢٥}.

و أيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، و أيقنوا أنّ الإمام (عليه السّلام) سيخرج بنفسه و أهله و خاصّته الى معاوية و إن لم ينصروه، فسيلحق العار و الذلّ بهم الى يوم القيامة، فتحرّك و جهاء الناس للاستعداد لملاقاة معاوية و القضاء على الفساد، و خرج الناس الى معسكراتهم في منطقة «النخيلة» خارج الكوفة، و تحرّكت بعض قطعات الجيش تسبق البقية مع الإمام (عليه السّلام) الذي بقي ينتظر انقضاء شهر رمضان.

ص: ٢٢١

الفصل الخامس الإمام على (عليه السّلام) شهيد المحراب^{٢٢٦}

تواطأت زمر الشرّ على أن لا تبقى للحقّ راية تخفق أو يدا تطول فتصلح أو صوتا يدوّي فيكشف زيغ و فساد الظالمين و المنحرفين، فبالأمس كان أبو سفيان يمكر و يغدر و يفجر و يخطّط لقتل النّبى الأكرم (صلّى الله عليه و آله) لوأد الرسالة الإلهية في مهدها، و لكنّ الله أبى إلّا أن يتمّ نوره.

و ها هو معاوية بن أبى سفيان يستفيد من نتائج انحراف السقيفة، و يتمّم ما بدأه أبوه سعيا للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الجهل و الضلالة و العمى، فخطّطوا لقتل ضمير الامة الحيّ و صوت الحقّ و العدل و حامل لواء الإسلام الخالد و محيي الشريعة المحمدية السمحاء.

و اجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفّ انحرافهم و فسادهم، فامتدّت يد الشيطان لتصافح ابن ملجم في عتمة الليل، و في ختلة و غدره هوت بالسيف على هامة طالما استدبرت الدنيا و استقبلت بيت الله و هى ساجدة، و غادرتها منها في تلك الحال.

لقد اجتمعت عصاة ضالّة على قتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) لا يبعد أن كان محرّكها معاوية، و اتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجروّ على مواجهة الإمام (عليه السّلام).

^{٢٢٤} (2) أنساب الاشراف: 1/ 200، نهج البلاغة: الكلمة (58).

^{٢٢٥} (3) سيرة الائمة الإثني عشر: 1/ 451 عن البلاذري في أنساب الأشراف.

^{٢٢٦} (1) استشهد أمير المؤمنين في شهر رمضان عام (40) هـ.

و لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان؛ كان الإمام (عليه السلام) يكثر التأمل في السماء و هو يردد «ما كذبت و لا كذبت إنها الليلة التي وعدت بها»^{٤٣٧} و أمضى (عليه السلام) ليلته بالدعاء و المناجاة، ثم خرج الى بيت الله لصلاة الصبح فجعل يوقظ الناس على عادته الى عبادة الله فينادي: الصلاة ... الصلاة.

ثم شرع (عليه السلام) في صلاته، و بينما هو منشغل يناجي ربه إذ هوى المجرم اللعين عبد الرحمن بن ملجم و ه و يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك» و وقع السيف على رأسه المبارك فقد منه فهتف الإمام (عليه السلام): «فزت و ربّ الكعبة»^{٤٣٨}.

و لما علت الضجة في المسجد؛ أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام (عليه السلام) طريحا في محرابه، فحملوه الى داره و هو معصّب الرأس و الناس يضجون بالبكاء و العويل، و القى القبض على المجرم ابن ملجم، و أوصى الإمام (عليه السلام) ولده الحسن و بنيه و أهل بيته أن يحسنوا الى أسيرهم و قال : «النفس بالنفس، فإن أنا متّ فاقتلوه كما قتلني، و إن أنا عشت رأيت فيه رأيي»^{٤٣٩}.

وصية الإمام (عليه السلام):

أوصى الإمام (عليه السلام) ولديه الحسن و الحسين (عليهما السلام) و جميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

«أوصيكمما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، و قولوا بالحقّ و اعملا للأجر، و كونا للظالم خصما و للمظلوم عوناً، و اعملا بما في

الكتاب، و لا تأخذكما في الله لومة لائم»^{٤٤٠}.

و لم يمهل الجرح أمير المؤمنين طويلا لشدة و عظيم وقعته، فقد دنا الأجل المحتوم، و كان آخر ما نطق به قوله تعالى : **لِيُثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** ثم فاضت روحه الطاهرة الى جنّة المأوى.

دفن و تأبين الإمام (عليه السلام):

نهض الإمامان الحسن و الحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين و ما يترتب عليهما من إجراءات الدفن من غسل و تكفين، ثم صلى الإمام الحسن (عليه السلام) على أبيه و معه ثلّة من أهل بيته و أصحابه، ثم حملوا الجثمان الطاهر الى مشواه الأخير، فدفن في النجف قريبا من الكوفة، و تمت كلّ الإجراءات ليلا^{٤٤١}.

^{٤٣٧} (1) الصواعق المحرقة: 80، و بحار الأنوار: 230 / 42.

^{٤٣٨} (2) الامامة و السياسة: 180 أو: 135 ط بيروت و 159 ط مصر، و تأريخ دمشق: 3 / 367 ترجمة الإمام عليّ (عليه السلام)

^{٤٣٩} (3) مقاتل الطالبين: 22، شرح النهج لابن أبي الحديد: 6 / 118، و بحار الأنوار: 42 / 231.

^{٤٤٠} (1) تأريخ الطبري: 4 / 114 ط مؤسسة الأعلمي، راجع أيضا نهج البلاغة باب الكتب/ 47 طبعة صبحي الصالح

ثم وقف صعصعة بن صوحان يؤيّن الإمام (عليه السلام) فقال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك، وقوى صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك فتلقاك الله ببشارته وحفتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمنّ علينا بإقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن وأبرت الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام.

ص: ٢٢٤

ثم قال: لقد شرف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسبا، وأولهم إسلاما، وأوفاهم يقينا، وأشدّهم قلبا، وأبذلهم لنفسه مجاهدا، وأعظمهم في الخير نصيبا، فلا حرما أجرك، ولا أذلنا بعدك، فو الله لقد كانت حياتك مفاتيح الخير ومغالق الشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا منك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة^{٤٤٢}.

ص: ٢٢٥

الفصل السادس تراث الإمام المرتضى على بن أبي طالب (عليه السلام)

إنّ أوّل عمل اهتمّ به الإمام (عليه السلام) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) - وقد كان بوصية منه (صلى الله عليه وآله) - هو جمعه للقرآن الكريم، وامتاز بترتيبه حسب النزول وتضمّن معلومات فريدة عن شأن النزول والتفسير والتأويل الذي تحتاجه أمة محمد (صلى الله عليه وآله)، وقد عرضه على الخليفة الأول فقال: لا حاجة لنا به، فأشار (عليه السلام) الى أنّهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم، وهكذا كان، والمعروف أنّه يتوارثه الأئمة من أبنائه (عليهم السلام).

و اثر عن الإمام ما سمّي بالصحيفة التي تضمّنت أحكام الديّات، وقد روى عنها البخارى ومسلم وابن حنبل، كما اثر عنه ما سمّي بالجامعة التي تضمّنت أو جمعت كلّ ما يحتاج اليه الناس من حلال وحرام، وصفها الإمام الصادق بأنّ طولها سبعون ذراعا، وليس من قضية إلّا وهى فيها حتى أرش الخدش.

وتضمّن كتاب الجفر ما يرتبط بحوادث المستقبل وصحف الأنبياء السابقين، وقد يشبهه مصحف فاطمة وهو ما أملتّه عليه فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها ممّا كانت تلهم به من مفاهيم^{٤٤٣}. وكلّ هذه الكتب تعتبر من موارث الإمامة التي يتناقلها الأئمة (عليهم السلام) إمّا بعد إمام.

ص: ٢٢٦

^{٤٤١} (2) بحار الأنوار: 290 / 42.

^{٤٤٢} (1) بحار الأنوار: 295 / 42.

^{٤٤٣} (1) اصول الكافي: الجزء الأول باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة. وراجع: سيرة الأئمة الاثني عشر: 96 / 1- 99 و 274-294.

وقد تصدّى جمع من علماء الأئمة إلى جمع ما اثر عن الإمام (عليه السلام) من خطب و رسائل و كلمات، و سمّيت بأسماء تتناسب مع أغراض جامعيتها، وأولها وأشهرها ما سمّى ب (نهج البلاغة) للشيخ الشريف الرضى المتوفى (٤٠٤ هـ)، وقد انطوى على روائع فكر الإمام في شتى المجالات العقائدية والأخلاقية وأنظمة الحكم والإدارة والتأريخ والاجتماع وعلم النفس والدعاء والعبادة وسائر العلوم الطبيعية والإنسانية، وهو ما اختاره الشريف الرضى من خطبه و رسائله و وصاياه و كلماته البليغة. ومن هنا فقد تصدّى علماء آخرون لجمع ما لم يجمعه الشريف الرضى و سمّى بمستدركات نهج البلاغة.

و جمع النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ) ما رواه الإمام على عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و سمّاه ب (مسند الإمام على (عليه السلام)).

و جمع الآمدى (المتوفى بين ٥٢٠ و ٥٥٠ هـ) قصار كلماته الحكمية و سمّاه ب (غرر الحكم و درر الكلم).

و جمع أبو إسحاق الوطواط (المتوفى بين ٥٥٣ و ٥٨٣ هـ) من كلامه ما سمّاه ب (مطلوب كل طالب من كلام على بن أبي طالب). و اثيرت عن الجاحظ المتوفى (٢٥٥ هـ) (مائة كلمة) للإمام على (عليه السلام) و (نثر اللثالي) جمع الطبرسي صاحب مجمع البيان، و كتاب صفين لنصر بن مزاحم اشتمل على مجموعة من خطبه و كتبه . و (الصحيفة العلوية) و هي مجموعة من الأدعية التي اثيرت عنه (عليه السلام).

في رحاب نهج البلاغة:

إذا كان (القرآن الكريم) هو معجزة النبوة؛ فإن (نهج البلاغة) معجزة الإمامة ... فليست هذه العقلية العظيمة المتجلية بذلك الاسلوب العلوي الواضحة في كل فقرة من فقرات (النهج) و في كل شذرة من تلك الشذور إلّا غرس ذلك النبي العظيم المستمد من وحى الله تعالى، فما من موضوع يطرقه الإمام إلّا و ترى نور الله

ص: ٢٢٧

يشع أمامه و هدى الرسول ينير له الطريق»^{٤٢٤}.

و قال الشريف الرضى (قدّس سرّه): كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرّع الفصاحة و موردها و منشأ البلاغة و مولّدها، و منه (عليه السلام) ظهر مكنونها و عنه اخذت قوانينها، و على أمثلته هذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كل واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصّروا، و قد تقدّم و أخّروا، لأنّ كلامه (عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، و فيه عبقة من الكلام النبوي.

في رحاب العقل و العلم و المعرفة:

١- لا غنى كالعقل و لا فقر كالجهل، و العقل ينبوع الخير و أشرف مزيّة، و أجمل زينة.

٢- العقل رسول الحقّ. العقل أقوى أساس. و الإنسان بعقله. و بالعقل صلاح كل أمر.

^{٤٢٤} (1) حياة أمير المؤمنين في عهد النبي 402، تأليف: محمد صادق الصدر.

٣- العلم غطاء و ساتر و العقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، و قاتل هواك بعقلك. و الفكر مرآة صافية.

٤- العقل صاحب جيش الرحمن، و الهوى قائد جيش الشيطان، و النفس متجاذبة بينهما فأيهما غلب كانت فى حيّزه.

٥- أفضل حظّ الرجل عقله، إن ذلّ أعزّه، و إن سقط رفعه، و إن ضلّ أرشده، و إن تكلم سدّده.

٦- إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله و أمت شهوته و أتعب نفسه لإصلاح آخرته.

٧- على قدر العقل يكون الدين. ما آمن المؤمن حتى عقل. قيمة كل امرئ عقله.

٨- و عرفّ العقل بما يلى:

أ- إنّما العقل التجنّب من الإثم و النظر فى العواقب و الأخذ بالحزم.^{٢٢٥}

ب- العقل أصل العلم و داعية الفهم.

ص: ٢٢٨

ج- العقل غريزة تزيد بالعلم و بالتجارب.

د- للقلوب خواطر سوء و العقول تزجر عنها.

هـ- غريزة العقل تأبى ذميمة الفعل.

و- العاقل من يعرف خير الشرين.

فى رحاب القرآن الكريم و السنة النبويّة المباركة:

١- قال (عليه السلام): و أنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شىء و عمّر فيكم نبيّه أزماناً حتى أكمل له و لكم - فيما أنزل من كتابه - دينه الذى رضى لنفسه.

٢- ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق، و لكن اخبركم عنه، ألا إنّ فيه علم ما يأتى، و الحديث عن الماضى، و دواء داءكم، و نظم ما بينكم، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، و لا يختلف فى الله و لا يخالف بصاحبه عن الله، و لا

^{٢٢٥} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

يعوجّ فيقام ولا يزيع فيستعجب ... ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع ... لا تفنى عجائبه، ولا تنقضى غرائبها، ولا تكشف الظلمات إلّا به.

وفيه ربيع القلب ... وما للقلب جلاء غيره .. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل و غدرانه، وأثافيّ الاسلام و بنيانه، وأودية الحق و غيطانه، وبحر لا ينزفه المستن زفون، و عيون لا ينضبها الماتحون، و مناهل لا يغيضها الواردون ..

جعله الله ريّا لعطش العلماء و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاجّ لطرق الصلحاء ... و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى .. و شفاء لا تخشى أسقامه .. و دواء ليس بعده داء ... فاستشفوه من أدوائكم، و استعينوا به على لأوائكم؛ فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء. و هو الكفر و النفاق و الغيّ و الضلال^{٤٤٦}.

و أما سنّة رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فقد دعا الإمام الى العمل بها، و بيّن موقع الأئمّة و موقفهم المشرف في إيصال السنّة الصحيحة الى الامّة و إحياء ما أماته المبطلون

ص: ٢٢٩

من سنّة رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و أسباب انحراف من انحرف عن مدار السنّة.

قال (عليه السّلام): اقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدى، و استنّوا بسنّته فإنّها أهدى السنن.

و قال (عليه السّلام): أحبّ العباد الى الله المتأسّي بنبيّه (صلّى الله عليه و آله) و المقتصّ أثره. و قال (عليه السّلام):

إرض بمحمّد (صلّى الله عليه و آله) رائدا و الى النجاة قائدا.

و قال (عليه السّلام): إنّ في أيدي الناس حقّا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما، و لقد كذب على رسول الله (صلّى الله عليه و آله) على عهده حتى قام خطيبا فقال : من كذب علىّ متعمّدا؛ فليتبوأ مقعده من النار.

و قال (عليه السّلام): لا يقاس بآل محمد (صلّى الله عليه و آله) من هذه الامّة أحد .. هم عيش العلم و موت الجهل .. لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه .. هم دعائم الإسلام و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ في نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته . عقلوا الدين عقل و عاية و رعاية لا عقل سماع و رواية . هم موضع سرّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و حماة أمره و عية علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه، هم مصابيح الظلم و ينابيع الحكم و معادن العلم و مواطن الحلم.

و قال (عليه السّلام): و إنّني لعلّي بيّنة من ربّي و منهاج من نبيّي، و إنّني لعلّي الطريق الواضح ألفظه لفظا^{٤٤٧}.

^{٤٤٦} (1) راجع الخطبة 176 من نهج البلاغة، طبعة صبحي الصالح.

^{٤٤٧} (1) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة 42- 53 و 101 و تصنيف غرر الحكم 109- 117.

في رحاب التوحيد و العدل و المعاد:

قال (عليه السلام) في مجال إثبات وجوده تعالى : الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليته و باشتباههم على أن لا شبه له. و قال: عجبت لمن شكّ في الله و هو يرى خلق الله ... بل ظهر للعقول بما أَرانا من علامات التدبير المتقن و الفضاء المبرم.

و حين سئل (عليه السلام): هل رأيت ربّك؟ أجاب: و كيف أعبد ربّا لم أره؟ ثمّ قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان .. عظم عن أن تثبت

ص: ٢٣٠

ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر.

و جاء في دعائه المعروف بدعاء الصباح : يا من دلّ على ذاته بذاته، و تنزّه عن مجانسة مخلوقاته، و جلّ عن ملائمة كيفياته. يا من قرب من خطرات الظنون و بعد عن لحظات العيون، و علم بما كان قبل أن يكون ...

لقد شحن الإمام خطبه العلوية بآيات القدرة الإلهية السماوية و الأرضية، و أطنب فيها إطناب الخبير البصير، ففصّل آيات القدرة و العظمة تفصيلا يعطى للمطالع إيمانا و خشوعا لله و خضوعا لعظمته، بحيث يلمس السامع لخطبه (عليه السلام) أنّه كما قال: و الله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا.

و قدّم الإمام تصويرا دقيقا لصفاته تعالى بحيث صار معيارا للبحوث الفلسفية الدقيقة و مفتاحا للدخول الى مثل هذا ه البحوث التي تضلّ فيها الأفكار لولا الهداية الربّانية الموجهة.

قال (عليه السلام): و كمال توحيده الإخلاص له . و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّاه، و من جزّاه فقد جهله، و من جهله فقد أشار اليه، و من أشار اليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه ... كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة و غير كلّ شيء لا بمزايلة.

و قال (عليه السلام): مستدلا على وحدانيته: و اعلم يا بنى، إنّ لو كان لربّك شريك لأتتك رسله و لرأيت آثار ملكه و سلطانه، و اعلم يا بنى أنّ أحدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلّى الله عليه و آله) فارض به رائدا.

و قال عن عدله تعالى: و ارتفع عن ظلم عباده و قام بالقسط في خلقه و عدل عليهم في ح كمه و عدل في كلّ ما قضى . و قال: فإنّه لم يأمرك إلّا بحسن و لم ينهك إلّا عن قبيح و إنّ حكمه في أهل السماء و الأرض لواحد . و ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا.

ص: ٢٣١

في رحاب القيادة الإلهية (النبوة و الإمامة):

الهداية الإلهية عبر القادة المهديين الذين اختارهم الله لهداية عباده هي سنة الله الدائمة لخلقه الذين زودهم بالعقل والعلم و سلّحهم بسلاح الإرادة والاختيار.

وتبدأ هذه السنة لهذه البشرية باختيار آدم خيراً من خلقه ... «فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله و ليقوم الحجّة به ع لى عباده، و لم يخلهم بعد أن قبضهم ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته و يصل بينهم و بين معرفته، بل تعاودهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه و متحمّلي ودائع رسالاته قرنا فقرنا ... فاستودعهم فى أفضل مستودع، و أقرهم فى خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب الى مطهّرات الأرحام .. حتى أخرج آخرهم نبينا محمدا (صلى الله عليه و آله) من أفضل المعادن منبتا و أعزّ الارومات مغرسا، من الشجرة التى صدع منها أنبياءه و انتجب منها امناء.

و وصف الإمام (عليه السلام) زهد الأنبياء و شجاعتهم و تواضعهم و رعاية الله لهم و تربيتهم لهم بالاختبار و الابتلاء و تعريضهم للأذى فى سبيل الله، و بيّن وظائفهم المتمثلة فى التبليغ و الدعوة الى الله سبحانه و التبشير و الإنذار و إقامة حكم الله فى الأرض و هداية الناس بإخراجهم من الجهل و الضلالة و مجاهدة أعداء الله.

و تستمرّ مسيرة الهداء الربّانيّين على مدى العصور الى يوم القيامة، فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهرا مشهورا و إمّا خائفا مستورا ثلّا تبطل حجج الله و بيّناته ... و حيث ختمت النبوة بمحمد (صلى الله عليه و آله) انتهى أمر الهداية الى عترته التى هى خير العتر، إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا، و هم شجرة النبوة و محطّ الرسالة و مختلف الملائكة و معادن العلم و ينابيع الحكم، و الأعظمون عند الله قدرا .. يحفظ الله بهم حججه و بيّناته .. بهم علم الكتاب و به علموا، فيهم كرائم القرآن و كنوز الرحمن، فهم الراسخون فى العلم .. يخبركم حلمهم عن علمهم و ظاهرهم عن باطنهم و صمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحقّ و لا

ص: ٢٣٢

يختلفون فيه، و هم دعائم الإسلام و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ الى نصابه و انزاح الباطل عن مقامه، فهم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفيء الغالى و بهم يلحق التالى، لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصية و الوراثية.

لقد أكّد الامام على موقف أهل البيت القيادى الفكرى و السياسى و أدان زحزحة القيادة عن موقعها الذى عيّنه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و اعترض على خطّ الخلفاء جملةً و تفصيلا، بالرغم من اضطراره للتنازل عن حقّ و جهد فى تقديم الاطروحة النبويّة للقيادة بعد الرسول بشكل ناصع، و جاهد من أجل إحقاق الحقّ بشكل حكيم و اسلوب كان ينسجم مع حساسية الظرف التى كانت تمرّ بها الدولة و الامّة الإسلامية حينذاك، و استطاع أن يقدم النظرية كاملة و يعدّ العدة لتطبيقها حينما تسمح له الظروف^{٤٤٨}.

فى رحاب الإمام المهدي (عليه السلام):

استأثّر التبشير بقضية الإمام المهدي المنتظر (عج) اهتمام القرآن الكريم و النبىّ العظيم و الإمام المرتضى على الرغم من التشبّت الذى كان يعيشه ذلك المجتمع المضطرب بعد الرسول (صلى الله عليه و آله)، قال (عليه السلام): ألا و فى غد - و

^{٤٤٨} (١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة 87- 116 و 374- 445.

سيأتى غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالى من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها، و تخرج له الأرض أفايذ كبدها، و تلقى اليه سلما مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، و يحيى ميّت الكتاب و السنّة^{٤٤٩}.

إنّها رؤية دقيقة محدّدة مضيئة واضحة المعالم، تتمثّل فى قيام ثورة عالميّة تصحّح وضع العالم الإسلامى بل الإنسانى أجمع، قال (عليه السّلام) عن قائدها: يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، و يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا

ص: ٢٣٣

القرآن على الرأى^{٤٥٠}.

و قد تصدّت مؤسّسة نهج البلاغة لجمع الأحاديث التى وردت عن الإمام علىّ (عليه السّلام) حول الإمام المهدي (عج) و قد اجتمعت فى جزء واحد و بلغ مجموعها (٢٩١) حديثاً، أربعة عشر منها عن اسم المهدي و صفاته و دعائه و سبعة و سبعون منها عن نسب الإمام و أنّه من قريش و بنى هاشم و من أهل البيت و من ولد علىّ، و أنّه من ولد فاطمة، بل من ولد الحسين و أحد الأئمّة الإثنى عشر، و خمسة و أربعون منها ترتبط بالمهدي فى القرآن و نهج البلاغة و شعر أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و ثلاثة و عشرون منها حول أنصار المهدي و الرايات السود، و اثنا عشر منها حول السفينى و الدجّال، و ستة و عشرون منها عن غيبة المهدي و محن الشيعة عند الغيبة و فضيلة انتظار الفرج، و خمسة و سبعون منها حول الفتن قبل المهدي و علائم الظهور و ما بعد الظهور و دابة الأرض و يأجوج و مأجوج، و تسعة عشر منها ترتبط بفضل مسجد الكوفة و خروج رجل من أهل بيته (عليهم السّلام) بأهل المشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: و الله ما هذا من ولد فاطمة .. ثم يبيّن حكم الأرض عند ظهور القائم (عليه السّلام) و حكومته و كيفية ختم الدين به.

قال (عليه السّلام): يا كميل، ما من علم إلّا و أنا أفتحه، و ما من سرّ إلّا و القائم (عليه السّلام) يختمه ..

يا كميل، لا بدّ لماضيكم من أوبة، و لا بدّ لنا فيكم من غلبة...^{٤٥١}.

بنا يختم الدين كما بنا فتح، و بنا يستنقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك، و بنا يؤلف الله قلوبهم فى الدين بعد عداوة الفتنة كما آلف بين قلوبهم و دينهم بعد عداوة الشرك^{٤٥٢}. و لو قد قام قائمنا؛ لأنزلت السماء قطرها و أخرجت الأرض نباتها،

ص: ٢٣٤

و ليذهب الشحاء من قلوب العباد، و أصلحت السباع و البهائم حتى تمشى المرأة من العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلّا على النبات و على رأسها زينتها لا يهيجها سبع و لا تخافه^{٤٥٣}.

^{٤٤٩} (2) من الخطبة 138 من نهج البلاغة.

^{٤٥٠} (1) المصدر السابق.

^{٤٥١} (2) عن بشارة المصطفى: 24- 31.

^{٤٥٢} (3) عن ملاحم ابن طاووس: 84- 85.

لقد قدّم الإمام (عليه السّلام) نموذجاً عملياً فريداً في الحكم الإسلامي بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) و قد قرن ذلك بنظرية كاملة منسجمة الأبعاد و الجوانب تمثّلت في كتابه و عهده المعروف لمالك الأشتر حين ولّاه مصر، و قد اهتمّ الاجتماعيون بهذا العهد شرحاً و تعليقا و تبييناً و مقارنةً بأنظمة الحكم الأخرى، و يعتبر هذا النص دليلاً من أدلّة إمامته (عليه السّلام) و به تتميّز مدرسة أهل البيت عن سائر الاتجاهات التي حملت اسم الإسلام و الخلافة الإسلامية، و بالإضافة إلى هذا النصّ المعجز نجد في نهج البلاغة و غيره من النصوص التي وصلتنا عنه (عليه السّلام) ما يعيننا على كشف نظرية الإمام و نظرية الإسلام الفريدة عن فلسفة الحكم و نظامه اصولاً و فروعاً، و نشير إلى الخطوط العريضة بإيجاز.

لقد أكّد الإمام (عليه السّلام) على أنّ الحكم ضرورة اجتماعية بقوله: لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر، و الإمامة نظام الامة. و بيّن أنّ الحكم مختبر الحياة قائلاً: القدرة تظهر محمود الخصال و مذمومها.

و أوضح أنّ الحكم عرض زائل فلا ينبغي الاغترار به بقوله: الدولة كما تقبل تدبر. ثمّ أفاد أنّ الحكم النموذجي هو الذي يكون ذا قيمة و يستحقّ التمهيد و التخطيط له.

و أمّا الخطوط العريضة لنظام الحكم الإسلامي و مهام الدولة النموذجية فتتمثّل في: ١- تثقيف الامة. ٢- إقامة العدل. ٣- حماية الدين. ٤- إقامة الحدود.

ص: ٢٣٥

٥- تربية المجتمع. ٦- الاجتهاد في النصيحة و الإبلاغ في الموعظة. ٧- توفير الفئ و تحسين الوضع المعيشي للناس. ٨- الدفاع عن استقلال و كرامة الامة. ٩- توفير الأمن الداخلي. ١٠- نصره المستضعفين. ١١- إغاثة الملهوفين. ١٢- الاهتمام بالعمران.

و أمّا الحاكم النموذجي فينبغي له أن يتمتّع بجملة من الصفات و التي تكون من أهمّ عوامل ثبات حكمه، و هي ملخصاً كما يلي: ١- الانقياد للحقّ. ٢- تفهّم الامور. ٣- سطوع البيان. ٤- الشجاعة في إقامة الحقّ. ٥- حسن النية. ٦- الإحسان إلى الرعية. ٧- عفة النفس. ٨- عموم العدل. ٩- التدبير و الاقتصاد. ١٠- الإنصاف.

١١- الرفق. ١٢- الحلم. ١٣- الدفاع عن الدين. ١٤- كثرة الورع. ١٥- الشعور بالأمانة و المسؤولية. ١٦- اليقظة. ١٧- التكليف بما يطيقه الشعب. ١٨- عدم الاغترار بالقدرة. ١٩- التوزيع الصحيح للأعمال و تعيين مسؤولية كلّ فرد بما يناسبه. ٢٠- البذل و الجود من غير إسراف من كلّ ما يملك.

و قد طفحت كلمات الإمام (عليه السّلام) بعوامل سقوط الدول و آفات الح كهم محذراً الحكّام و العمّال و الولاة منها، و يمكن إيجازها كما يلي: ١- الجهل.

٢- الاستبداد بالرأى و ترك المشورة. ٣- إتباع الهوى. ٤- تعدّد مراكز القرار.

^{٤٥٣} (١) عن خصال الصدوق: 418 / 2. و راجع موسوعة أحاديث أمير المؤمنين، الجزء الأول ما روى عنه حول الإمام المهدي (عليه السلام). مؤسسة نهج البلاغة.

٥- إتباع الباطل و الاستخفاف بالدين . ٦- البغى و الظلم . ٧- التكبر و الفخر . ٨- منع الإحسان . ٩- الإسراف و التبذير .
١٠- الغفلة . ١١- الانتقام . ١٢- سوء التدبير .

١٣- قلة الاعتبار و عدم الانتفاع بالتجارب . ١٤- كثرة الاعتذار و تراكم الأخطاء .

١٥- تضييع الاصول . ١٦- تقديم الأراذل و غير الجديرين للمناصب الإدارية على الأفراد الأكفاء، قال (عليه السلام): تولى الأراذل و الأحداث الدول دليل انحلالها و إدارها .

١٧- الخيانة، قال (عليه السلام): إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات، و من خانته وزيره فسد تدبيره . ١٨- ضعف السياسة، قال (عليه السلام): آفة الزعماء ضعف السياسة، و آفة القوى استضعاف الخصم، و من تأخر تدبيره تقدم تدميره،
١٩- سوء السيرة،

ص: ٢٣٤

قال (عليه السلام): آفة الملوك سوء السيرة . ٢٠- عجز العمال و الولاة . ٢١- ضعف الحماية الشعبية للحاكم، قال (عليه السلام): آفة الملك ضعف الحماية . ٢٢- سوء الظن بالنصيح من علامات الإدبار . ٢٣- طمع القادة و حرصهم و جشعهم على ملذات الحياة الدنيا، قال (عليه السلام): السيد من لا يصابح و لا يخادع و لا تغرّه المطامع، و قال (عليه السلام): الطمع يذل الأمير . ٢٤- و فقدان الأمن .

في رحاب العبادات و الفرائض:

قال (عليه السلام): إن الله سبحانه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، و حد لكم حدودا فلا تعتدوها، و نهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، و سكت عن أشياء و لم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها، و لم يأمركم إلّا بحسن، و لم ينهكم إلّا عن قبيح .

و قال (عليه السلام): عليك بحفظ كل أمر لا تعذر باضاعته . و قال: أول ما يجب عليكم لله سبحانه شكر أياديهِ و ابتغاء مرضيهِ، و طوبى لمن حافظ على طاعة ربّه، و سارعوا إلى فعل الطاعات و سابقوا إلى فعل الصالحات، فإن قصرتم فإياكم أن تقصروا عن أداء الفرائض، و لا قرية بالنوافل إذا أضرت بالفرائض، و لا عبادة كأداء الفرائض . و اهتمّ الإمام (عليه السلام) ببيان فلسفة جملة من التشريعات قائلا: فرض الله سبحانه الايمان تطهيرا من الشرك، و الصلاة تنزيها عن الكبر، و الزكاة تسبيبا للرزق، و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و الحجّ تقوية للدين، و الجهاد عزّا للإسلام، و الأمر بالمعروف مصلحة للعوام، و النهي عن المنكر ردعا للسفهاء، و صلة الأرحام من ماء للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و إقامة الحدود إعظاما للمحارم، و ترك شرب الخمر تحصينا للعقل، و مجانبة السرقة إيجابا للعفة، و ترك الزنا تحصينا للأنساب، و ترك اللواط تكثيرا للنسل، و الشهادة استظهارا على المجاحدات، و ترك الكذب تشريفا للصدق، و الإسلام أمانا من المخاوف، و الإمامة نظاما للإمامة، و الطاعة تعظيما للإمامة .

و قال (عليه السلام) أيضا: زكاة البدن الجهاد و الصيام، و زيارة بيت الله آمن من عذاب جهنم .

ص: ٢٣٧

وقال (عليه السلام): وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك، وغاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، والجهاد عماد الدين و منهج السعداء، ومن جاهد على إقامة الحق وفق، والمجاهدون تفتح لهم أبواب السماء، وثواب الجهاد أعظم الثواب^{٢٥٤}.

في رحاب الأخلاق والتربية:

اعتنى الإمام المرتضى بتويبة المجتمع وحاول أن يعالج الانحراف الأخلاقي في الإنسان من جذوره العميقة، فوصف الداء الأساسي بقوله (عليه السلام): ألا وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة. ثم بين السبب الأعظم في هذا الحب حينما أوضح الأسباب العميقة التي كانت تكمن وراء التآمر على الأطروحة النبوية للخلافة والسرف في استلاب الحكم منه بالرغم من تواتر النصوص النبوية الكثيرة وإتمام الحجّة على المسلمين قائلًا: بلى لقد سمعوها وعوها ولكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

ويترتب على هذا الحب الشديد أن الإنسان سوف يستخدم مختلف الوسائل للوصول إلى ما يصبوا إليه فإن حب الشيء يعمى ويصم ولهذا برّر الخلفاء تقمصهم الخلافة بمختلف التبريرات التي دحضتها حجج الإمام (عليه السلام) الدامغة، ولكن استمرّ التصلب على الموقف الذي أدانه الإمام (عليه السلام). وإذا سألنا الإمام (عليه السلام) عن الدواء الناجع لعلاج هذا السبب الأعظم في الانحراف وجدناه العلاج في وصفه الدقيق للمتقين في الخطبة المعروفة بخطبة همام حيث وضح السر الذي أوصلهم إلى هذه المرتبة من الكمال المتمثلة بالتقوى بقوله: لقد عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم. وهكذا تكون المعرفة الحقيقية بالله العظيم سببا في

ص: ٢٣٨

حقارة الدنيا في أعين عباده المتقين، وإذا صغرت الدنيا في أعينهم؛ لم تكن الدنيا غاية همّتهم ولم يجدوا في اقتنائها، بل يحرصوا عليها وعلى ملكها كما لم يحرص على بن أبي طالب (عليه السلام) عليها فقد نازل عن الخلافة حينما استبدت بها قريش قائلًا: فإنها كانت إثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والموعود القيامة.

ومن هنا نشأت في المجتمع الإسلامي أخلاقيتان متميزتان: أخلاقية على النموذجية التي تدين السياسة الميكافيلية، وأخلاقية الخلفاء التي كانت ترى مشروعية الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ممكنة، ومن هنا كان زهد على في الحكم وحرص غيره عليه^{٢٥٥}.

في رحاب الدعاء والمناجاة:

اهتم الإمام على (عليه السلام) كما اهتم سائر الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بحقل الدعاء والمناجاة بعد أن فتح القرآن الكريم هذا الباب قائلا للرسول (صلى الله عليه وآله): قُلْ مَا يَعْجُزُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ و بين أهمية الدعاء بنصوصه وسيرته فقال (عليه السلام):

^{٢٥٤} (1) تصنيف غرر الحكم: 175-190 و 331-335، والمعجم الموضوعي لنهج البلاغة: 140-150 و 216-239.
^{٢٥٥} (1) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: 282-356 و 194-214 و 152-169 و 374-379، وتصنيف غرر الحكم: القسم الأخلاقي: 205-323 و 127-147.

«الدعاء سلاح الأولياء».

و تضمّن نهج البلاغة مجموعة من الأدعية العلوية لشتى الأغراض والمجالات، و جمعت أدعيته (عليه السلام) فيما يسمّى بالصحيفة العلوية. و من غرر أدعيته الدعاء المعروف بدعاء كميل و دعاء الصباح و المناجاة الشعبانية، و نشير إلى مقطع من مناجاته المنظومة التي اثرت عنه، قال (عليه السلام):

لک الحمد یا ذا الجود و المجد و العلی	تبارکت تعطی من تشاء و تمنع
إلهی و خَلّاقی و حرزى و مؤنلى	إلیک لدى الإعسار و الیسر أفزع

ص: ٢٣٩

إلهی لئن جلّت و جمّت خطيئتي	فعفوك عن ذنبي أجلّ و أوسع
إلهی ترى حالى و فقرى و فاقتى	و أنت مناجاتى الخفية تسمع
إلهی فلا تقطع رجائى و لا تزغ	فؤادى فلى فى سيب جودك مطمع
إلهی لئن خيبتنى أو طردتنى	فمن ذا الذى أرجو و من ذا اشفع؟
إلهی أجرنى من عذابك إنّنى	أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهی لئن عذبتنى ألف حجة	فحبلى رجائى منك لا يتقطع
إلهی إذا لم تعف عن غير محسن	فمن لمسىء بالهوى يتمتع؟
إلهی حليف الحبّ فى الليل ساهر	يناجى و يدعو و المغفل يهجع ^{٤٥٦}

فى رحاب أدب الإمام (عليه السلام):

لقد تعرّفنا على مجموعة من النصوص المنشورة و المنظومة التي اثرت عن الإمام (عليه السلام) فى نهج البلاغة أو غيره من الكتب التي اهتمّت بتراث الإمام (عليه السلام)، و لا حظنا القمّة الشاهقة التالّقى التي بلغها الإمام سواء فى ميدان الخطابة أو

^{٤٥٦} (١) الصحيفة العلوية و مفاتيح الجنان

الكتب و الرسائل أو الكلمات الحكيمية و المواعظ أو ميدان الشعر، و لا نبالغ إذا قلنا - كما قال متخصصو الأدب - إنَّ أجود نتاج أدبي عرفه التأريخ فنّا و عمقا و فكرا هو نتاج الإمام عليّ (عليه السّلام)^{٤٥٧}.

و نختار نماذج منظومة من أدبه (عليه السّلام) في مختلف المجالات، علما بأنّ هناك ديوان شعر منسوباً إليه، و قد اعتمده بعض المؤرّخين و استشهدوا بنماذج أدبيّة من نصوصه^{٤٥٨}.

قال (عليه السّلام) في رثاء أبيه أبي طالب رضوان الله تعالى عليه:

أبا طالب عصمة المستجير و غيث المحول و نور الظلم

ص: ٢٤٠

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك وليّ النعم
و لقاك ربّك رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عم^{٤٥٩}

و جاء عن الجاحظ و البلاذري: أن عليّاً أشعر الصحابة و أفصحهم و أخطبهم و أكتبهم، و ممّا قاله يوم بدر:

نصرنا رسول الله لمّا تدابروا و ثاب إليه المسلمون ذوو الحجى
ضربنا غواة الناس عنه تكرّما و لمّا يروا قصد السبيل و لا الهدى
و لما أتانا بالهدى كان كلّنا على طاعة الرحمن و الحقّ و التقى

و ممّا أورده سبط ابن الجوزى في تذكّره الخواص قوله (عليه السّلام):

للناس حرص على الدنيا بتدبير و صفوها لك ممزوج بتكدير

^{٤٥٧} (2) تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي للدكتور محمودالبيستاني: أدب الإمام علي (عليه السّلام).

^{٤٥٨} (3) راجع: في رحاب أنمة أهل البيت (عليهم السّلام) للسيد محسن الأمين: 2/ 301- 313.

^{٤٥٩} (1) راجع: الغدير: 3/ 106 و 7/ 378 و 379.

لكنّما رزقوها بالمقادير
طار البزاة بأرزاق العصافير

لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا
لو كان عن قوّة أو عن مغالبة

و عنه (عليه السّلام):

و داؤك منك و ما تبصر
و فيك انطوى العالم الأكبر

داؤك فيك و ما تشعر
و تحسب أنّك جرم صغير

فسلام عليك يا أبا الحسن و الحسين يا سيّد البلغاء و الشعراء يوم ولدت و يوم آمنت و جاهدت و يوم صبرت و آثرت و
يوم أقمت حدود الله و استشهدت صابرا محتسبا و يوم تبعث حيا، تقود أحبّاءك على الحوض إلى جنّات النعيم.

و الحمد لله ربّ العالمين

ص: ٢٤١

الفهرس التفصيلي

فهرس إجمالي ٥

مقدمة المجمع ٧

الباب الأوّل:

الفصل الأوّل: الإمام المرتضى علىّ (عليه السّلام) في سطور ١٧

الفصل الثّاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام علىّ (عليه السّلام) ٢٣

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الإمام علىّ (عليه السّلام) ٢٩

عبادته و تقواه (عليه السّلام) ٣٠

زهده (عليه السّلام) ٣١

إبائؤه و شهادته (عليه السلام) ٣٢

مروءته (عليه السلام) ٣٣

صدقته و إخلاصه (عليه السلام) ٣٣

شجاعته (عليه السلام) ٣٤

عدله (عليه السلام) ٣٥

تواضعه (عليه السلام) ٣٦

تقاؤه (عليه السلام) ٣٦

كرمه (عليه السلام) ٣٦

علمه و معارفه (عليه السلام) ٣٧

ص: ٢٤٢

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأة الإمام عليّ (عليه السلام) ٤٣

نسبه الوضاء ٤٣

جدّه الكريم ٤٣

والده ٤٤

أمّه ٤٥

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام عليّ (عليه السلام) من الولادة إلى الإمامة

المرحلة الأولى: من الولادة إلى البعثة الربويّة المباركة ٤٩

ولادته ٤٩

كناه و ألقابه ٥٠

الإعداد النبوي للإمام عليّ (عليه السلام) ٥١

المرحلة الثانية: من البعثة إلى الهجرة ٥٣

عليّ (عليه السلام) أوّل المؤمنين برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ٥٣

عليّ (عليه السلام) أوّل من صلّى ٥٥

أوّل صلاة جماعة في الإسلام ٥٦

عليّ (عليه السلام) حين إعلان الرسالة ٥٨

حديث يوم الإنذار ٥٨

عليّ (عليه السلام) من إعلان الرسالة إلى الهجرة النبوية المباركة ٥٩

عليّ (عليه السلام) في شعب أبي طالب ٦٠

عليّ (عليه السلام) و الهجرة إلى الطائف ٦٢

عليّ (عليه السلام) في بيعة العقبة الثانية ٦٣

عليّ (عليه السلام) ليلة هجرة الرسول (صلّى الله عليه وآله) إلى المدينة ٦٣

ص: ٢٤٣

مباهاة الله ملائكته بموقف عليّ (عليه السلام) ٦٤

مهامّ ما بعد ليلة المبيت ٦٧

هجرة الإمام عليّ (عليه السلام) ٦٨

من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ٧١

المرحلة الثالثة: عليّ (عليه السلام) من الهجرة إلى وفاة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ٧٢

١- عليّ (عليه السلام) و المؤاخاة ٧٢

٢- اقتران عليّ (عليه السّلام) بالزهراء (عليها السّلام) ٧٣

٣- عليّ (عليه السّلام) مع الرسول (صلّى الله عليه و آله) فى معاركه ٧٥

أ- عليّ (عليه السّلام) فى معركة بدر ٧٥

ب- عليّ (عليه السّلام) فى معركة احد ٧٧

مواقف بعد معركة احد ٨١

ج- عليّ (عليه السّلام) فى معركة الخندق ٨٣

د- عليّ (عليه السّلام) فى صلح الحديبية ٨٦

هـ- عليّ (عليه السّلام) فى غزوة خيبر ٨٩

و- عليّ (عليه السّلام) فى فتح مكّة ٩٢

صعود عليّ (عليه السّلام) على منكب النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) لتعطيم الأصنام ٩٤

ز- عليّ (عليه السّلام) فى غزوة حنين ٩٤

ح- عليّ (عليه السّلام) فى غزوة تبوك ٩٥

تبليغ سورة براءة ٩٦

عليّ (عليه السّلام) فى اليمن ٩٨

طبيعة عمل النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) ١٠٠

عليّ (عليه السّلام) فى حجّة الوداع ١٠٢

عليّ (عليه السّلام) فى غدير خم أميرا للمؤمنين ١٠٣

ص: ٢٤٤

نزول آية **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ١٠٥

محاولات الرسول (صلّى الله عليه و آله) لتثبيت بيعة عليّ (عليه السّلام) ١٠٥

مرض النبيّ (صلى الله عليه وآله) و سرّيّة اسامة ١٠٧

علىّ (عليه السّلام) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة ١١٠

الباب الثالث:

الفصل الأوّل: عصر الإمام علىّ (عليه السّلام) ١١٣

حديث الوفاة ١١٣

الحزب القرشي و الأنصار في السقيفة ١١٤

تحليل اجتماع السقيفة ١١٧

نظرة قريش للخلافة ١١٩

ملامح التخطيط لإقصاء الإمام علىّ (عليه السّلام) عن الخلافة ١٢١

سليبيات حادثة السقيفة ١٢٤

موقف الإمام من اجتماع السقيفة ١٢٦

موقف أبي سفيان ١٢٧

أقطاب المعارضة للسقيفة ١٢٨

نتائج السقيفة ١٣٠

الفصل الثاني: الإمام علىّ (عليه السّلام) في عهد أبي بكر ١٣٣

خطوات السلطة الحاكمة لمواجهة المعارضة ١٣٣

محاولة إرغام الإمام (عليه السّلام) على البيعة ١٣٧

موقف الإمام علىّ (عليه السّلام) و مضاعفات السقيفة ١٤٠

الإمام علىّ (عليه السّلام) و مهمّة جمع القرآن ١٤٥

من مواقف الإمام (عليه السّلام) في عهد أبي بكر ١٤٦

وصية أبي بكر إلى عمر ١٤٧

ص: ٢٤٥

مآخذ على وصية أبي بكر ١٤٩

الفصل الثالث: الإمام على (عليه السلام) في عهد عمر ١٥١

ملاح من سيرة عمر ١٥٢

محنة الشورى ١٥٣

مؤاخذات على الشورى ١٥٥

حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافة ١٥٧

موقف الإمام (عليه السلام) من الشورى ١٥٩

لماذا لم يوافق الإمام على شرط عبد الرحمن بن عوف؟ ١٦١

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) في عهد عثمان ١٦٣

أبو سفيان بعد بيعته عثمان ١٦٤

ملاح سلبية في حكم عثمان ١٦٥

موقف للإمام على (عليه السلام) مع عثمان ١٦٧

الآثار السلبية لحكومة عثمان في الأمة ١٦٨

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام على (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ١٧٣

بيعة المسلمين للإمام على (عليه السلام) ١٧٣

المتخلفون عن بيعته الإمام (عليه السلام) ١٧٥

عقبات في طريق حكومة الإمام (عليه السلام) ١٧٦

محاوّر عمل الإمام (عليه السّلام) في الأمّة ١٨٠

الثقافة الإسلامية في حكم الخلفاء ١٨٣

جهود الإمام في إحياء الشريعة الإسلامية ١٨٦

ص: ٢٤٦

الفصل الثاني: الإمام علي (عليه السّلام) مع الناكثين ١٨٩

مثيروا الفتن ١٨٩

عائشة تعلن التمرد ١٩٠

مكر معاوية و نكت الزبير و طلحة للبيعة ١٩٢

حركة عائشة و مسيرها نحو البصرة ١٩٣

مناوشات على مشارف البصرة ١٩٥

الاقتتال - الهدنة - الغدر: ١٩٦

حركة الإمام (عليه السّلام) للقضاء على التمرد: ١٩٧

آخر النصائح: ١٩٨

نشوب المعركة: ١٩٩

مواقف الإمام بعد المعركة: ٢٠٠

نتائج حرب الجمل: ٢٠١

الكوفة عاصمة الخلافة: ٢٠٢

الفصل الثالث: الإمام علي (عليه السّلام) مع القاسطين ٢٠٣

استعدادات معاوية لمحاربة الإمام (عليه السّلام): ٢٠٣

السيطرة على الفرات ٢٠٤

محاولة سلمية: ٢٠٥

الحرب بعد الهدنة: ٢٠٥

مقتل عمار بن ياسر: ٢٠٦

خدعة رفع المصاحف: ٢٠٧

التحكيم و صحيفة المودعة: ٢٠٩

موقف واع و تقييم ٢١٠

رجوع الإمام (عليه السلام) و اعتزال الخوارج: ٢١٠

ص: ٢٤٧

اجتماع الحكمين: ٢١١

قرار التحكيم: ٢١٢

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) مع المارقين ٢١٣

ردّ الإمام (عليه السلام) على قرار الحكمين: ٢١٤

المواجهة مع الخوارج: ٢١٥

احتلال مصر: ٢١٧

انهيار الامة و تفككها: ٢١٨

آخر محاولات الإمام (عليه السلام): ٢٢٠

الفصل الخامس: الإمام على (عليه السلام) شهيد المحراب ٢٢١

وصية الإمام (عليه السلام): ٢٢٢

دفن و تأبين الإمام (عليه السلام): ٢٢٣

الفصل السادس: تراث الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) ٢٢٥

فى رحاب نهج البلاغة: ٢٢٦

فى رحاب العقل و العلم و المعرفة: ٢٢٧

فى رحاب القرآن الكريم و السنة النبوية المباركة: ٢٢٨

فى رحاب التوحيد و العدل و المعاد ٢٢٩

فى رحاب القيادة الإلهية (النبوة و الإمامة): ٢٣١

فى رحاب الإمام المهدي (عليه السلام): ٢٣٢

فى رحاب الحكم الإسلامى: فلسفته و اصوله ٢٣٤

فى رحاب العبادات و الفرائض: ٢٣٦

فى رحاب الأخلاق و التربية: ٢٣٧

فى رحاب الدعاء و المناجاة: ٢٣٨

فى رحاب أدب الإمام (عليه السلام): ٢٣٩

الفهرس التفصيلى ٢٤١^{٤٦٠}

ص: ٢٤٨=PAGEص: